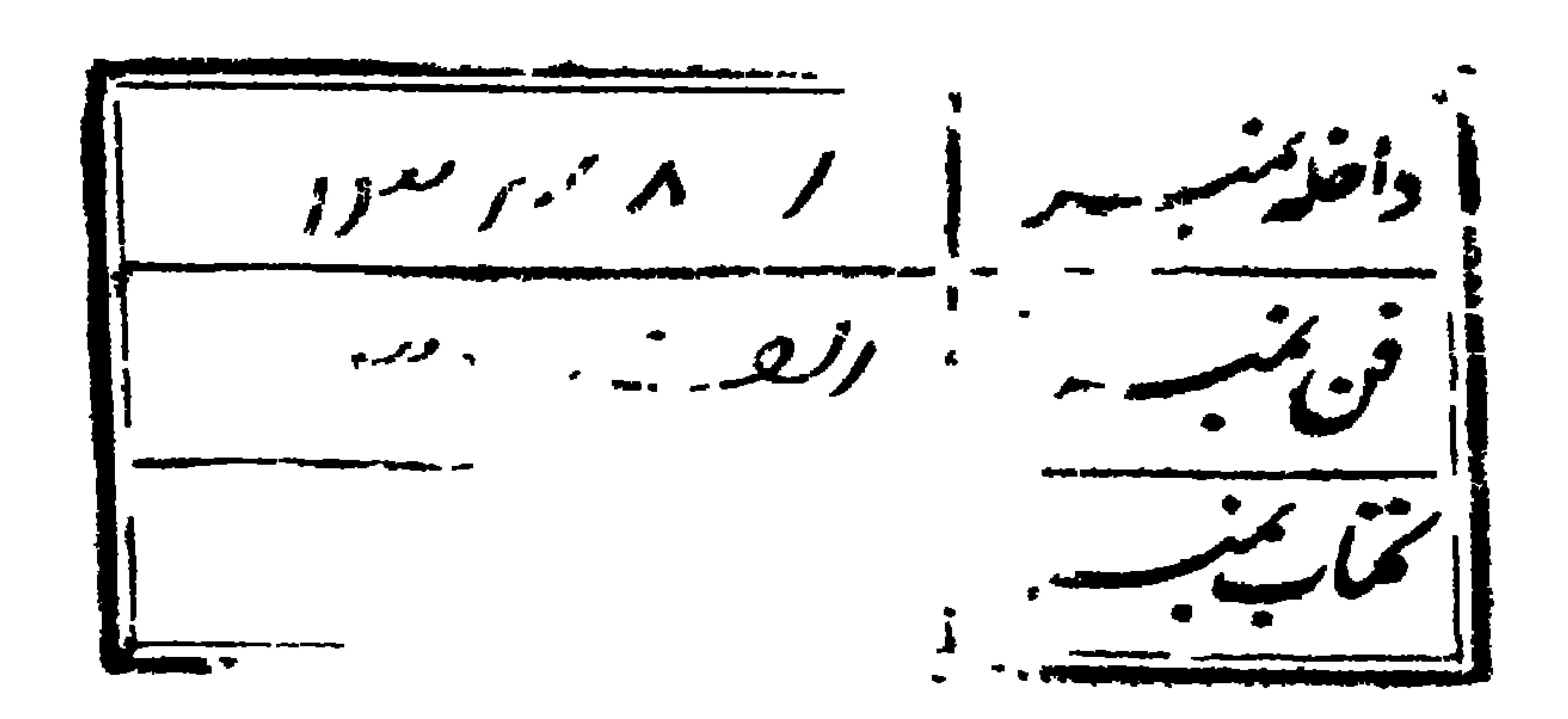
فهرست



الباكورة الشهية

في

الروايات الدينية

فاتحة

حمدًا للملك الوهاب منزل الحق بالكتــاب رشدًا وهدًى لخلقه ونور
ايمان سامي عزه ومجده اما بعد فهذه حكاية الفتها ورواية نسقتها لابراز مخدرات
الحقــائق واجلاء جواهر الدقائق على سبيل المحاورة والمناظرة بيــد اني لقصر
باعي في صناعة التأليف لم اطمع باتيانها على ما يرام من التهذيب والتثقيف غير
انهُ بعونه تعالى جاءت على اسلوب اظنه على نوعٍ مقبول لدى اهل الانصاف
والعقول فارجو من كرم ارباب الفضل اسبال ذيل المعذرة على ما يرون فيها
من الوهن والتقصير فان اعذار القاصر بالكرام جدير متسامحين عما يُرَى فيها
من الخلل متنازلين لاصلاح ما ربما وقع فيها من الزلل · هذا واتوسل اليه تعالى
ان يصونها من طائلة الاعدام ويحفظها من ذوي الجراءَة والاقدام وينفع بها
المطالع والسامع انهُ لاكرم مسأول واجلُّ مأمول

وهو حسبي ونعم المعين له الحمد

في كل حال

وحين

الفصل الاول

كان بين احد مشايخ الاسلام في دمشق الشام يدعى الشيخ عبد الهادي وبين رجل مسيحي حلبي يدعى يوحنا الغيور صداقة قديمة ومودة جسيمة وكانا كلاهما على جانب عظيم من التقوى واخلاص الطوية وقد جرت بينهما ابحاثٌ ومناقشات عديدة في امر الدين الى ان ورد يوماً ما من ذلك المسيحي رسالة مستطيلة الى الشيخ المومى اليهِ موسومة «في الحق الالهي» غايتها بيان كون الكتاب المقدس المعروف الان هو كتاب الله المنزل وبناءً عليه تكون الديانة المسيحية المعلنة فيهِ هي ديانة الله لا سواها · فعب ان طالعها الشيخ مرارًا اتى بها الى احد المشايخ المشهورين بالعلم والتقوى يدعى الشيخ علي عمر وطلب اليه ان يرى فيها ويمدهُ برأيه هل يجاوب عليها ام لا وكيف ينبغي ان يكون اسلوب الجواب — فاخذها من يده وعب ان طالعها وامعن في كلٍ من قضاياها وعباراتها اجابه « اني ارى الرسالة قوية الحجة فلا ارى ذاتي قادرًا على ان امدك برأيٍ صالح من جهتها قبل ان أُطلع عليها بعض الاخوان والاصحاب العلماء ونأخذ رأيهم في ذلك كي لا يفوتنا شيءٌ من البراهين والحجج المقتضي تدوينها في الجواب فنخسر ثمرة اجتهادنا وفي الغالب رأي اثنين افضل من رأي واحد فكم بالحري رأي جماعة من الادباء » ماذا ترى · اجابهُ عبد الهادي ونعم الرأي سيدي · فارسل للوقت الشيخ علي واستدعى بعض العلماء من ذوي

الرزانةوالتعقل وهم الشيخ عبد الحليم والشيخ محمود الرافعي والشيخ سليمان فاضل وعمر افندي ذاكي وحسن افندي قباواتي والسيد ابراهيم مصطفى والسيد حسين ابي النصر والسيد عمر الحارس والسيد مصطفى الحقاني والسيدعبد القادر الفصيح فحضروا بعد العشاء الى منزل الشيخ علي وغب ان استقروا الجلوس في قاعة منفردة نهض وخاطبهم قائلاً — ياسادتي — ان غايتي باستدعاء حضراتكم الآن هي لكي اخبركم شيئاً رأيت انهُ يوجب اجتماعنا معاً في مثل هذا الوقت للمفاوضة بشأنهِ وقبل ان ابدي لديكم ذلك الشيء اسمحوا لي ان اقول انهُ بناء على ما هو معهود من حميد صفاتكم وكرم طباعكم رجائي بكم ان تتلقَّى المسألة التي تطرح الان لديكم بروح الاخلاص والدعة متطارحينها بترتيب وهدوءٍ · اما المسألة فهي رسالة دينية واردة على اخينا الشيخ احمد عبد الهادي غايتها اثبات صحة الديانة المسيحية فارجوكم ان حسن سماعها حتى النهاية ومن ثم المفاوضة في امرها — ثم اوما الى المومى اليهِ ان يقف و يتلوها على مسامعهم — فنهض واخذ يقرأها عليهم وهي ·

ايها الشيخ العالم الفاضل الجزيل الوقار والاحترام

غب تقديم الاحترامات اللائقة بشخصكم الكريم · اقول لا يخفى ان من شأن العقل السليم تمييز وادراك وجود واجب الوجود تعالى وقدرتهُ وحكمتهُ وكمال عزهِ ومطلق سلطانه من النظر الى المبدعات الكونية ولكنه يقصر دون ادراك مقاصدهِ عزَّ وجلَّ من جهة الانسان وطريقة العبادة المقبولة لديهِ تعالى وذلك بيّنٌ من اختلاف الناس بها مع اجماعهم الأّما قل على وجودهِ وكماله الازليين لذلك قد شاء كرماً واحساناً منهُ تعالى كشف ذلك للانسان بالوحي والاعلان

فشرع من ثم سبحانهُ ان يكلم اباءنا الاولين بالرؤى والاحلام ثم اوعز الى كليمهِ موسى ان يكتب في كتاب اعلان ازليتهِ واعمال قدرتهِ وحكمتهِ بخلقه السموات والارض وما فيهنَّ وكذا وصاياهُ واحكامهُ وفرائضهُ ليكون دستورًا وقانونًا للايمان والعمل لكافة اوليائهِ في الحال والاستقبال · ولما كان بنو اسرائيل دأبهم التقلب والحيدان عن سبيلهِ تعالى كما هو دأب الانسان في كل زمان اقام سبحانهُ من وقتٍ الى آخر رجالاً افاضل اوحى اليهم بكلامهِ وارسلهم لانذار شعبهِ وردهم الى عبادتهِ تعالى حسب الكتاب · فكان يتنبأ لهم هؤلاء الانبياء واعظينهم ومنذرينهم ومحذرينهم من سوء العاقبة اذا ارتدوا ومنبئينهم بامورٍ مهمة وجليلة عتيدة ان تحدث في مستقبل الايام واثباتًا لدعوى ارساليتهم من الله وختماً لصحة اقوالهم كانوا باذن الله يجترحون عجائب وآيات متنوّعة وقد كتب هؤلاء الانبياء المتاولون من موسى الى ما قبل المسيح بنحو اربع مئة سنة نبواتهم في اسفار وكتب واعتبرت عند عموم بني اسرائيل اسفار الله الحي وضمت منهم الى مجلد واحد قبل المسيح بنحو ثلاث مئة سنة وبعنايتهِ تعالى قد حفظت الى يومنا هذا سالمة من التحريف والتصحيف والتغيير والتبديل وما من عاقل يرتاب في ذلك غب وقوفه على البينات الوطيدة والبراهين السديدة التي لهذا الكتاب الجليل دون بقية الكتب وحبًّا بالاختصار اقتصر على ذكر اثنتين منها وهما ·

« الاولى » سلامته من اثر غايات الناس واميالهم

لا يخفى ان هذا الكتاب الالهي الاقدم من كل ما كُتب في العالم موجود بايدي العبرانيين اليهود باللغة التي انزل فيها طبق ما هو بيد النصارى بلغات

مختلفة الأماندر مما لا يؤثّر البتة على غاية الكتاب وقصده · ومع كونه باعتبار نبوّاته يضاد اليهود على انكارهم المسيح وكفرهم بهِ ويضادّ كثيرًا من فرائض وطقوس اكثر المذاهب النصرانية مع ذلك لم يقدم هؤلاء ولا اولئك على تغيير اوتبديل شيءٍ من نصوصهِ بحيث يكون على نوعٍ ما موافقًا لآرائهم ومراسيم عباداتهم فلا جرم ان ذلك من اقطع الادلَّة على كونهِ محفوظًا ابدًا بيد من انزلهُ تعالى من التلعُّب فيهِ رغمًا عن كل مقاوميهِ ومضاديهِ

«الثانية» حدوث امورٍ كثيرةٍ انبأَ عنهـا قبل حدوثها بقرون عديدة وحوادث مختلفة عتيدة ان تحدث في مستقبل الايام (كما تقدم ذكرهُ) على توالي الزمان الى نهاية العالم ولا يخفى ان جزءًا كبيرًا من هذه النبوات قد تمَّ على نوع مدهش جدًّا بحيث الملحدون انفسهم لم يستطيعوا الا وان يشهدوا بان تلك الحوادث قد حدثت تمامًا كما سلف القول عنها في كتاب اليهود (التوراة) فلا جرم ان هذه البيّنة ايضًا هي لدليل قاطع كل ريب بسلامة كتاب الله من شائبة التحريف والتغيير وباقية على ممر الاجيال وتوالي الدهور شاهدًا متينًا على صحة وصدق الكتاب المنبأ عنها فيهِ

فتأَمل سيدي هذين الدليلين الراهنين اللذين لا يحتاج للوقوف على صحتهما الأَ بحث قليل بتروٍّ واخلاص — وعليهِ اذا ايقنتم بسلامة التوراة مما ذكر لزمكم لا محالة الاذعان لها والايقان بما فيها ·

ثم ماذا ترون حضرتكم هل لله سُبُلٌ مختلفة وآراءٌ متباينة · حاشا — انما لله سبيل واحد · دين واحد · كما هو واحد فما قولكم والحالة هذه في الاديان المختلفة والعقائد المتباينة هل كلها من الله وهي مرضية لهُ · — لا بد تقولون كلاَّ

وحاشا — اذاً ما الطريقة ليت شعري لمعرفة الدين الصحيح والحق القويم وكل ابناء دين ومذهب يفتكرون ان دينهم هو الاحق ومذهبهم هو الاصحّ ويحاجون مدافعين عنهُ ما امكن حال كونه من المحال صحة دعوى كل فريق منهم. لعمري ان هذه المسئلة قد توقع عموم اولي الاديان من ذوي العقول السليمة بمشكل عظيم محال تخلصهم منه الاّ برجوعهم عقلاً وقلباً الى الينبوع الاصلي كتاب الله المقدس ورفضهم كل رأْيٍ دون رأْي الله فيهِ ولنرجع في كلامنا الى التوراة فاقول . ان الايقان بسلامتها بناءً على ما تقدم يستلزم لا محالة الايمان والاقرار بالفادي مسيح الله المشهود لهُ فيها حرفاً ومعنى شهادات جلية صريحة لا ردّ عليها وان سأَلتني ما تلك الشهادات اجبتك هي مما لا يسعني هنا ايرادها على سبيل التعداد والتفصيل لكثرتها واتساعها فاجتزئُ ان اقول. لا خفى ان التوراة تشهد لهُ برموز واشارات وكنايات متنوعة لا يمكن ان تصدق الاّ عليه كفادٍ ومخلص.

ثانياً باعلانات ونبوات صريحة جليَّة بهذا المقدار حتى انها تعين السبط والعشيرة اللتين سيأْتي منهما وغرابة ولادته وزمانها ومكانها وسموّ طهارة حياتهِ واعمالهِ والمقاومة والاحتقار اللذين سيصادفهما من امة اليهود شعبهِ ونوع موتهِ ودفنهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء مع الظروف المختصة بتلك الامور التي قد تمَّت فيهِ بنوعٍ كما ترى ذلك مسطراً في الانجيل (لاحظ كتاب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين فصل ١١) وقد ختم الله على صحة اخبار تلك الحوادث الانجيلية بالايات والعجائب التي اجراها على ايدي رسلهِ الكارزين بانجيلهِ الذين قد برهنوا على خلوص نواياهم وحبهم لله بما احتملوا

لاجل اسم المسيح من صنوف الاضطهادات والشدائد حتى ختموا اخيرًا شهادتهم بدمهم ·

ولا صحة لزعم من يزعم ان الاعتقاد « بتجسد ابن الله الاقنوم الثاني وموته بالجسد فدى للبشر لكونه فائق العقل والتصديق » هو باطل · اقول ان صاحب هذا الزعم يحكم ان كل ما لا يُدْرَك بالعقل ليس بصحيح وهو زعم فاسد كما لا يخفى — نعم انهُ امر يفوق العقل كيان الله الواحد بثلاثة اقانيم وتجسد الاقنوم الثاني لفداء الانسان ولكنهُ لا يضاده وشأْن امور الله ان تفوق عقولنا — الا ان كل ما خطر على بالك فالله خلاف ذلك — ولنُحْذِر النظر من التحدُّق في سموّ ماهية الله الخالق الجليل الى المخلوق ولنرى هل من الممكن لعقولنا ادراك كيفيتهِ — ايُّ شيءٍ من مخلوقاتهِ تعالى يا ترى لا تفوق عقولنا كيفيتهُ فاذا اغضى الانسان طرفهُ من النظر الى الكائنات العديدة البديعة مقتصرًا على التأَمل فقط بذاتهِ كيف وجد — كيف تكوَّن هكذا — كيف يحيي ويتحرك وينطق — وكيف بعض اعضائهِ خاضعة لارادتهِ وبعضها لا بل تقوم باعباء وظائفها اراد او لم يرد — يرى ذلك كله من الامور الفائقة العقل

وكما ان اعمال الوالد مثلاً تفوق جدًّا عقل ولدهِ الطفل وتذهله ومع ذلك يسلم باقتدار ابيهِ على عملها وبكل قلبهِ يصدق بكونها عملهُ حالما يخبرهُ (ابوهُ) انهُ هو قد عملها — هكذا نحن الخليقة البشرية ذوو العقول الطفلية والدنيَّة جدًّا نسبةً الى حكمة الباري جلَّ شأْنهُ نقصر دون ادراك كيفية اعمال حكمته وقدرتهِ الالهيتين فكيف وذاته تعالى

ومن الاوَّليات المسلم بها ان عدم ادراك العقل امرًا ليس هو دليلاً على

عدمهِ او محاليتهِ فالانسان يقدر ان يميز بواسطة الحواس والعقل الاشياء الموجودة لديه او الواقعة تحت نظره و يعلم خاصّاتها ومنافعها او اضرارها بواسطة الاختبار والامتحان وانما قط لا يمكنه ادراك كيفياتها فكيف اذ ذاك يمكنه ادراك كيفية امور ذي الجلال — ان ذلك لعمري من المحال · فما على العاقل الرازن الاَّ القبول بكل خضوع وخشوع ما انعم عليهِ بهِ باريهِ من الوحي عن ذاته تعالى وامور قدرته وحكمته مؤمناً بحقيقته لكونه من الله القدير الفائق الوصف والتصور ومن المعلوم المقرر ان من شأن العقل الجيد عدم محاولة التخطي الى ما هو خارج عن دائرة امكانه ·

اما على الاعتراض المتضمن في نظم بعض الشعراء الذي ارسلتموهُ لي جنابكم مؤخراً الذي معناه « ان كان الاله قد تألم فما هذا الاله · وان كان ابن الله فلما صُلب اين كان ابوهُ» فأجيب على كلٍ ان اعتراضاً كهذا منتظرٌ ممن ليس لهُ الرويَّة الوافية في الكتاب وليس لهُ الحس والشعور الواجب بلزوم القيام بوفاء حق عدل الله والتبرير من الخطية — وحقيقةً ان من لم يبحث عن المبادئ الاساسيَّة للدين المسيحي ويتتبعها الى غايتها بل يقتصر على رؤية اعالي بنائه من بعد بعيد يجد عليه ولا بدّ اعتراضات كثيرة لجهلهِ اصوله العميقة واسسه الوطيدة الراسخة فيعجب من ثم بنفسهِ ظاناً انه قد حاز الغلبة عليه حال كونه مغلوباً ·

جنابكم تعرفون جيداً ماهية المعتقد المسيحي في امر التجسد ومع ذلك ارى الضرورة تدعوني لاراجع على اذهانكم في هذا التحرير بوجيز العبارة خلاصة الايمان المسيحي بهذا الخصوص ·

انا معشر المسيحيين نؤمن متيقنين حسب كتابه تعالى ان المسيح كلمة الله الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس قد اتخذ لذاته الالهية بقدرته الصمدانية جسداً ونفساً انسانية فصار من ثم ذا طبيعتين متحدتين متمايزتين غير ممزوجتين الهية وانسانية. فالالهيَّة فيه غير قابلة دخول عرض عليها كالجوع والتعب والالم والموت والانسانية قابلة كل ذلك . فيقال في الانجيل الكلمة صار جسداً وابن الله صار من نسل داود من جهة الجسد وتألم ومات بالجسد اي من جهة الجسد لا من جهة اللاهوت ولا به . فكما ان النار مثلاً تلاشي الثوب دون الذهب المنسوج عليه وتأكل اللحم من على المذبح دون المذبح هكذا نار آلام الموت أثَّرت بالطبيعة الانسانية ولم يمكنها البتة ايصال تأثير ما الى الطبيعة الالهية وانّى للمخلوق يضر بالخالق . ثم ومع ان كيفية اتحاد الطبيعة الالهية بالانسانية بحيث صارتا شخصاً واحداً يسمو جداً ادراك العقل الانساني ليس هو من الامور المحالية كما لا يخفى ولا يؤثر على كمال الباري سبحانه بل بالحري يزيد مجده تعالى لدى خلائقه العقلية بجوده الفائق على خليقته البشرية بابنه المحبوب الذي به اعلن سموّ قداسته وغاية كماله اذ حافظ على حق عدلِهِ وابدى عظيم حنوّهِ وغزارة مراحمه وفضله.

واما عن القول لما صُلب اين كان ابوهُ فأقول قد تقدم انهُ لم يتألَّم من حيث اللاهوت اصلاً بل من حيث الناسوت فقط اذ من المحال ان يمس اللاهوت ألم فالصلب واقع على الطبيعة الانسانية لا الالهيَّة ولم يكن ذلك دون ارادة ابيه حتى يكون لاعتراض المعترض محلٌّ بل كما يستفاد من نبوات الله في التوراة وخصوصاً الاصحاح الثالث والخمسون من نبوة اشعيا . ان ذا هو

قصد الله ومشيئته ان يفتدي البشر الخطاة هكذا بدم ابنه لكي تبدو رحمته الفائقة وجوده غير المتناهي نحو جبلته الساقطة واذا شاء سبحانه ان يتنازل بابنه الوحيد الى هذه الدرجة حباً بخلقه فهل من اعتراض عليه تعالى · ثم واذا كان الآب هكذا ارسل ابنه لاجل هذا الامر الذي عليه ولا سواهُ متعلق خلاص البشر الامر المقرر منذ الازل لديه فكيف يدفع عنه ذلك

هذا ونقول ان الابن ذاته لما رأى ان لا سبيل لخلاص الانسان من ورطة الهلاك التي قد تهوّر فيها حسب مقتضى العدل الالهي الاَّ بتجسده وموته عنه بالجسد ارتضى بذلك حباً بنا ليعتقنا بموته من عبودية الخطية والموت لذلك لما صُلب بالجسد لم يرَ ابوه الجوّاد ان يدفع عنه الالم ويعفيه من شرب كاسٍ عليها ولا سواها متعلق خلاص البشر بل كما قدم ابرهيم ابنه امتثالاً لامر الله هكذا اللاهوت قدم ناسوته المتحد به ذبيحة وقرباناً لله عن العالم لكي يوفي به حق شريعة الله التي تعدَّاها الانسان وفاءً تاماً حسب قصد الله ومقتضى عدلهِ تعالى — نعم ان هذا الخبر بل هذه البشارة الكافلة ان تملئ قلب كل انسان سروراً وشكراً لله صعبة الفهم وعسرة الهضم على كثيرين غير ان ما يُرى فيها من صعوبة الفهم وتعذُّر الهضم لا ينفي وجوبها وحقيقتها

ثم ارجوكم سيدي ان تتاملوا جيداً ببصيرتكم النيّرة وتزنوا بذكائكم الوافر ما سابديه لحضرتكم من الكلام عن هذا الموضوع الكلي الجلال والاهمية — لا يخفى ان الخالق الفائق الحكمة والجزيل الرأفة لعلمه ضعف طبيعة الانسان وقصرها عن ادراك ما لله سبحانه من المقاصد والغايات من جهة الانسان وصعوبة فهم ذلك الامر السامي الذي قد اعدَّ له (اسيء لعمل الفدا بابنه الوحيد)

اعدادات متنوعة تشغل (كما وقد اشغلت) مدة قرون عديدة تعليماً وتدريباً للبشر الى الفادي الكريم واستعداداً لقبوله اذ كان عتيداً ان يولد منهم بالجسد ويفديهم بدمه معاملاً اياهم بذلك على نسق تعليم الاولاد في المدارس — فكما ان المعلمين والاساتيذ يبدأون بتعليم تلامذتهم من الاحرف الهجائية ويتقدمون بهم تدريجاً شيئاً فشيئاً نحو العلوم الرفيعة وبذلك يتمكنون من ابلاغهم الحقائق السامية — هكذا فعل الباري عزَّ وجلَّ في تربية وتدريب العقل الانساني الى المسيح مدة نحو اربعة الاف سنة (اولاً) بالمواعيد التي كان اولها ان نسل المرأة يسحق راس الحية (ابليس) ولابرهيم واسحق ويعقوب قوله تعالى وبنسلك تتبارك جميع امم الارض وقس على ذلك مما لا يسعنا ايراده هنا — (ثانياً) بالطقوس والفرائض التي كان اخصها واشرفها تقديم الذبائح والمحرقات لله التي هي بالحقيقة رموز واشارات لائقة الى ذبيحة المسيح التي كانت عتيدة ان تُقرَّب لله وفاءً عن خطايا العالم التي لو جُرّدت من هذا المعنى لكانت بلا داعٍ وغير لائقة بالله . وهل من العدل ان يقاصّ الخروف عن الانسان — البهيم عن العاقل — والبريء عن المذنب . كلاّ وانما اذا كان ذبح الخروف وتضحيته لله عن الخاطيء رمزاً واشارةً سرّية الى حمل الله يسوع المسيح فادي الخطاة كان ذلك لا محالة امراً شريفاً ولائقاً تعليماً لذلك الخاطيء مقدمهِ انه لا يتبرر امام القدوس بذاته ولا يمكنه ارضاؤهُ بصلاحهِ بل يحتاج ولا بد الى فداءٍ شرعي ينفي عنه ويبرره من مطلوب العدل لدى خالقه تعالى . (ثالثاً) بالنبوات المتوالية حيناً بعد حين عن هذا الفادي الكريم كما سلف القول عنها التي كانت (اي هذه المواعيد والنبوات) تزداد كثرةً ووضوحاً

كلما قرب اكثر فاكثر مجيء المسيح كما يرى المطالع المدقق وذلك تسهيلاً لمعرفته وقبوله متى جاء ولكي تكون العقول مستعدة له والقلوب بانتظار قدومهِ · وعلى ذلك قالت المرأة السامرية للمسيح نحن نعلم ان مسيًّا ياتي ومتى جاء ذاك يخبرنا كل شيء ولكي لا يبقى محل لاعتذار الانسان على ابائه تصديق الانجيل وقبول المخلص بالايمان بداعي صعوبة فهم الخبر اذ لا ريب ان سياسة الله مع شعبه في القديم وتدريبهم واعدادهم هكذا قرون عديدة بالوسائط والوسائل المذكورة تتكفل بحل هذه الصعوبة الموهومة

هذا ولا يليق بي ان اهمل في خطابي هذا اليكم الاشارة الى الاعتراضات الكثيرة المتصدرة من ذوي الكفر ومن غير المسيحيين على صحة الكتاب المقدس بناء على ما يرى فيه من تناقض الايات · (فاولاً) اقول ان الكافرين لا يرومون بذلك الاَّ ملاشاة الاعتقاد بوحي ما الهي وغير المسيحيين نظرًا لما ورثوه من اسلافهم ونشأُوا عليه من عقائد الدين مرتضعينه كاللبن منذ الطفولية يرغبون طبعاً المحاماة عن دينهم والدفاع عن معتقدات ابائهم بكل حميَّة وحنق بدون ان يمنحوا العقل الحرية الواجبة له في الفحص والامتحان القانوني في القضايا التي تعرض عليهم — بل غالباً بدون تروٍّ وعلى الفور يكذِّبون ما لا يرونه موافقاً لدينهم

(ثانياً) لا ينكر وجود اختلاف في بعض كلمات الكتاب وظهور تناقض في بعض آياته غير انه لا يخفى الزكي البصير ان وجود اختلاف وظهور تناقض في بعض كلمات وآيات الكتاب ليس هو من الدواعي الموجبة لسرعة ابراز الحكم الجازم بعدم صحته بل هو بالاحرى من الاسباب التي ينبغي ان تقتاد

القاري الى الفحص القانوني والتدقيق الوافي عن الازمنة المتوالية التي فيها أُنزلت هذه الاسفار الالهية وظروف احوال كاتبيها وعوائد الناس حينئذٍ لان تباين الازمنة وتنوع الظروف واختلاف العوائد مع الدواعي المختلفة لكتابتها تجعل طبعاً ظهور تناقض في بعض الجمل ·

(ثالثاً) انه لدى مطالعة الكتاب بخلوص ونقوى يرى جلياً ان الاختلافات غير واقعة في القضايا الكلية الموجبة للوحي حتى ان اهمها ليس هو بالحقيقة اختلافاً ومابقي لا يؤثر البتة على غاية الكتاب وقصده ·

(رابعاً) ان اهمية الكتاب المقدس لدى الله ظاهرة في كل سفر من اسفاره اذ الغاية فيه كما ترون ان يكشف لنا تعالى عن اصل فطرتنا وعلة شقائنا التي هي تعدّينا شريعة بارينا وطريقة الخلاص من طائلة الخطية وارجاعنا اليه تعالى الذي ليس لديه شيء آخر اكثر اهمية من جهتنا فقل لي سيدي اي سفر من اسفار الكتاب يقاوم هذه الغاية ويضادها — ألا ترون ان كل اسفار الكتاب المقدس تشير كما بيدٍ واحدة الى امرٍ واحدٍ وغاية واحدة وهو الامر الخطير الذي نحن بصدده — نعم لانها اجزاء كتاب واحد

ثم ان ما يستحق جزيل الاعتبار هو ان ليس اليهود والنصارى فقط يعتبرون اهميةَ كتاب الله هذا للانسان بل القرآن نفسه ايضاً يعتبرهُ هذا الاعتبار كما لا يخفى حضرتكم وتعلمون ايها المحترم انه قد نطق بالقرآن في اواخر القرن السادس للتاريخ المسيحي الزمان الذي كانت فيه الدولة العظمى في العالم مسيحية وكان المسيحيون اذ ذاك متمتعون بكمال الحريّة والرفاهية التي تمكنهم اكثر فاكثر من اشهار ونشر ديانتهم المحبوبة · الزمان الذي فيه وجد

عدّة طوائف وفرق نصرانية مختلفي المذاهب والعقائد اضداد بعضهم بعض وكان الكتاب المقدس بيد كل فريق منهم في لغته الخاصّة . فلاحظوا سيادتكم انه في ذلك العصر قد شهد القرآن للنصارى انهم اهل الكتاب بقولِهِ « يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ » (سورة المائدة اية ٧٢) وقولهُ ايضاً وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ — وقط لم يدَّعِ انهم حرّفوهُ ولم يقل يا اهل الكتاب لماذا حرّفتموه بل حتى تقيموا به فعليه يتضح اذاً من القرآن ان الكتاب التوراة والانجيل كان عصرئذٍ موجوداً بايدي النصارى تماماً بدون فساد فاذا كان ذلك كذلك فهل ممكن فيما بعد افسادهُ لا لعمري امرٌ لا يقبل الريب ان انتشار الكتاب في اكثر الاقطار المتمدنة ووجوده الطبيعي بيد كل فرقةٍ وشيعة نصرانية بلغتها الخصوصية فضلاً عن وجود التوراة بيد اليهود اعداء النصارى عموماً يجعل افساده وتحريفه فيما بعد محالاً كما لا يخفى نباهتكم . اذاً الكتاب هو اليوم تماماً كما كان في عصر القرآن وقبله كما أُنزِل من الله بدون اقل تغيير في الجوهر والغاية وعدا ذلك انه موأكد وجود عدة نسخ بلغات مختلفة منذ ذلك العصر وما قبله بايدي فرق نصرانية محفوظة بكل اعتناء في مكاتبهم وهي وما ترجم وكتب بعدها بحال الاتفاق العجيب الدالّ لا محالة على حفظ هذا الكتاب بيد من هو قادر على كل شيء وحفظه هذا العجيب في كل القرون السالفة من الملاشاة والافساد بين الدّ الاعداء سياسياً وادبياً الذين افرغوا سدى كل امكانهم بملاشاته هو من اعظم واقوى الادلة على كونه كتاب الله

سبحانه فهذه الاهمية والعناية الالهية التي لم يحرزها كتاب آخر في العالم جديرة ان تربط قلوبنا بهِ رباطًا لا تفكهُ ايدي المحاولة

بناءً عليهِ ترون حفظكم الله ان القول بتغيير وتحريف الكتاب هو لا محالة تكذيبٌ لشهادة القرآن لهُ فلا يمكن لمسلم ما القول بتغيير وتحريف الكتاب الاَّ بثلم شهادة القرآن ولا يمكن اعتبار شهادة القرآن هذه الا بالقول بعدم تحريف الكتاب وعدم افسادهِ ولا مناص من ذلك

فيا ايها الصديق الفاضل ان كتاب الله هذا الذي قد بانت سلامته لديكم من شوائب التغيير والتحريف أُنزِل الينا من ربنا لكافة معشر البشر اذ نحن خليقته تعالى وجميعنا خطاة امامه محتاجون الى الخلاص المعلن لنا فيه فلا يحق اذًا لانسانٍ عاقل من ايَّة امة كانت ان يستثني نفسه من وجوب اقتنائه ودرسه والتدرُّب بنصوصه وتعاليمه متى علم هكذا انه كتاب الله العزيز واذ كان لا كتاب في العالم لهُ ما لهذا من البيّنات والدلائل الراهنة على كونه كتاب الله فما بال حضرتكم تغضُّون الطرف عنه وتأْبون مطالعته بالرغبة والاعتبار الواجبين لهُ · وما اسقم ادعاء البعض بالاستغناء عنه بزعمهم ان هذا الكتاب للأُمَّة الفلانية لا لأُمتنا — ما البرهان على ذلك · أَاللهُ اديانٌ متنوّعة يوزعها على كل امة من خلقه · — كلاَّ وحاشا — الله واحدٌ — وديانتهُ واحدة ·

افليس هو خالق الجميع يعتني بكل منهم — اما يشرق علينا جميعاً شمسا واحدة ويمطر علينا جميعنا ويعطينا اثمارًا وخيراتٍ في اوقاتها · فلماذا لا تكون اعلانات رحمته للجميع · — بلى — هي للجميع — المسيح — شمس البرّ والحياة

هو للجميع — مخلصاً لكل من يؤمن به ولذلك امر بحمل انجيل نعمة خلاصه لجميع الامم قائلاً « اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » فلا غنى اذًا عن كتاب الله كما انه لا غنى عن القوت والماء . هذا وليتأكد سيدي ان يقيني الدائم بفضل حبكم مع اختياري حسن طويتكم ووفرة تقواكم قد بعثاني الى تقديم هذه العريضة اليكم معتبرًا اياها اجلّ هدية الوداد متوسلاً اليه تعالى ان يجعلها رائقة في اعينكم مقبولة لديكم ووسيلةً لاتخاذكم الكتاب المقدس دليلاً ومرشدًا في تيه ظلمات هذا العالم الباطل الى السعادة الابدية ورجائي عدم المؤاخذة بهذه المجاسرة مع تشريفي ان حسن براسيكم البهية وبكل خدامة تلزم فاني رهين الاشارة والامر وطال بقاكم

في غرة اوغستوس سنة ١٨٦١ الداعي

يوحنا غيور

ثم جلس الشيخ احمد عبد الهادي بعد انتهائه من القراءة وكان الجميع ساكتون يتاملون فيما سمعوه مقدار نحو ربع ساعة ثم قال الشيخ علي قد سمعتم هذه الرسالة وفهمتم ولا بدَّ قضاياها فما رأْيكم بها .

اجاب السيد ابراهيم مصطفى اما من جهتي فقد فهمت هذه الرسالة واني اراها لعظيمة المباني قوية الحجة ان صدق الكاتب في مدَّعاه وليس من السهل الرد عليها فعندي من الواجب ان نبحث في كل من قضاياها ومدَّعاتها واحدة فواحدة بحثًا مدققًا ومن ثم نرى فيما ينبغي اجراؤُه .

عند ذلك وقف السيد عبد القادر الفصيح وقال .

ايها السادة ان حضرة السيد ابرهيم قد فاه بكلام يوهم الحق في هذه

الرسيلة وان لم تكن غايته هكذا فاستسمح الان من حضراتكم لأَبدي لديكم رأْيي بشأْنها راجياً عدم المواخذة بهذه الجسارة كوني اصغركم سناً ودونكم مقاماً وعلماً فاقول — ان لنا نحن المسلمين القرآن الشريف كتاباً أَنزلهُ الله سبحانه على نبينا ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً كافياً وافياً مشتملاً على كل القضايا والاحكام والسنن الالهية الواجب على الانسان القيام بها والتي هي لخيره وسعادته — هو امُّ الفصاحة ومعجزة الباري لا مثيل له ولا يمثَّل — عليه الاعتماد وبه الرشاد فهو صراطنا القويم ومنهجنا الامين واليه مرجعنا في كل مسئلة ومعضلة اذ هو الحكَم الاعلى في الامور الدينية والادبية حذار حذار يا اخوان من الاغواء بملق اللسان والانجذاب بحكمة الكتَّاب فلقد طالما نشأَ كتَّاب ملحدون ذوو حكمة في صناعة التأْليف والتصنيف ادهشوا العالم بمهارة اقلامهم وسحروا الالباب بحسن اساليب كتاباتهم فكانت لذي جهل كالعسل العطري حال كونها سماً سقطرياً فلا ريب ايها السادة ان هذه الرسيلة متبطنة البطل وان تحلَّت بذكر الله وان هي لأَشبه بكاسٍ مذهبة مملوءَة سماً مميتاً فعندي من الرأْي اعدامها ومجاوبة مرسلها بما يؤُول الى حسم المحاورة اذ نحن مسلمون مؤْمنون بالله وبما انزل سبحانه في القرآن فلا حاجة لنا الى شيءٍ اخر والسلام ٠

وغب ان جلس وقف الشيخ عبد الحليم متوكياً على عكازه لضعفه وكبر سنه وقال يا اخوتي واحبابي ان اخي السيد عبد القادر قد فاه بكلام لا يزدرى به فنعم ما قال بشان الملحدين وكتاباتهم الكفرية الردية على ان ليس كل اسود عبداً ولا كل حمراءَ جمرة فلكم من جواهر بين الرمال فربما دسنا باحتقارٍ تراباً

كان فيه حجرٌ كريمٌ فليس من العدل سرعة العذل — دعونا يا اخوان نتخذ المسئلة بالحلم والاناءة متبصرين جيداً في موضوع هذه الرسالة وتفاصيلها — ربما عثرنا بذلك على فائدة نحن نجهلها — اننا لم نرَ فيها ما تأباهُ المسامع وتنكره العقول ولا شيءَ من الطعن بديننا بل كلاماً لطيفاً محكماً ممزوجاً بامارات الحب والاخلاص فهل والحالة هذه يليق بنا كعلماءَ طرحها بدون اجتلاء معانيها وامتحان دعاويها — ان صنيعاً كهذا لمن شأن الحمقى الاغبياء لا المتعقلين الادباء فمهلاً يا اخوان ولنتخذ هذه الرسالة محلاً في ساحة تعقلكم حتى يُرى فسادها فتُنْبَذ او صلاحها فتُقْبَل (اه)

ثم وقف عمر افندي زاكي وقال ارجو سادتي ان يسمعوا بحلمهم ما سابديه لديهم اختصاراً بخصوص هذه الرسالة — فهمت مقالات اسيادي المتقدمة فرأيت انها قد جمعت بين الحميَّة والحلم جمعاً يعتبر لدى كل ذي عقل سليم وهو جدير بنا لا سيما في عصر التمدن هذا الذي يجب فيه اتخاذ المسائل وتلقي الرسائل بالحمية والحلم الادبيين والقيام بما يحق لها من التروّي والمجاوبة فلا يقال بحقنا ان علماءَ الاسلام لفي حالة الخشونة والبربرة متى حشروا في ميدان المحاورة بالادلة الراهنة والحجج الدامغة طرحوها تحت اقدامهم عجباً وتيهاً وقابلوا مقدمها بالازدراء والتحقير . بل ليرى الملا اننا لسنا دون افضل علماء الامم بالتعقل والحلم والرزانة نقابل المسائل والرسائل بما يحق لها من الاعتبار والحرمة ونجاوب عليها ما امكن برقةٍ واتضاع فعندي من الرأي مراعاة ما قدمه سيدي الشيخ عبد الحليم وهو اتخاذ هذه االمسئلة بالاناة والتبصر لاستقصاء معانيها واجتلاء مبانيها ومن ثم نرى ما ينبغي من جهتها . وبما انه الان قد صار وقت

مناسب لفض الاجتماع فان شئتم لتكن كلماتي هذه خاتمة الحديث بهذا الموضوع في هذه الجلسة ونتخذ لانفسنا فرصة اسبوع كامل ليتمكن كل منا من وقت كافٍ للتأمل والنظر فيما سمع الان. ثم ان حسن نجتمع ايضاً ونعيد المذاكرة بشأن هذه الرسالة علّنا نتخلص منها بطريقة عادلة . فاستحسن الجميع هذا الراي وعوّلوا عليه ثم قدَّم لهم الشيخ علي شيئًا من الحلويات فاكلوا وانصرف كل الى محله .

الفصل الثاني

وكان في اثناء الكلام في هذه الجلسة ان الشيخ سليمان فاضل كان ساكتا يلوح عليه كأنهُ غائصٌ في بحارٍ من الافكار وحين الانصراف ذهب الى بيته وكأنه لا يدري أماشياً هو ام جالساً حتى لطم رأْسهُ عتبة باب داره فانتبه ودخل الى بيته واحيي كل ذلك الليل وهو يراجع جمل تلك الرسالة ويردد قضاياها مندهشاً من قوَّة ادلتها وسداد حججها فضاق به الامر وكان يجلس تارةً ويتمشى اخرى وهو يناجي نفسه قائلاً — نعم — نعم — القرآن يشهد للكتاب التوراة والانجيل — يشهد بصراحةٍ لا مزيد عليها ان اليهود والنصارى هم اهل الكتاب ولم يقل قط انهم حرَّفوه او بدَّلوه او افسدوه حال كونه كان قد مضى على التاريخ المسيحي مدة ستة قرون. اذًا لا ريب هو الان صحيح وسالم كما كان في عصر القرآن وان كان ذلك كذلك فيكون عيسى المسيح لا محالة الهًا متجسدًا مصلوبًا فداءً عن الخطاة حسب منطوق الكتاب — فكيف الامر يا سليمان وانَّى لك المخرج من هذه الدائرة — ما اقوى وامتن

حجج وبراهين تلك الرسالة · وهل حقاً ممكن نقضها ودحضها · هيهات ذلك لعمري من المحال — ولكن ماذا — هل دين الاسلام باطل · — لا اقدر ان اقول ولا احب ان اقول ذلك · ثم يعود فيغوص بالافتكار والتأمل في بينات الكتاب فتهبُّ في جسمه النار من جرى فرط الانحصار فيقطر العرق من جبينه ويكمد قلبه ويضيق صدره ثم يرجع الى مخاطبة ذاته قائلاً «صحيح اذا كان الكتاب ما تحرّف قبل انزال القرآن فتحريفه فيما بعد غير ممكن وعدم تحريفه ظاهر ايضاً من اتفاق شيَع النصارى عليه مع عدم اتفاقهم في العقائد والفرائض ومع انه كما يقول صاحب الرسالة يضاد كثيراً من عقائدهم وطقوسهم وعباداتهم مع ذلك لم يقدم فريقٌ منهم على تحريفه او تبديل بعض نصوصه وفقاً لارائهم وعباداتهم بل هو عند الجميع شيءٌ واحد في قضاياه ووصاياه واحكامه — واعجباه · واحيرتاه · — هل يا ترى يوجد عند بعض علمائنا منفذٌ من هذه الدائرة — هل في امكان قلم ما دحض هذه الحجج · لا اظن — لا — لا — لا يوجد ولكن اليس القرآن من الله — بلى — وانما ما اعظم الخلاف بينهُ وبين الكتاب المشهود له منه — كيف يشهد له هكذا ويخالفه هذه المخالفة الكلية · ان ذا لعجيب · فكيف التخلص ليت شعري من هذه المسئلة المُلبّكة المحيّرة لا ادري — هل يا ترى لم تخطر على بال احد من علمائنا في هذه الديار وان كانت خطرت على بال بعضهم فكيف تصرفوا بها — وكيف تملصوا منها هيهات التملص منها الاّ بالتناسي والنسيان ان امكن وانا لا يمكنني ان انساها ولا اريد ان انساها لانها مسئلة لا يعادل اهميتها مسئلة اخرى من مسائل الدنيا — مسئلة معرفة كتاب الله مسئلة ينبغي التصرف بها بالتعقل والانصاف

وما تناسي هكذا مسئلة الا ضربٌ من الحماقة والجهالة — فماذا اعمل وكيف اتصرف اه — اما خطر ياترى هذا الخاطر على قلب احد غيري من رفاقي العلماء في ذلك الاجتماع حال كون اكثرهم اسمى مني عقلاً واوفر حذقاً — لا بدَّ — فارى ان اكتشف امري هذا للشيخ محمود الرافعي ونظراً لحبه اياي ووفرة تقواه وفرط ميله الى الوقوف على كنه القضايا والمسائل لاسيما ما كان بامر الدين لي الرجاء انه يكون مساعداً لي في هذا الامر وهكذا بقي على هذه الحال منزعج البال مضطرب الافكار حتى مطلع الفجر. وكان اذ ذاك قد انهكه السهر والتعب مما قاسى من جهاد الافكار وانطرح على مقعده ورقد نحو ساعتين من الزمان ثم نهض وحمد الله وصلى طالباً منه تعالى الاعانة والهداية. ثم اتى منزل الشيخ محمود فدخل عليه وسلم وغب ان جلس التفت اليه الشيخ محمود وقال له مالي اراك يااخي متغيّر اللون هل اعتراك ضعف الليلة . اجاب كلاَّ ياسيدي لله الحمد اني بحسب دعاكم باحسن صحة ـ اذاً ماذا - لا بدَّ من سببٍ هل توقع معك امرٌ مكدر اخبرني لا تكتم عني. اجابه نعم واذ لا استطيع ان اخفي عن سيدي شيئاً ارغب ان اخبركم ما جرى لي الليلة فان حسن لديكم دعنا ندخل الجنينة ونتمشى قليلا فقال حباً وكرامة وغب ان دخلا وجلسا تحت احدى الاشجار قال الشيخ هات اخبرني امرك يا اخي ـ اجاب الشيخ سليمان املي وطيد ان تحتمل مني بحلمك ما سابديه لديك وتعاملني بالحب الذي اعهده لي عندكم خاصة — قال تكلم بحرية ياصديقي لاتفتكر . اني ابغي راحتك وخيرك ـ فاثنى عليه وقال . اعلم ياسيدي اني لم اذق الليلة طعم المنام حتى الصباح بل صرفت ليلي بمراجعة قضايا تلك الرسالة التي وقفنا عليها

امس منذهلاً من قوّة ادلتها ومتانة حججها وقد اجهدت نفسي عبثاً في ايجاد مخرج شرعي منها واذ قلقت نفسي من ذلك كل القلق رمتُ التخلص من التأمُّل والتفكر فيها فلم افز بذلك بل خيل لي ان صوتاً غريب القوّة يقرع أُذنيّ بدون انقطاع يدعوني للاقتناع بتلك القضايا المهمة المدوّنة فيها· وكأني ارى بها حبالاً متينة جدًّا رابطة ذهني تجذبه بقوّة شديدة نحو غاية تلك الرسالة رغماً عن ارادتي فطار نومي ولم ارقد حتى الفجر· فهذا هو امري وعلّة كمد قلبي كما ترى وبعد التفكر طويلاً فيما ينبغي عملهُ بالنظر الى ذلك قلت اقصد سيدي وسندي الشيخ محمود علّهُ يفرج كربي ويريح فكري بصالح رأْيه وحسن اشارته او بالاقل احصل على راحة في بثّ ما في نفسي الى رجل فاضل نظيره· لذلكُ جئتكم الصباح فتأَمل سيدي امري وارشدني الى ما به الراحة والصواب ولكم من الله جزيل الاجر والثواب · فتوقف الشيخ محمود عن المجاوبة برهةً من الزمان ثم التفت الى الشيخ سليمان وقال يا اخي ان المسئلة التي جالت هكذا في خاطرك وازعجتك كل هذا الانزعاج هي لاعظم واهم المسائل تستوجب افراغ التامل والتبصر ولا ريب ان ما قد جرى لك هذه الليلة بسببها من القلق والانحصار هو من عناية الرحمن فكن براحة واصغَ لمقالتي انا ايضاً · قال تفضل سيدي فقال · انت تعلم يا اخي انشغافي بكلام الله وانصبابي الزائد على تلاوة القرآن لحدث اذ كنت اتلو بعض سوره بقلبٍ خاشع متصدع وعواطف متهيجة حتى كانت الدموع تحدر على خدي من فرط الخشوع والهيام عثرت على آية في سورة الانعام جعلتني صامتاً مندهشاً ومتعجباً من نفسي مقدار ساعة من الزمان لاني قرأْتها مئات من المرات ولم انتبه اليها حتى الان — وهي

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ » اية ١٥٦ اي انزل على طائفتي اليهود والنصارى فقلت بنفسي كيف يسوغ لنا اذًا التغافل هكذا عن درس كتاب الله ثم نبهتني هذه الاية الى آيتين اخريين في سورة المائدة وهما ٠ «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ » اية ٧٠ « قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ » اية ٧٢٠ نخفق فؤادي لدى تأملي بهذه الآيات المهمة والتهب قلبي شوقًا لذلك الكتاب الجليل والاطلاع عليه فقلت في نفسي كم من السنين وانا اقرأ القرآن ولم انتبه حتى الان الى مثل هذه الايات الثمينة التي لفظتها شفتايَ مئات ومئات من المرَّات ٠ فما اشبهني برجل اجهر العينين وهو يجول في البرية في حرّ النهار الساطع الضياء يمرُّ ذهابًا وايابًا على جواهر كريمة بادية وهو لا يراها فيهملها ويمضي حال كونه بفرط الاحتياج الى مثلها ٠ ومن ثم قصدت رجلاً يهوديًّا فاشتريت منه نسخة من التوراة ولم اطلبها من نصراني لفكري انه ربما النصارى حرّفوها وفقًا لمعتقدهم بالوهية عيسى وصلبه كما هو شائع بين المسلمين واشتريت انجيلاً من مخزن الكتب واخذت بمطالعتهما بكل رغبة ولذة وبالمقابلة بين التوراة والانجيل مستعينًا في ذلك بمؤلف جميل يسمى « مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين » استقرضته من بعض اصدقائي المسيحيين فوجدتهما بالحقيقة ينطبقان بعضهما على بعض انطباقًا يصيرهما كتابًا واحدًا ففهمت حينئذٍ سبب تسميتهما

في القرآن «الكتاب» لا «الكتابين» لان روحهما واحدة وغايتهما واحدة ثم اخذت بمقابلتهما مع القرآن فرايت القرآن يوافق الكتاب من وجهٍ و يخالفه من وجهٍ آخر اما وجه موافقته الكتاب فهو من جهة الحبل بالمسيح من دون رجل وحياته الطاهرة ومعجزاته البديعة ونسبته على نوع ما لله انه روح الله وكلمته لان الانجيل ينص هكذا ولا خلاف بذلك بينهما الاَّ فقط بنسبته لله خلافٌ جزئيٌّ باعتبار ايات الكتابين لان القرآن يقول عنهُ روح الله والانجيل ابن الله — واما وجه الخلاف بينهما فهو ان التوراة والانجيل يدعوان المسيح الهًا وتنبي التوراة عنه انه يقدم نفسه قربانًا لله فداءً عن الخطاة وانه كخروف يساق الى الذبح وانه يسكب للموت نفسه الى غير ذلك من الانباآت كما يرى على الخصوص في الاصحاح الثالث والخمسين من نبوة اشعيا والانجيل يخبر عنه انه صُلب وقبر وقام لاجل خلاص البشر والقرآن ينكر ذلك مصرحًا بانهُ انسان فقط مثَلَه كمثل ادم رسولاً من الله لم يصلب ولم يمت بل لم يزل حيًّا · عند ذلك اضطربت نفسي وا زعجت روحي من هذا الخلاف العظيم بين كتابين يدعيــان كتابي الله ثم قلت في نفسي ادا كان القرآن يشهد هكذا ان التوراة والانجيل هما الكتاب المنزل منه تعالى على امتي اليهود والنصارى الطائفتين المشهورتين بالعدوان الديني من حين ظهور المسيح فهل يصدق والحالة هــذه اتفاقهما على تحريف التوراة تحريفــاً موافقاً للانجيل على نوع يصيغهما كتاباً واحداً في القصد والجوهر الامر الذي يضحى تشييداً لدين النصارى وخزياً لليهود — ان ذا لعمري بعيد الوقوع والاحتمال وان كان ذلك كذلك فعلى ماذا ليت شعري تدل هذه المطابقة العجيبة المبكتة اليهود على انكارهم المسيح

وصلبهم اياه الاَّ على ان الكتاب لم يشبْهُ تغييرٌ ما بل لم يزل تماماً على ما كان عليه ثم قلت ان كان الكتاب ما تغيَّر فيكون ولا ريب ان عيسى المسيح هو ابن الله الهاً متجسداً مماتاً بالجسد فديةً عن العالم حسب منطوق الكتاب وغايته الظاهرة في كلٍ من اسفاره تقريباً وان كان ذلك يفوق العقل . وعليه ما العمل بالقرآن المنكر الوهية المسيح وموته بالجسد الامر الذي هو غاية التوراة ونفس الانجيل فازددت لذلك اضطراباً وحيرةً وبقيت على هذا المنوال اياماً كثيرة لا يدري ما بي من ذلك الاَّ الله حتى انحل جسمي وصرتُ كمن اعتراه مرضٌ مزمنٌ ومما زادني ضيقاً الكتمان لاني خشيت من كشف امري الى احد من علمائنا او الى احد الاجانب احتساباً ان يؤدي بي ذلك الى اتعابٍ لا استطيع احتمالها ولكن لما رأيت ذاتي غير قادر بعد على الكتمان المطلق عزمت ان انتهز الفرصة بالسؤال عن ذلك من احد العلماء الافاضل وبقيت اعلل نفسي بامل الفرج من ذلك الى ان زارني يوماً ما استاذي المرحوم الشيخ رشيد الكيلاني وبناءً على ما اعهده من رقة اخلاق المومى اليه وكرم طباعه رايت ان اكشف له الامر اذا سنحت لي الفرصة وبعد ان ان جلس وراني على تلك الحال قال لي مالي اراك يا محمود نحيلاً كئيباً قلت جيد بحسن توجهاتكم قال كلا وافتكر ان السبب في ذلك هو اجتيازك الحدود في النسك والزهد بكثرة الصوم والسهر والدرس وتحريمك نفسك ما يحلُّ لها من نِعَم المولى وانا لما بلغني عنك ذلك تكدرت في الداخل لعلمي ان هذا مما يزيد انحطاط جسمك ويقصرك عن القيام بالواجبات نحو امتك ووطنك لذلك جئت انصحك بالمحبة ان تقتصر على ما ما فرض عليك في كتابه تعالى وتمتّع نفسك هنيئاً مريئاً بما انعم

المولى عليك من بركات هذه الحياة — قلت نعم لا بأس سيدي من استعمال بركات الله ولكن ليس الحال كما بلغكم عن تلميذكم من فرط النسك والتزهد واسال سيدي · اما العقل اعظم بركة من الله للانسان قال بلى — قلت الايجب اذاً استعماله في الابحاث والاحاديث النافعة لاسيما ما كان لجهة الله عزّ وجلّ · قال كيف لا · قلت ارغب اذاً في هذه الفرصة الثمينة في ان استفيد من سيادتكم عن سؤال اسأل حضرتكم اياه · قال سلْ ما بدا لك · قلت اشكر لطف مولاي · اين التوراة والانجيل اللذين يشهد لهما القرآن الشريف فاجاب اعلم ياولدي ان خلاصة التوراة والانجيل محويَّة في القرآن · قلت نعم ان القرآن يحوي جملاً برمتها من ذلك الكتاب ولكن ذلك لا يروي غليلاً فاحب الوقوف على الاصل · قال ان الاصل يامحمود قد افسده اليهود والنصارى بتحريفهم اياه · قلت وكيف ذلك قال ان اليهود قد اختلف علماؤهم في الرأي والمعتقد فحرّف كل منهم شيئاً من التوراة حسب هواه ومذهبه والنصارى زعموا ان عيسى ابن مريم الهٌ وان اليهود قد اماتوه صلباً وانه بموته هكذا قد محى خطايا امتَّهِ فحرّفوا الانجيل تحريفاً يوافق زعمهم ووهمهم هذا — قلت وهل يحرّف اليهود توراتهم تحريفاً يوافق زعم النصارى وانجيلهم المحرّف · قال كلاً — قلت اذاً ما معنى تلك النبوات العديدة في توراتهم المنبئة عن عيسى المسيح انباءات جلية توافق بالتمام زعم النصارى وانجيلهم وعلى الخصوص الاصحاح الثالث والخمسون من اشعيا حيث قيل فيه « ولكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها ونحن حسبناهُ مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل اثامنا تأديب سلامنا عليه وبجبره شفينا · كلنا

كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقهِ والرب وضع عليه اثم جميعنا ضُرب من اجل ذنب شعبي وجعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته على انه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش . الى ان يقول . « بمعرفته يبرر كثيرين واثامهم هو يحملها من اجل انه سكب للموت نفسه وأُحصي مع اثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين » وقس على ذلك كثيراً من النبوات التي لا يسعني ايرادها الآن لحضرتكم المشخصة عيسى بن مريم كالهٍ وانسان فادي الخطاة بدمه تشخيصاً يطابق الانجيل ويوافقه من كل وجه فاذا كان اليهود غير محرّفين توراتهم تحريفاً يوافق زعم النصارى وانجيلهم المحرّف كما قلتم سيادتكم فكيف اذاً يوجد فيها مثل هذه النبوات التي تنطبق هكذا على الانجيل انطباقاً يصيرهما كتاباً واحداً نعم كتاب واحد كما يشهد القرآن الشريف بقوله « اذ تقولون انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا — الاية » . الذي يبيّن عدم تحريف النصارى انجيلهم وان معتقدهم بالمسيح ابن مريم مبنياً على أُسس راسخة ومتينة — فكيف التخلص مولاي من هذا المشكل والخروج من هذه الدائرة ارجوكم الافادة ولكم الفضل والثواب . فصمت الشيخ برهة فنظرت اليه واذا هو عابس جداً مقطب الجبين يلوح على وجهه السمين لوائح الغيظ الشديد ثم قال بصوت جاش « اراك يامحمود تميل جداً الى دين النصارى السقيم بل كأنك صرت نصرانياً فهل تترك دين الله الاسلام . ويحك كن على حذرٍ من ذلك . ولا تخسر نفسك دنيا وآخرة » فلما رأيت منه ذلك بخلاف المعهود من حلمه ورقة اخلاقه اخذتني الحيرة فقلت بقلبٍ قد خامره الخوف حاشا يامولاي ان اترك الصراط المستقيم انما رغبتي الافادة من

سيادتكم عن مثل هذه الأمور كي اقدر ادفع بعدلٍ هجمات النصارى الدينية — وهل يليق بنا ان نكون اضعف من علماء النصارى واقصر باعاً في ميدان البحث والمحاورة — قال كلاّ كابطال نثبت في ميدان المحاورة والمناظرة هجوماً ودفاعاً محامين عن شرف ديننا حق المحاماة من وجهين . الوجه الاول هو ان النصارى يشركون بالله اذ يجعلون له ابناً مساوياً له في الازلية والقدرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوءًا احد

والوجه الآخر المناقضات الكثيرة في كتابهم فانك ترى آية تناقض اية وقصة تناقض قصة . أَلم تطلع على كتاب « اظهار الحق » لرحمة الله الهندي —طالعه وتأَمله جيداً فترى ما افسد الديانة النصرانية وما احق وابهى الاسلام فانت يامحمود رجل بسيط القلب سريع الانخداع فانتبه واحذر ولا تضل مع الضالّين — اما انا فلما لحظت شدة انفعاله من حديثي امسكت عن الكلام وقلت في نفسي عجباً كيف شيخنا بعدما قدمت له كل هذه الادلة وجَّ من اسانه وربط هكذا من فمه بحيث لا يمكنه الفرار بحق وشرف من دائرة الدليل والبرهان قد عرَج عن الحق هكذا بدون مراعاة اصول المناظرة كأَنّ لا شيء مما ذكر وقيل . فهل هو يجهل ام تجاهل . الارجح انه تجاهل ولم يرَ باباً للفرار من هذا الميدان الا النفور وعدم الاتفاق على ما كان من الكلام غير ملتفت الى الحجج والبراهين . لكن ايليق ذلك بعالم نظيره . ثم قلت آه ما اقوى حب الانسان للتمسك بما قد ربي عليه ونشا ولعمري ان هذه الملكة قد عظمت شقاء الانسان وويلاته كما يرى . ثم بعد برهة قام الشيخ وخرج من عندي فشيعته الى خارج الباب وقبّلت يديه مرتين متوسلاً اليه الا يواخذني بما قد تجاسرت

به وان يرضى عليّ فاجابني بالايجاب ثم دخلت وانفردت في مخدع واخذت بالصلاة لله بدموع غزيرة طالباً منه تعالى ان يرشدني ويريحني وانعكفت اكثر فاكثر على درس الكتاب ولكن بقلق وخوف ليسا بقليلين . فكنت بالنظر الى هذه الحال كفلكٍ صغير تقاذفه الامواج لا اعرف ماذا اعمل حتى جرى ما قد جرى من ورود هذه الرسالة واجتماعنا في منزل الشيخ علي فلاحَ على قلبي فجر صباح مبارك . اسأل الله وهو اكرم مسؤول ان يعقبه ببزوغ شمس ساطعة النور . ثم سكت وكان في اثناء كلامه الاخير ان عينيه الحادّتين كانتا مغرورقتين بالدموع فأثّر ذلك واي تأثير في الشيخ سليمان الذي كان يسمع الحديث بكل اصغاء ووقار . ثم غب ان لبثا برهة صامتين قال الشيخ سليمان بالحقيقة ان ا رك هذا ياسيدي لأعظم مما انا فيه واني لاحمد الذي قادني الى كشف امري الى رجل قد حصل له فوق ما حصل لي وحقًّا ان الملاحظات الجيدة التي لاحظتموها سيادتكم في الايات القرآنية بخصوص المسيح والكتاب من النادر جدّا ان يلاحظها مسلم من دون اشتباكه مع علماء النصارى في كذا حديث او من دون اطّلاعه على بعض تاليفهم بهذا الشان فهلمّ الان سيدي ان شئت نخوض قليلاً في مثل هذا الحديث الذي لا ارى الذ ولا اهمّ منه فقل لي هل ما يظهر من المناقضات في الكتاب يوجب طرحه كملح قد فسد اذا كانت في الجزئيات دون الكليات قال كلا ولكن يا ترى ما سبب ظهور هذه المناقضات وهل هي دخيلات ام اصيلات اجاب الشيخ محمود ارى ان بعضها اصيلات وبعضها دخيلات وارى ان الاصيلات ليست هي بالحقيقة مناقضات ولكنها تظهر هكذا لغير المتعمقين في الكتاب وذلك ناشئ طبعاً من

تباين ازمنة كتابة اسفاره واختلاف عوائد تلك الازمنة وتباين حال وعوائد كل من المكتوب اليهم تلك الاسفار وغاية الكاتب بالنظر الى ذلك والدخيلات هي حسب فكري لابدّ تكون قد وقعت سهواً من نسّاخ الكتاب في القديم وهي ما لا يعتد به كما لا يخفى ولا تؤثر البتة على صحة الكتاب وغايته واما القضايا ذات الاهمية فيه فلا يرى فيها شيءٌ من التناقض بل هي متفقة متحدة معاً كحلقات سلسلة واحدة من معدن واحد · وماذا تفتكر هل لا يوجد في القرآن مناقضات · بلى — يوجد شيءٌ من ذلك نعم بل عدد وافر بعضها في القضايا ذات الاهمية كما لا يخفى ومع ذلك لا ينبذه العلماء اذ ينسبون ظهور ذلك الى عدم مفهومية الانسان كنه الكتاب فكم بالحري لا يسوغ بوجه ما نبذ الكتاب المقدس بناءً على ظهور بعض الاختلافات في جزئياته وله من الادلة والبينات الراهنة ما يكفي للاقتناع بانه كتاب الله كما تقدم فيما مر ·

صدقت ياسيدي وشهادة القرآن للكتاب في القرن السادس للتاريخ المسيحي جديرة ان تقود الامة المحمدية لاعتبار سلامة التوراة من التحريف والتغيير اذ تحريف الكتاب فيما بعد بعيد الامكان كما يزعم صاحب الرسالة هذا والعقل لا يسلّم ان الله القادر لا يمنع كتابه العزيز من الخلط والافساد بل ما يرتاح اليه العقل هو ان كان الله جلّ شانه انزل كتاباً الى خلقه لابُدّ ان يبقيه سالماً صحيحاً الى نهاية العالم شاهداً لكمال عظمته تعالى وجوده غير المتناهي واما الكتاب المنسوب لرحمة الله الهندي الموسوم « باظهار الحق » الذي يتسلح به كثيرون ضد الكتاب فالاحرى به ان يوسم « باخفاء الحق » لا اظهاره لانه عدا عن خلوّه من روح الاخلاص والتقوى يرى باقل تبصر ان غايته

الهدم لا البناء · وهو قط لا يضرب على اركان الكتاب واساسه بل على شرفاته كما يشير صاحب الرسالة فيرغب في ان يقنعنا بكونه محرفاً ومفسداً بناءً على تفريق شرفاته مثلاً واختلاف الوانها ولكنه لا يوجد فيه البتة بينة على ذلك تقوم بازاء الادلة الراهنة والبينات القاطعة على صحة سلامته · ولا يخفى ان المبدأ الذي اتخذه هذا المولف لبيان فساد الكتاب اذا فرضنا صحته لزمنا الاقرار بتحريف القرآن ايضاً فهو بذلك اشبه بمن يقصد هدم بيت انسان لزعمه انه سقط لا يصلح للسكن ولا يبني له آخر بل ان سلّم له يفعل ويتركه بدون مأوى فلا ارى غاية هذا الكتاب الا هدم المعابد ومحو اثار الدين عن وجه الارض (وقى الله كتابه ودينه من كل افةٍ وباغٍ ظلامة) وكما نوهت فيما تقدم انه قط لا يتعرض لافساد البراهين الراهنة التي بها يحامي ائمة النصارى عن كتابهم التي منها (اولاً) نجاح الانجيل في العالم وتغلبه على عناصر قوية جداً بدون مداخلة القوة العالمية والحكمة الانسانية ·

(ثانياً) وجوده بلغات عديدة بايدي امم مختلفة العوائد والمذاهب بدون فرق يعتبر في قضاياه الجوهرية وغايته

(ثالثاً) وجود نسخ خطّية وافرة العدد قديمة العهد جداً طبق النسخ الحالية

(رابعاً) مطابقة التوراة للانجيل مطابقة تعتبر (كما ذكرتم سيادتكم) حال كون كل منهما بيد طائفة عدوانها للاخرى اشهر من نار على علم · اذاً هذا المؤلف اسم بلا مسمى لا يعتدُّ به ولا يستحق شيئاً من الاعتبار من اهل الدين على الاطلاق · قال الشيخ محمود نعم يا اخي كتاب الله هو كما أُنزل فهو كجبل صخري شامخ راسخ لا تؤثر فيه الانواء ولا تضرُّ به امواج الاعتراضات

والقدح بل كلما تراكمت عليه ازداد مجداً وبهاءً · ولكن باالمضادة الجسيمة والخلاف العظيم بينه وبين القرآن في مسئلة المسيح كما تقدم فاذاً لابد من رفض احد الكتابين بالنظر الى ذلك اذ لا يمكن قط قبول الواحد بدون رفض الاخر وهذا الامر يزعجني واي انزعاج · ان اتخذت رأي الكتاب بخصوص لاهوت المسيح وموته بالجسد فداءً للخطاة اكون قاومت القرآن وتركت الاسلام—وان اتخذت رأي القران وعملت فيه اكون رفضت كتاب الله المبين المشهود له من القرآن فأقع لا محالة تحت سخطه تعالى فاياً منهما اختار · على اني اشعر في داخلي بميل كلّي نحو الكتاب كأن يداً غير منظورة عجيبة القوّة تدفعني بعنف نحوه ولقد طالما قاومت هذا الميل حتى عجزت عن المقاومة فانا الان اختار الكتاب دليلاً ومرشداً في الايمان والعمل والله حسبي ونعم الوكيل · فماذا ترى يا اخي وما فكرك ·

اجاب الشيخ سليمان بما انه قدبدى لنا هكذا صحة وسلامة الكتاب الالهي كما تبدو الشمس في رابعة النهار فمن الجهالة ان لا نعتمده قانوناً لحياتنا ونوراً لسبيلنا فرأيي رأيكم من هذا القبيل واي شيء الذ للعقل واسلم للقلب واريح للضمير من التمسك بسبيل الحق · قال الشيخ محمود اني لمسرور سروراً لا يقدَّر بموافقة فكرك فكري ورأيك رأيي وحقاً لاسلام ولا راحة للضمير الا باعتناق الانجيل الذي اعلن لنا موافقة عدل الله ورحمته « بيسوع المسيح » قال الشيخ سليمان بعد ان ظهر مزيد سروره بهذه الموافقة والاتحاد ارجوكم سيدي ان تسمح لي ان اقول ايضاً شيئاً في امر القرآن بالنظر الى المسيح لاجل تتميم لفائدة واللذة قال تفضل · قال اني ارى بين القران والكتاب مقاربة كلية

من جهة المسيح في ثلث قضايا · القضية الاولى— ولادته من دون زرع رجل — القضية الثانية — اتيانهُ بمعجزات كلية منذ طفوليته — القضية الثالثة — نسبتهُ لله كما اشرتم بقولكم السالف فالكتاب يدعوه ابن الله وكلمته والقرآن روح الله وكلمته فهذا التقارب كليّ يكاد يكون القولان قولاً واحداً فلا غرو ان وصف المسيح هكذا في القرآن وصفاً يكاد يكون كوصف الكتاب له يدل على سمو المسيح على البشر قاطبةً والا فما الداعي لولادته على نوع خارق ناموس الطبيعة – هل يفعل الله شيئاً بدون داعٍ · حاشا وكلاّ —اما يقود ذلك الى الفكر بان الذي ولد من البشر بدون ابٍ هو ابنٌ لله حسب منطوق الكتاب وان الذي اتى بمعجزات لم يسبقه فيها نبيٌّ حتى معجزة الابداع حسب القرآن هو سيد الانبياء والمرسلين ورب العالمين حسب الكتاب وان كان المسيح مثَلَه كمَثَل ادم انساناً فقط مرسلاً من الله لماذا دُعي في القرآن روح الله وكلمته مستثنى بهذا النسب عن الانبياء والمرسلين كافة الا ان هذه الامتيازات العظيمة والنسب الكريم تدلُّ على ان المسيح شخص عجيب فريد في ذاته وكمالاته وسمو شرفه بين البشر فالقرآن يدل على غرابته وتفرده وسمو شرفه على انبياء الله ومرسليه كافة بمثل القضايا المذكورة بدون ان يكشف لنا الغطاء عن سره الباهر المعلن في التوراة والانجيل اللذين يحتاجهما كل مسلم ليرى سر الشخص العجيب الموصوف في قرآنه · قال الشيخ محمود نعم ان المسيح في الكتابين فرد عجيب والمستغرب كثيراً عدم ملاحظة علماء المسلمين ذلك في القرآن وهم يتلون سوره فاني قرأته اكثر من خمساية مرة حتى استظهرتُ اكثره ولم انتبه باثناء ذلك الى هذا الامر الخطير وقط لم اكن

مغرماً في عيسى قدر عشر غرامي في محمـد حال كونه هو الموضوع الجوهري في الكتابين والمحور الوحيـد الذي عليه تدور كل اقوال الله بل هو كالمركز الشمسي تدور حوله الكواكب مستمدة النور منه ٠ امر بيّن ان الانبياء والرسل كافة تدور بنبواتها وتعاليمها حول المسيح شمس البر والحياة مشيرة اليه ومستمدة منه نور المعرفة والبركة فقد اتضح لنا يا عزيز ان عيسى ابن مريم هو المسيح ابن الله مات بالجسد لأجلنا ليغفر خطايانا ويصالحنا مع ابيه فما هو رجاؤنا وانتظارنا في عالم الزوال الا اننا نتوقع الحياة الابدية في دار الخلود ٠ قد عرفنا ان تلك الحياة هي في المسيح الفادي وهو يعطيها للمؤمنين به حسب الانجيل — واذ قد عرفنا هكذا فماذا يمنعنا من الشهادة لحقه وحبه العجيب فلنتشجع يا عزيز ولنتكلم بحرية بشانه في الجلسة القادمة ولكن ليس على سبيل الخبر اولاً بل على سبيل السوال والمخابرة وليبارك الله اجتماعنا وليشرق نور حقه على اذهان اصحابنا كافة٠ وارى الانسب لنا ان ندعو السيد عمر الحارس ونطلعه على افكارنا هذه وناخذ رايه في ذلك فاني اثق به جداً لانه انسان مستقيم عاقل حسن الطوية٠ وهو صديقي منذ حداثته وقد اطلعته قبلاً على بعض افكاري بخصوص الكتاب فسر بذلك كثيراً٠ وهو يتكلم باعتدال واخلاص على ما يتضح له وقط لا يراعي حرمةً للهواء والغرض ولا يتكلم بخلاف ما في قلبه لعله يكون عضداً لنا في هذه الجلسة والخيط المثلوث لا ينفصم ٠قال الشيخ سليمان احسنت ياسيدي فارسل للحال الشيخ محمود فدعاه وغب السلام وترددد التحيات قصاَّ عليه ما كان بينهما من الحديث وما عزما عليه فبقي مقدار ربع ساعة لم يفه بكلمة وكان يظهر على وجهه لوائح الاندهال والتحفظ فقـال له

الشيخ محمود قد دعوناك ياخي وصديقي العزيز لنبدي لك امرنا لعلي بماعندك من الاخلاص والاستقامة وانك تحامي عما يبدو لك من الحق بكل امانة ونشاط فما تراه صواباً في قصتنا فاحكم به وما تراه خطاءً فأرِنا اياه وان شئت كن معنا في الحق وعلينا في البطل كما هو دأبك · فاجاب حاشا لك يا سيدي من ارتكاب متن البطل غير ان سكوتي ناشئ عن سببين (الاول) هو تأملي في القضايا التي سمعتها قبل الحكم عليها (والثاني) تبصري في سوء المعاملة التي ينتظر ان تصادف من تمسّك منا بهذا الامر الذي قد تقرر في ذهنكما واما ما ذكرتموه فارى انهُ قرين الصواب من وجهين (الوجه الاول) هو الادلة الراهنة لصحة الكتاب التي لا تترك البتة مخرجاً شرعياً لمنكري صحته · الثاني المقاربة الكلية او بالحري المطابقة المعنوية غير المقصودة بين القرآن والكتاب من جهة الوهية المسيح· اما الداعي فاني بكل قوتي احافظ ان شاء الله حتى الموت على حقي في الحكم بدون غرض ولا محاباة في كل ما يستبان لي حقاً · فقال الشيخ محمود اذاً انت موافق لنا على ما تقدم قال ان شاء الله وانت تعلم يا سيدي اني استفدت قبلاً من حضرتكم شيئاً بخصوص الكتاب واستصوبت وقتئذٍ رايكم فيه ولكنني كما ترى رجل ضعيف عن احتمال المقاومة اسأل الله المساعدة وبعد المحادثة ملياً بهذه الامور وتشجيع بعضهم بعضاً انصرف كل الى مكانه · وكانوا في كل يوم يخرجون نحو الساعة العاشرة الى تلٍّ خارج البلد متحدثين في تلك الامور المهمة الى ان انتهى الاسبوع

الفصل الثالث

ولما كان الوقت المعين للاجتماع اجتمع كل العلماء المتقدم ذكرهم في منزل الشيخ علي وغب ان استقر بهم الجلوس وحيى بعضهم بعضاً وقف الشيخ علي وافتتح الجلسة بما يأتي · سادتي الاحبا اني مسرور جداً باجتماعنا معاً بالمحبة مرة اخرى في محلكم هذا لغاية دينية صالحة فاقول · لا اخفي انا معشر البشر جنس واحد جبلة اله واحد فنحن اذاً اخوة ولو اختلفنا بالاديان والعوائد وما نشأ هذا الاختلاف الّا عن فساد القلب وظلام العقل ولا بد جميعكم تحكمون ان هذا الانقسام والشقاق ديناً وعادةً قد ادّى بجنسنا الى الشقاء الحالي اذ اسّس العدوان والبغضاء في قلوب الامم بعضهم لبعض حتى صار مثلاً المسلم ينظر الى المسيحي شزراً والمسيحي الى المسلم كرهاً الامر الكلي الرداءة · ومن يستطيع ان يقدر انواع الاتعاب والشقا الناجمة عن ذلك · فما الدواء ليت شعري لهذا الداء · احقاً لا طريقة لاصلاح هذه الحال · بلى · اكل داء دواء فارى ان الدواء الوحيد لهذا الداء هو نبذ روح الشقاق الادبي وتربية حاسات المحبة الجنسية في القلب لكل من بني آدم · واخلاء التعصب الديني والبحث باخلاص وامانة ونشاط عن الحق الالهي باستمداد ارشاد المولى الكريم · على انه وا اسفاه من المستبعد جداً ان لم نقل من المحال اتفاق افراد الجنس على اتخاذ هذا الدواء الفعال لاصلاح شؤون الانسان ولكن اذا كان كذلك فهل يسوغ لنا كعقلاء التقاعد عن ذلك اما نحن بعض من هذا الجنس واما نحن بالاشتراك في تعاسة هذه الاقوال · واما نحن تحت مسؤليته تعالى فالجدير بنا اذاً نبذ

روح التعصب من قلوبنا واعتبار جميع بني جنسنا الانساني اخوة بالطبيعة يستحقون منا حسن المعاملة بالمحبة والرأفة . والآن ان حسن لديكم لنبحث في المسئلة التي لاجلها اجتمعنا الآن هذا الاجتماع المسرّ ولنبدي بكل حرية افكارنا ونبث فيها اراءنا وليبارك الله اجتماعنا ويلهمنا الخير والصواب لمجد اسمه الكريم امين .

ثم جلس وغب جلوسه طلب بعضهم ان تتلى عليهم ايضاً تلك الرسالة فوقف الشيخ احمد عبد الهادي وقرأها مرةً اخرى بكل تأنٍ ووضوح وكان حينئذٍ كل من الحاضرين يستعمل قلمه بكتابة خلاصة قضاياها وبعد الانتهاء من قراءتها كان الجميع سكوتاً يتأملون ويزنون تلك القضايا ثم اخذوا في الحديث اخذاً وردّاً سلباً وايجاباً الى ان وقع الاتفاق على التأمل في قضايا الرسالة واحدة فواحدة ان امكن والمداولة فيها بالتي هي احسن .

فقال الشيخ احمد ان صاحب الرسالة يدّعي ان التوراة حُفظت منذ انزالها الى يومنا هذا سالمة من التحريف والتصحيف التغيير والتبديل وان لذلك بيّنات راهنة منها ثنتان (الأُولى) ان التوراة التي انزلت بالعبرانية على طائفة اليهود هي طبق الموجودة بلغاتٍ عديدة عند طوائف النصارى . ومع كونها باعتبار نبواتها تضاد اليهود في انكارهم المسيح وكفرهم به وتضاد كثيراً من تعاليم وطقوس وفرائض اكثر المذاهب النصرانية ومع ذلك لم يقدم هؤُلاء ولا اولئك على تغيير او تبديل بعض نصوصها بحيث تكون على نوعٍ ما موافقة لآرائهم ومراسيم عباداتهم فلا جرم ان ذلك من اقطع الادلة على كونها محفوظةً بيد من انزلها تعالى من التلعب فيها رغماً عن كل مقاوميها ومضاديها . فان حسن لديكم

دعونا نبحث في هذه البينة قبل ذكر الاخرى فقال السيد مصطفى ارى المقتضي ان يتخذ مسئلة البحث في هذه القضية اثنان يتناظران بشانها ثم يحكم الآخرون فحسن لديهم هذا الرأي جداً واختاروا لذلك عمر افندي زاكي والسيد ابراهيم مصطفى ·

فوقف الاوّل وقال — قد اوقع صاحب الرسالة نفسه في حفرة التناقض بادعائه اولاً سلامة التوراة من التحريف والتغيير ثم باعترافه بذلك على نوعٍ ما بقوله « لاينكر وجود اختلاف في بعض كلمات الكتاب ··· لان تباين الازمنة وتنوُّع الظروف واختلاف العوائد يجعل طبعاً ظهور تناقض في بعض الجمل » فما ذلك الاَّ لانهُ لم يستطع انكار الاختلاف والتناقض الموجودين في التوراة اللذين اتى بهما اهل الغايات وارباب المفاسد ·

فوقف حينئذ السيد ابراهيم وقال — لا ترى في هذه الجملة نقضاً لمدّعى صاحب الرسالة المذكورة لان القول بظهور تناقض ليس هو اقراراً بالتناقض والاعتراف بوجود اختلافٍ في بعض كلمات الكتاب ليس هو اعترافاً بتحريفه وتغييره مادام الكاتب يعلق صيرورة ذلك على تباين الازمنة التي كتبت فيها اسفار الكتاب وظروف احوال كاتبيها واختلاف العوائد حينئذٍ مع الدواعي المختلفة لكتابتها ·

(عمر) سيان عندي اعترف بذلك اولم يعترف لان عدم اعترافه بتحريف الكتاب ليس ببرهانٍ على عدم تحريفه وما دام الاختلاف في الكتاب بادٍ لذي عينين فلا حاجة لنا الى بينةٍ خارجية

(ابراهيم) ان حضرة عمر افندي اعتبر ما في بعض كلمات الكتاب من

الاختلاف دليلاً على تحريفه فلزمني ان امكن افساد هذا الدليل · لاخفى ان كلمة تحريف او تغيير تتضمن وجود غاية في نفس الفاعل الجأته الى الفعل — اليس الامر كذا ياسادتي · — اجاب الحاضرون بلى ولا بد — فقال واذ قد فزت بمصادقة الحاضرين على هذا المبدا اقول على سبيل السؤال — هل من غاية تُرى في ما يوجد من الاختلاف في بعض كلمات الكتاب · فتوقف عند ذلك عمر افندي برهةً عن الجواب لما رأى من قوّة دفع مناظره ثم قال لا انكر احكام دفع السيد ابراهيم بيد اني اقول ربما في ذلك من غاية نحن نجهلها وما اتى به كاتب الرسالة المشار اليه من بيان علّة اختلافات كهذه لا يروي غليلاً ·

(ابراهيم) هل من محل لكلمة ربما ما دام هذه الاختلافات تظهر عرية عن غايةٍ ما واذا كان ما تقدم من ذلك الكاتب بهذا الخصوص لا يروي غليلاً لمناظري الكريم فنيابةً عنه ازيده ان شاء الله بما من شأنه ان يذهب بكل غليل منه— فعلى الفرض ان فى تلك الاختلافات غاية مجهولة عندنا فهل يا ترى يقدم انسان ما على تحريف كتابة بدون غاية اما لخيره واما لشر غيره ·

(عمر) كلاً ما لم يكن ابله او معتوهاً ·

(ابراهيم) حسناً — واية غاية من كلا النوعين تظهر للاسرائيليين في وجود هكذا اختلافات في توراتهم وألا يرى المُخلِص انه لو شاء اولئك ايقاع تحريفهم بتوراتهم لكانوا بالاولى ازالوا منها مثل هذه الاختلافات بحيث لا يبقى لاجنبيٍ سبيل للتنكيت عليها بوجهٍ ما وذلك سهل لديهم كل السهولة كما لا يخفى ·

(عمر) نعم لا يرى البتة لبني اسرائيل غاية في ذلك على اني لا اقدر ان احيد عن الفكر بكون تلك الاختلافات دليل وقوع تحريف فيه الاَّ باقامة دليل اقطع مما تقدم على عدم مس التوراة بيد التحريف بوجه ما فهل لك بذلك ·

(ابراهيم) ان ما تقدم هو كافٍ لاقناع اهل الذكاء نظير حضرتكم بعدم مس كتاب الله باصابيع التحريف والتغيير فلا ارتاب بكون سيادتكم تبغون في طلبكم هذا غاية الايضاح والجلاء فلا باس · لا خفى سيدي ان الدليل الفاصل القاطع كل ريب بسلامة التوراة من شائبة التحريف والتغيير هو عدم موافقتها في امور خطيرة لمن هي بيدهم كما اشار الى ذلك كاتب الرسالة المذكورة اذ هو لامر مشهور ان اليهود قد سقطوا مرارًا في عبادة الاصنام المنهي عنها في توراتهم باقوى تشديد واعظم تهديد ووعيد وانكروا ابدًا ارسالية عيسى المسيح من الله المنبا عنه اوضح الانباء واعظمها ومع ذلك لم يمدوا يدًا الى ازالة او تغيير تلك الوصايا والنواهي عن اتخاذ الصور والتماثيل ولا الى شيء من تلك النبوات الشاهدة ابدًا على سوء غلطهم وشر كفرهم برفض مسيحهم ابن مريم فمن لا يرى انهم لو رأَوا تحريف توراتهم او لو سمح الله لهم بمد يدهم لتحريفهم كانوا حرفوها تحريفًا يوافق اهواءهم ويسند ضلالهم هذا — ومع ان تعاليم اكثر النصارى وعلى الخصوص الكنيسة الرومانية المشحونة بالتعاليم والطقوس مغايرة للتوراة لا سيما صورهم وتماثيلهم المالئة معابدهم التي هي ضد وصايا الله على خط مستقيم لم يقدموا على حذف او تغيير او تبديل وصية من وصاياها بل لم تزل ابدًا نسختهم اللاتينية كما في العبرانية شاهدةً على قبح هذا الصنيع وما يستحق الاعتبار

ان الكنيسة الغربية حذفت في تآليفها الدينية كما لا يخفى وصية الله الثانية من وصاياه العشر وشطرت العاشرة شطرين باعتبارها وصيتين تطبيقاً للعدد · ذلك حذراً من فتح عيون عامة ابنائها ضد عبادة الصور والتماثيل ولكنها قط لم تتجرأ على هذا الارتكاب القبيح في التوراة · ولذا حجزتها عن الشعب وحرمت احرازها ودراستها حذر الانتباه · فلا جرم ان ذا من اقطع الادلة على حفظ الكتاب العزيز من شائبة التحريف والتغيير مضبوطاً بيد الضابط الكل حتى لا يمسه اذىً من ايدي ذوي الغايات والاهواء وبيان ان الرسول (صلعم) قد ادرك الامر تماماً ولذلك شهد بوحي الله شهادة مطلقةً مستوفيةً بان اليهود والنصارى هم اهل الكتاب وانها (اي التوراة) تماماً على التي احسن ونورٌ وهدى · وقط لم يقل كقول المسلمين في ايامنا انهم حرّفوه او غيروه والاّ لبكّتهم على ذلك انما عوضاً عن الدعوى منه بتحريفه وتقريعهم عليه حضّهم على القيام بمافيه · ولعمري ان ذلك امر لازب لالزام المسلمين بالاعتقاد بعدم تحريف الكتاب ولا مناص من ذلك · ثم التفت الى الحاضرين وقال ألا ان الامر كذا هو يا سادتي ما ترون فاجاب اكثرهم لا نرى خطاءً في ما قلتم واذا كان عند عمر افندي دفع لذلك نرغب في ان نسمعه ·

(عمر) ان ادعاء كاتب الرسالة المذكور بمطابقة التوراة العبرانية لجميع النسخ الموجودة بايدي طوائف النصارى بلغات متعددة هي لدعوى ساقطة لوجود فروقات عديدة واختلافات جمّة بين العبرانية وباقي الترجمات وكذا بين ترجمةٍ واخرى حتى ان التراجم العربية لا تنطبق الواحدة منهنَّ على الاخرى · ومن لا يصدق ذلك فعليه بالمقابلة فيرى من اوّل وهلةٍ خطأَ المذكور

في مدعاه · فصفّق من ثمّ السيد عبد القادر وقال « طيّب الله الله انفاس عمر افندي الحمد لله قد بدى الحق واعتلن وسقطت دعوى النصراني في ما زعم · فقال له الشيخ محمود مهلاً ياسيّدعبد القادر على كلٍ لقد اجاد في ماقال عمر افندي فدعنا نرى هل عند السيد ابراهيم من دفع لذلك ·

(ابراهيم) كان الاجدر بمناظري الكريم الا يتخطا الى مسئلة اخرى قبل ان يسلم بالمسئلة التي نحن بصددها او يدحضها ان امكن حسب حق المناظرة وعليه ارجو من كرم اخلاقه اما التسليم بسلامة التوراة مما ذكر او نقض ادلتي المتقدمة بهذا الشان وفيما بعد ادفع ان شاء الله ما امكن مقالته هذه ·

(عمر) بل ارجوك ان امكنك دفع مقالتي هذه وفيما بعد التزم اما الاعتراف بسلامة التوراة من غوائل التحريف او نقض ادلتكم ان امكن بما هو اعظم منها — قال الشيخ احمد عبد الهادي همساً « هيهات ذلك لعمري من المحال ·

(ابراهيم) امركم سيدي · ادفع ذلك بدليلين (الدليل الاوّل) هو وجود اجل الترجمات المعوّل عليها التي المعتم حضرتكم اليها قبل ظهور الرسول (صلعم) بزمانٍ طويل كما لا يخفى · ومن المعلوم ان الترجمة السبعينية كانت اكثر شيوعاً في مصر والمغرب والسريانية بين اهل سوريا كما واللاتينية في اوروبا فلو كان ما بهنّ من الاختلاف في بعض القراآت يعدُّ تحريفاً او تغييراً لما اغضى عنه الرسول (صلعم) بل لاشك كان ذكره في القرآن واقلّه ما كان جاءَ فيه تلك الشهادات المعتبرة القاطعة كل ريبٍ بسلامتها · (الدليل الثاني) عدم الاختلاف بينهنّ من جهة القضايا تاريخية كانت او شرعية او نبوية فهات ارني

سيدي ولك الفضل اية قضية من القضايا المشار اليها مختلف عليها اختلافاً جوهرياً في هذه الترجمات الا ان التاريخ من قصة ابينا آدم الى اخر تاريخ اسرائيل هو شيء واحد فيهن كافة وكذا الناموس والانبياء اما الاختلافات الجزئية والعرضية فيهن التي لم يخلها النبي تحريفاً كما تزعمون فهي مما لا بد منه في الترجمة من لغة الى اخرى بناء على تفاوت المترجمين في معرفة كلتا لغتي المترجم منها والمترجم اليها — ولا جدال في ذلك ٠

(عمر) اخالك ارتكبت الشطط نوعاً ياسيد ابراهيم في ما ذكرت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لو رأى بين هذه التراجم من الحلفة في بعض الكلام تحريفاً لما اغضى عنه الى آخر مقالك كأنك نسيت انه بين يهود العرب لا توجد التوراة سوى بلغتهم الاصلية فليس اذاً لتلك التراجم حظ بشيء من شهادة القرآن للتوراة وانه لو وجدت تلك التراجم لديه لما اغضى عن الاشارة الى تحريفهن

(ابراهيم) لقد اصبحت واهل التوراة باشد الممنونية لمناظري الكريم لاعترافه بمصادقة النبي لصحة وسلامة التوراة الكائنة حينئذٍ بلغتها الاصلية وهذا جل ما يرومه اليهود والنصارى من المسلمين اذ على كل حال المرجع في هذه المسئلة الى الاصل العبراني ولله الحمد ان هذا الاصل لم يزل موجوداً عند قبائل اليهود في كل الاقطار وهو كما يروي المطالعون المدققون واليهود العبرانيون انها قط لا تختلف بقضية ما مما سبقت الاشارة اليه عن الترجمات الفرعية فهل تسلمون حضرتكم وسائر المسلمين في صحة سلامة التوراة العبرانية — والا ترى سيادتكم ان ما ذكرته هو طعنة قوية بنبوّة النبي (صلعم) لانه اذا كان نبياً كيف لا

يعلم ما انطوت عليه تلك التراجم قريبة منه او بعيدة عنه ·

(عمر) اقرُّ لك ياسيد ابراهيم بطول الباع في هذه المسائل فارجوك خفض الامر بالنظر الى هذه المسئلة من باب البساطة والاتيان اليها باقرب الطرق — على كل ان النبي صلى الله عليه وسلَّم كان امياً لا يقرأ ولا يكتب ويرجح انه لم يكن حينئذٍ بين اليهود المدنيين او غيرهم توراة عربية يمكن للنبي الوقوف عليها بواسطة بعض الصحابة القارئين حتى يمكنه معرفة ما طرأ عليها من التحريف والخلل · وما بلغ ذهنه عنه يرجح انه بلغه بواسطة بعض اليهود واحبارهم فكتب كما اعلم والله اعلم · حينئذٍ صاح السيد عبد القادر «وا اسفاه ياعمر افندي لقد خطَّات النبي والقرآن ايحتاج نبي الله من يخبره عن التوراة او يكتب في القرآن شيئاً استناداً على قول من قال وهو منزل من الله سبحانه ·

اجابه عمر افندي وقد غطى الخجل وجهه نعم يا اخي بيان ذلك غلطاً مني ولكن ارجوك اين المهرب من الالتزام بالتسليم بسلامة التوراة من التحريف ونبينا قد شهد لها كونها كتاب الله على التي هي احسن — اذاً علينا ولامناص بالاعتراف بسلامة توراة الله من شائبة التحريف والتغيير لان القول كما لا يخفاك ياسيد عبد القادر بعدم تحريف التوراة حتى عصر النبي يقضي لا محالة بعدم تحريفها فيما بعد كما اشار اليه كاتب تلك الرسالة وكما يرى كل عاقل مخلص — ايقال للنهار ياليل وللبدر ياسهيل — · ساعد الحق متين يَغلِب ولا يُغلَب ·

فوقف حينئذٍ حسن افندي قباواتي وقال « اصحوا يامسلمين واحذروا من التسليم بما ينافي القرآن العزيز ويثلب سيد المرسلين اتجهلون في اي مركز يتم نتيجة التوغل بحديث انتم في غنىً عنه · كفاكم اما يكفيكم ما انزل لكم من

الايات الرواسخ النواسخ في قرآن لو اجتمع الانس والجن لما اتوا بسورة من مثله · — اجابه الشيخ محمود « عجباً لقولك هذا يا حسن افندي وانت تتلو بوقار شهادة القرآن للتوراة والانجيل احرّم عليك ان ترى في كتاب ينسبه القرآن لله ويدلك اين هو — اننا لم نزل في مركز اعتبار القرآن فارجو من لطفك امعان البصيرة في ما قيل ويقال في خلال هذا الاجتماع ثم احكم انفسك بما تريد » ثم قال للحاضرين «بما ان الوقت قد مضى نرجوان حسن لديكم النظر قليلاً في البينة الاخرى على عدم تحريف التوراة فمن تختارون للمناظرة في ذلك » فاجاب الاكثرون نرغب في ان يكون حسن افندي راداً والشيخ سليمان مدافعاً فابى حسن افندي وامتنع فالحوا عليه حتى قبل ومن ثم وقف وقال على مَ اتكلم والبينة الاولى قد حلّت اسمى محلٍّ في اذهانكم بحيث لم يبق عندكم ادنى ريب بعدم تحريف التوراة فلا حاجة بعد والحالة هذه الى النظر في امر البينة الاخرى — يكفي — (الجميع) بل نرجوك قبول التماسنا — لا حول ولا — امركم

(حسن) ان صاحبنا يزعم ان اتمام الحوادث المنبا عنها في التوراة قبل حدوثها حسب زعمه هي دليل ثانٍ على عدم تحريف التوراة الى آخر مقاله بهذا الشان فما ادراه ان اليهود حرفوا توراتهم بعد وقوع تلك الحوادث ثم استلمها النصارى منهم محرفةً وانهم اتوا ذلك ليبينوا للعالم اكثر فاكثر عظمة كتابهم المنزل ·

(الشيخ سليمان) بعد ما اتضح عدم تحريف التوراة مطلقــاً بالنظر الى البينة الاولى لا ارى محلاً بعد لمقال حسن افندي وبغضّ النظر عما تقدم يدفع

هذا الزعم الواهن بما ياتي · اولاً ان جزءًا كبيرًا من تلك النبوات هو عن سوء مصير حالة اليهود بناءً على ارتدادهم عن عبادة الله ونبذ وصاياه ومنه ماهو ضد افكارهم واعمالهم بالنظر الى الحوادث المنبا عنها فيه كالنبوات عن عيسى المسيح رافضيه وناكريه فبعيد عن العقل انه يخطر لهم ببال تحريف النبوات الى مثل هذه الامور المضادة لهم والآيلة الى كرههم وبغضهم من الامم والى اخجالهم وتؤنيبهم (ثانياً) ان تلك الحوادث التي حدثت اتماماً لنبوات توراتهم حدث بعضها في ابتداء التاريخ المسيحي وبعد ترجمة التوراة الى اليونانية بنحو قرنين وهو ما اختص بالمسيح · ومنها بعد ذلك بسنين عديدة وبعضها باجيال متعددة كخراب مدينتهم والهيكل وشتاتهم شتاتاً ذريعاً في كل الاقطار وخراب نينوى وبابل وصور ومصر وغير ذلك مما لا يسعنا ذكره وكانت التوراة قبل ذلك بزمان طويل قد ترجمت الى لغات مختلفة وتوزعت بين النصارى واشتهرت بين الامم فعليه الا يكون مازعمه حسن افندي كما تقدم من اعظم ضروب المحال — كيف ترون سيدي ·

(حسن) اني مذ شرعت بالكلام في هذه المسئلة رأيت نفسي كمن ينبه الاسد من نومه او ينفخ في نارٍ يودُّ اخمادها فيكفني ياشيخ · قال بعضهم نعم يكفي ان لم يوجد سوى هاتين البينتين للتوراة فهما كافيتان لبيان كونها كتاب الله وانها كما انزلت لم تزل تماماً علي ما كانت الاَّ اننا نرجو من حضرة الشيخ سليمان ان يشرح لنا ما امكن وبالايجاز بعض الحوادث الاكثر اهمية التي حدثت اتمــاماً لنبوات الله في التوراة فان ذلك لاريب ملذ ومفيد· فوقف وقال « ان ما طلبتم مني الآن ليس في وسعي ايراده على طريقة ملذة ومفيدة

كما ينبغي لحداثتي في معرفة الكتاب والتاريخ فاذا شئتم ذلك فعليكم بكتابي « الدليل الصواب الى صدق الكتاب » و« البيّنة الجليَّة في صحة الديانة المسيحية » ترون فيهما ما يبهر النواظر ويجلي الخواطر من سمو كتاب الله ونبواته بيد اني اقول بايجاز الايجاز ان نبوّة موسى الكليم عن سبي اليهود وشتاتهم السحيق في كل اقاليم العالم وذلهم والبلايا التي ستحيق بهم والنكبات التي ستدهمهم اذا حادوا عن الله وشريعته حتى يضحوا مثلاً وسخريةً وعاراً ولعنةً بين امم الارض لا يحتاج للوقوف على اتمامها الاَّ النظر الى حالة هذه الامة البائسة في ايامنا وما هي عليه من الذل والهوان بعد ان كانت اعظم وازهى وامجد امة على وجه الارض · هذا عدا ما يخبرنا به التاريخ كيف خربت قصبتهم وهيكلهم وما حاق بهم من البلايا والنكبات بنوع يفتّت الاكباد وما لقوه من الاضطهاد والجور والمظالم جيلاً فجيل حتى صاروا ماصاروا اليه في ايامنا هذه · فمن يا ترى يقرأُ نبوات الكليم ويقابلها مع هذه الامور التاريخية والعيانية ولا يختم بكل قلبه على صحة وسلامة التوراة · ونبوات اشعيا وارميا عن خراب بابل ووصف هيئة خرابها واتمام هذه النبوات بخراب تلك المدينة العظيمة التي كانت أُم المدن وزينتها ومركز سياسة العالم التي الان لايكاد يعرَف موضعها مما يحير العقول وكذا النبوات عن مصر وصور وادوم وبني عمون وارض الفلسطينيين التي حالها الحاضر وهيئة خراباتها وتاريخ سقوطها يثبت تلك النبوات الالهية التي انبأَت بذلك منذ اجيال عديدة فمن لا يصدق فعليه بالسياحة والمطالعة ·

ثم جلس واخذ الحاضرون بالتأَمل والمداولة في مسئلة سلامة التوراة من التحريف الى ان اقتنع الجميع بذلك ما خلا السيد عبد القادر الذي وقف

حينئذٍ وقال « انَّا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوَّة الا بالله العلي العظيم — ما هذا ايها السادة — ما هذا ياعلماءَ المسلمين وأَئمة الدين اراكم عرجتم عن السراط المستقيم . الا تعلمون ان الاعتقاد بسلامة الكتاب من التحريف والافساد حطَّةٌ بالقرآن وضرب على اركان الاسلام أَيمكن اعتبار القرآن ككتاب الله مع اعتبار سلامة التوراة الحاليَّة من التغيير والتحريف والحذف والابدال . كلا — فانظروا الى اين صرتم وفي اي مركز بتم وداركوا الحال قبل الزوال للنجاة من شرّ الوبال

فوقف من ثم الشيخ محمود الرافعي وقال ما هذا الكلام ياسيد عبدالقادر أَيخفى عليك ان القرآن يشهد للتوراة والانجيل فاي خطر يا ترى في البحث عن حقيقتهما وسلامتهما — لم يقل القرآن بتحريف الكتاب أَنقول نحن بذلك . ثم التفت الى الآخرين وقال ياسادتي ان من شيم الكرام الانصاف ولست ارتاب بكون جميعكم ما عدا اخونا السيد عبد القادر رأَيتم سلامة التوراة من شوائب التغيير والتحريف — الكتاب الذي جعل له سبحانه بيّنات راهنة متوالية لكي لا يُعذَر ناكره . فماذا ترى نعطي لله جواباً في يوم الدين اذا لم نصدق كتابه ونؤمن بما قد أُنزل فيه نحن الذين نبهنا اليه في القرآن ثم جئنا اليه فوجدناه على ما هو احسن . فياذوي النفوس الحيَّة والمسئولين لباريكم تعالى لا تقاوموا حكم العقل وصوت الضمير فان كنتم حقًّا رأَيتم سلامة التوراة من التحريف والافساد فاحكموا بذلك علناً ودعونا ننظر في امر الانجيل . اما اذا كان عندكم ما يقال فقولوا . هذا ورجائي بكم الا تواخذوني بهذه المجاسرة لعلمكم طبع هذا العاجز الذي يودّ سرعة بث الرأْي فيما قد تناهى امره (اه)

ثم جلس وكان الوقت قد امسى فقال الشيخ علي ان طلب الشيخ محمود عادل غيراني ارى انه يكون اكثر مناسبة تأجيل بت الحكم في هذه المسئلة الى جلسة اخرى تكون ان حسن لديكم نهار السبت بعد غد ليتمكن الجميع من فرصة وافية للتأمل فيها (قال ذلك خوفاً من السيد عبد القادر لئلا يعجل باذاعة الامر فلا يعودوا يتمكنون من فرصةٍ اخرى مناسبة للنظر في امر الانجيل) وبما ان الوقت مضى فارى مناسبة فض الاجتماع ثم قدم لهم مائدةً حافلة فأكلوا وانصرفوا بسرور ما خلا السيد عبد القادر فانه ذهب مغموماً منكداً مما جرى

الفصل الرابع

اما ما كان من السيد عبد القادر المذكور فانه ذهب تلك الليلة الى استاذٍ له قديم اسمه الشيخ ناصر الدين عمر وكان هذا الاستاذ على جانب عظيم من التعصب والادعاء وبقلب مفعم من الغيظ بثّ له كل ما جرى من رفاقه العلماء مؤكداً له انهم فعلاً قد صاروا نصارى ما عدا حسن افندي قباواتي . وقال ان لا سمح الله اشتهروا بفسادهم هذا كانوا بلا ريب عثرةً هائلة في البلد وسبباً لافساد عقول كثيرين . ومن يطيق اذلال الدين الاسلامي وتلميذكم لما رأيت ذلك منهم واتضح لي ما قد خامر قلوبهم من الريب والشك برسالة ونبوّة المصطفى صلى الله عليه وسلم اضطرم فؤادي بنار الحميّة والاسف وذهب كل اجتهادي عبثاً بارجاعهم عن غيهم هذا . فقلت اطلع على امرهم سيدي واستاذي ناصر دين الاسلام ولذلك جئت اعرض لديكم الواقع فماذا ترون سيادتكم . فكان لما سمع الشيخ ناصر الدين هذا الكلام صفق بيديه صفقة خاسر

وزأَر كالاسد الكاسر وقال « لا حول ولا قوّة الاَّ بالله العلي العظيم احقيق هو ما اخبرتني يا ولدي — نعم يا مولاي والسيد الاعظم · ما بكلامي هذا زلل ولا مغالاة بل هو تمام وخلاصة الواقع — فاطرق الشيخ برهةً وهو يلعب بلحيته ثم رفع نظره وقال « اوّاه حقًّا ما اخبرتني اياه يا ولدي هو لامر خطير يدعو للاسف والتكدير ولكن طب نفسًا وقرّ عينًا اني لأَ فحمنّهم ان شاء الله بما قد فات ابصارهم من الحقائق البهيّة والادلة السنيّة على بطلان النصرانية وصحة وشرف الاسلاميَّة · وان لم يرعووا لأَذيقنهم بعونه تعالى ما يتعذر عليهم حمله و يردهم قسرًا عن وخيم ضلالهم وفساد حمقهم · وعجبي منك يا ابني كيف لم تطلع شيخك منذ البداية على هذه الدسيسة الخبيثة لكنت بادرت حالاً لابطالها وقتلها في مهدها اما هم فلا اؤاخذهم بعدم دعوتهم اياي للمخابرة في مثل ذلك اذ ليس من علاقة ودٍّ بيني و بينهم · وقد اشتهرت عداوتهم لي منذ حداثتنا اذ كنا معًا في مكتب المرحوم الشيخ محمد صالح حسدًا من نجاحي وتقدمي عليهم وميل الاستاذ اليّ اكثر مما اليهم · فمنذ ذلك الحين لم تأْلف اخلاقي اخلاقهم الفظّة ومع ذلك كنت احبهم ولا ازال احبهم واتمنى لهم الخير · فاجاب السيد عبد القادر وقد علا وجهه الخجل لا يؤاخذني سيدي اني لم افعل ذلك تهاونًا بسيادتكم حاشا لي ان انسى افضالكم عليّ وانما اذ دعوني واخذوا عليّ عهد الكتمان قلت في نفسي اني اتجسس اولاً افكارهم واسبر غايتهم فان وجدتها حسنة كان خيرًا والاَّ على كل حال اطلع عليها شيخي واستاذي وهكذا فعلت فان كان ذلك خطاءً مني ارجوكم السماح لان من دأْب الانسان الشطط وارتكاب الغلط · اجابه حماك الله يا ولدي واني اقبل عذرك واحمد فكرك

والان ارى ان ندعو ابن اخي الحاج قدور ونطلعه على ذلك لمساعدتنا في هذه المسئلة فانه ولو كان حاد المزاج وعنده نوع من الاسراع مما يدعوه البعض طياشة فانه ذو جسارة واقدام واحياناً تكون اراؤه افلح من اراء اهل السكينة والرقة وهو لا يخالف لي امرًا ولا يعصى لي قولاً · فاستدعاه واطلعاه على ما كان فهاج وماج واقسم بالله والرسول انه ليهيج عليهم البلد من الشيخ الى الولد و يذيقهم شر الوبال ومر الاهوال · ثم قال باذ نك ياعمي اني لا استطيع بعد صبراً حتى اعلم بذلك اصحابي وخلاني وهمّ بالخروج فامسكه بيده وقال « اقعد هذا لا يناسب في الحال يا ولدي · لكل شيء وقت وارغب منك كعادتك في ان تصغى لكلامي ولا تفعل شيئاً كهذا اقتحاماً واني لا اياس من رجوع القوم الى الحق بالتي هي احسن · فبعد افراغ الجد والجهد في نصحهم وانذارهم اذا لم يمتثلوا و يرعووا نستعمل لذلك طرقاً اخرى » فقال حسناً امرك وجلس وغب المداولة طويلاً في هذه المسئلة اجمعوا على ارسال رسالة نصح وانذار لهم بما امكن من الملاطفة والرقة بيد محيي الدين بن الشيخ ناصر الدين تكون اول وآخر خطاب لهم في هذا الشان حتى اذا لم ينتصحوا بها يشكوهم الى من بيده ان يقتصّ منهم فامر الشيخ ولده المذكور ان يأخذ دواةً وقرطاساً ويكتب ما يمليه عليه فكتب ورفع الشيخ الكتابة الى السيد عبد القادر لينقدها و يجلي ما غمض منها ففعل وهذا هو نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها السادة العلماء الاعلام والاخوان الادباء الكرام الشيخ علي وصحبه المجتمعين لاجل انتقاد رسالة النصراني الواردة الى احدكم الشيخ احمد عبد

الهادي السلام عليكم ورحمة الله و بركاته · اما بعد فاننا قد اطلعنا بواسطة من يوثق بهم على ملخص مفاوضاتكم وابحاثكم بشان تلك الرسيلة فأستبان لنا منها انكم انحرفتم وا اسفاه عن المنهج القويم الى ضلال النصرانية الوخيم فواعجباً لألبابكم ايها الافاضل كيف تقبل الاعتقاد بان الاله قد صار انساناً (واي انسان ·) مهاناً محتقراً مقتولاً بايدي اليهود وان هذا القتيل اضحى مخلص العالم بدمه ومحيي النفوس بموته فهل من ذي عقلٍ وعلم يقبل مثل ذلك · فيامسلمين وتربية العلماء الفاضلين اياكم والغرور بكل ما هو مكتوب ومسطور فلكم من اتقياء ادباء ضلوا عن منهج الصواب ببيان حكمة الكتاب · نعم ان التوراة والانجيل هما الكتاب المنزل من الله عز وجلّ على امتي اليهود والنصارى ولكن تحريفهما فيما يختص بالمسيح وصلبه المزعوم به هو ظاهر لعيني كل بصير « اولاً » لعدم لياقة ذلك بالله سبحانه وتعالى « ثانياً » لانه تعالى يقول في كتابه العزيز « ان مثل عيسى كمثل آدم ليس الهاً بل رسولاً من الله لقومه كاحد انبيائه ورسله المقربين · هذا والا تعلمون يا اخوان انه لا يمكنكم التدين بالنصرانية بدون ان تنكروا القرآن المنزل على قلب سيدنا نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم · وهل حقاً وصلتم الى هذا الحد من الضلال الجالب عليكم لا ريب خسارة الدارين وقاكم الله من ذلك · ثم وان اكن في اعينكم غير مستحق ان تطلعوني على تلك الرسيلة وتدعوني للاشتراك معكم كاخ بالمفاوضة والبحث بشأنها ارى من واجباتي كمسلم مؤمن بالله و بالرسول وكاخ محب لكم ان اقدم لحضراتكم شقة النصح هذه وليكن مؤكداً لديكم والله شاهد ان ما قد بلغني عنكم من هذا القبيل قد اضرم في فوادي نار اسفٍ و كدر لا يعبر عنهما

— كيف لا وجماعة من المسلمين نخبة علماء الدين وقدوة المؤمنين في الفضل والتقى بكليمات طفيفة وجمل سخيفة من بعض المشركين قد كادوا يضلون عن سواء السبيل الى قفر الاضاليل — وهل من مسلم غيور يتقاعد عن مد ساعد الجد لانهاض اخوانه من وهدة الضلال والاغواء — ايقنوا يا اخوان ان اخلاصي لكم وغيرتي على دين الاسلام السليم بعثاني الآن لترقيم هذه الكلمات اليكم — فهل لكم حفظكم الله ان تقبلوا نصح اخيكم هذا وتنبذوا من روض البابكم البهية ما طرأ عليها من الاوهام الباطلة والوساوس الشيطانية من جرّاء تلك الوسيلة الشنعاء مكتفين بما انزل الرحمن عزّ وجلّ في قرآنه الشريف — او تبقون «وقاكم الله» متهورين في وهدة هذا الغي المهلك — بيدَ اني اقول كما انه جدير بمن يشرع بشروع ما ان يقدّر العواقب ويحسب للخسارة حساباً كذلك ان كنتم حقاً «لا سمح الله» مصممين على هجر ربوع الدين الاسلامي الى بلقع الدين النصراني عليكم التامل بما سيحل بكم لا ريب من البلايا وما ستكابدونه من المشاق والمتاعب التي يعزُّ علي ان اراكم تكابدونها . وربما اخوكم ومحبكم هذا انقلب من ثم كعدوّ لكم امتثالاً لشرع الله ورسوله فهل لكم هداكم الله على احتمال ما ذكرت . . . . اتوسل اليكم بحق المحبة الاخوية وبحق اولياء الله ورسله الا تلقوا بانفسكم الى التهلكة وان حسن لديكم فاكرموا بالجواب حالاً عساه يكون ما يريح فكري ويسرُّ قلبي هذا ما اقتضى لحبكم والله يحفظكم .

في ١٠ محرم الحرام سنة ٥٧ — الداعي اخوكم

ناصر الدين عمر

ثم طوى التحرير ودفعه الى يد ولده المذكور آمرًا اياه ان يوصله بيده

صباحاً الى الشيخ علي عمر فقام باكرًا وذهب الى بيت المذكور فلما دخل عليه واخرج الكتاب من جيبه استعاذ الشيخ بالله وقال الله يعطينا خير هذا المغلف. وما ذلك الاّ لانه عرف طباع الشيخ ناصر الدين وما انطوى عليه من روح العجب والادعاء وغب ان تناوله منه وفضّه نظر اليه قليلاً ثم التفت الى حامله وقال شكرًا لاخي والدك على ما قد تفضل به علينا في هذه الرسالة البهية من نصائح الحب الاخوي فابلغه ذلك عني وقل له اني غب اجتماعي بالاصحاب الموجهة اليهم ايضاً هذه الرسالة والتأمل فيها نقدّم ان شاء الله لحضرته الجواب فانصرف من ثم محيي الدين راجعاً الى ابيه واخبره بما كان من الشيخ علي فقال حسناً سنرى مايكون.

واما الشيخ فغب ان انصرف محيي الدين انفرد في مخدعه واخذ يتبصر في كتاب الشيخ ناصر الدين فكان تارة يضحك واخرى يعبس ثم قال ما اشد غيرة الشيخ وما احلى كلماته — ما اقوى براهينه على تحريف التوراة. عجباً كيف استليق تدوين ذلك بقلمه ما اسقم قوله « فلكم من اتقياء ضلوا عن منهج الصواب » ايضلّ الله الاتقياء . حاشا بل لا ريب ان الله سبحانه يهدي بالاولى متقيه وخائفيه العله يعني بذلك الذين اهتدوا من قبل الى الحق المسيحي اذ كانوا من اولي العلم والتقى — ينذرنا بما سنكابده في هذه الطريق من المشاق والبلايا وانه هو ربما يشترك في ازلالنا — اهذه هي المحبة التي يدعيها نحونا. نحن نعلم ولا نجهل كثرة اعداء من يتبع الحق. والكتاب والتاريخ يخبراننا كم من الاضطهادات وصنوف الآلام احتمل شهداء الحق غير اني موقن بالله انه يهب عباده كثرة النعمة مع البلية حتى يستطيعوا احتمالها . ما اشقى العالم . وما اقسى قلب الانسان . نجنا يارب من بغي الناس وزدنا اللهمّ نورا ونعمة لنمسك

بحقك حتى النهاية ثم عاد فقال « مسكين ناصر الدين ما اغباه · كيف يقول عن تلك الرسالة الغراء ذات الادلة الراهنة والحجج الدامغة انها كلمات طفيفة سخيفة — يالروح التعصب والادعاء المشؤم · امن دون ان يطلع عليها يحكم عليها هكذا · — اهو قادر ان يأتي بمثلها على صحة دين الاسلام · لا لعمري لا هو ولا ابرع عالم في الاسلام « ولكن كل فتاةٍ معجبة بابيها » ·

هذا واما ما كان من السيد ابراهيم مصطفى فانه غب انفضاض الجلسة الثانية جاء الى بيته وقلبه طافح من السرور مما جرى في تلك الجلسة ثم اخذ التوراة والانجيل والقرآن ونظر في الآيات المتشاكلة فيهما واستخلص منها جدولاً ظريفاً في ما يختص بالمسيح ابن مريم وهو كما ترى ·

التوراة	الانجيل	القرآن
ولكن يعطيكم السيد نفسه آيةً ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل (اش ٧:١٤) لانه يولد لنا ولد وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً اباً ابدياً رئيس السلام (اش ٦:٩)	هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمهُ عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (مت ١:٢٣) لا تخافي يامريم لانك قد وجدت نعمةً عند الله ها انت تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمه يسوع فقالت مريم للملاك	اِذْ قَالَتِ الْمَلٰئِكَةُ يامَرْيَمُ اِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ

التوراة	الانجيل	القرآن
	كيف يكون لي هذا وانا لست اعرف رجلاً فاجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٠ و ٣٤)	(سورة ال عمران آية ٤٠و٤١) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (سورة مريم آية ٢٠)
قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك . « مز ١١٠ » اما انت يابيت لحم افراتة فمنك يخرج الذي يكون متسلطاً على الكل	في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمةالله . والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا (يو ١:١ و١٤) هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل « كو ١٧:١ »	اِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا اِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (سورة النساء آية ١٦٩) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

القرآن	الانجيل	التوراة
بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً (سورة الحديد آية ٢٧)	ونعلم ان ابن الله قد جاء واعطانا بصيرة لنعرف الحق . (ايو ٥ : ٢٠) ولهم الآبا ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهاً مباركاً الى الابد (رومية ٩ : ٥)	ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل (مي ٥ : ٢)
ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً (سورة الانعام آية ١٥٥) إِنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ	انتم ابناء الانبياء والعهد الذي عاهد الله به اباءنا قائلاً لابراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الارض اليكم اولاً اذ اقام الله يسوع ارسله ليباركم (اع ٣ : ٢٥) وايضاً يقول اشعيا سيكون اصل يسّى والقائم ليسود	ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض (تك ٢٦ : ٤ و٢٨ : ١٤) ها ايام تأتي يقول الرب واقيم لداود غصن برّ فيملك ملك وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الارض وهذا هو اسمه الذي

التوراة	الانجيل	القرآن
يدعونه به الرب برنا . (ار٢٣ : ٥) ويكون في ذلك اليوم ان اصل يسّى القائم راية للشعوب اياه تطلب الامم ويكون محله مجداً (اش ١١ : ١٠)	على الأمم عليه سيكون رجاء الأمم . (رو ١٥ : ١٢)	دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ . (سورة الانعام آية ١٥٨) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . (سورة المائدة اية ٥١)
ومع العظماء يقسم غنيمة من اجل انه سكب للموت نفسه وأُحصي مع اثمة وهو حمل خطيّة كثيرين وشفع في المذنبين (اش٥٣: ١٢) قد احاطت بي كلاب	فحينئذٍ اخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه . (يو١٩ : ١ و ٢) وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه واخرعن يساره	إِذْ قَالَ اللّٰهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

التوراة	الانجيل	القرآن
كثيرة جماعة الاشرار اكتنفتني ثقبوا يديَّ ورجلي أُحصي كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون · (مز ٢٢ : ١٦ و١٧)	فتمَّ الكتاب القائل وأُحصي مع اثمة وكانت الساعة الثالثة فصلبوه (مر ١٥ : ٢٥ و ٢٧ و٢٨)	سورة ال عمران آية ٤٨)
لذلك فرح قلبي وتهلل لساني جسدي ايضاً يسكن مطمئناً لانك لم تترك نفسي في الهاوية ولم تدع قدوسك يرى فساداً · (مز ١٦ : ٩ و ١٠)	فلما اخذ يسوع الخل قال قد اكمل ونكس رأسه واسلم الروح · (يو ١٩ : ٣٠) واما يسوع فلما جاؤُوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات · (يو ١٩ : ٣٣) لماذا تطلبين الحي بين الاموات ليس هو هنا لكنه قام · (لو ٢٤ : ٥ و٦)	وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ · (سورة مريم آية ٣٤ و٣٥) (تنبيه) ان في البيت الثالث من هذا الجدول لا ترى ما يناسب قول الكتاب محاذياً له فاستعضنا عن ذلك بشهادة القران انه تماماً على التي هي احسن

وغب ان انهى هذا الجدول وتأمّله تنهّدوقال « ياللعجب والدهشةما هذه المطابقة المدهشة بين التوراة والانجيل والمقاربة المعتبرة بينهما و بين القرآن من جهة كون المسيح ابن مريم اتياً من الله ومماتاً في الجسد ومبعثاً من الموت · اوّاه · كيف ان علماءنا يتلون القرآن كثيراً ولا يبصرون هذه الامور الجلية ولا يفقهون هذه الحقائق الكلية الاعتبار · وعلى الاقل لا يلحظون الدلائل الصريحة في مثل هذه الايات على سموّ المسيح على الانبياء والمرسلين كافة — ولماذا اكثر اللوم على الاخرين وانا قد درست القرآن مرّات لا تحصى ولم انتبه الى هذه الجواهر الكريمة — اشكرك اللهمّ يا هادي الضالين ومنير الكفيفين انك هديتني وانرتني فزدني ربي نوراً وهدى واهدِ جميع خلقك صراطك القويم امين · ثم قام وجاء الشيخ سليمان واراه ذلك الجدول قائلاً له « انظر سيدي قد رأيت هنا اموراً مدهشة معجبة » فاخذه منه و بدا يتأمله ولوائح السرور تطفح على وجهه البشوش غير ان المومأ اليه كان قد عرف هذه الامور قبلاً كما رأيت فيما مر من الكلام وفي مفاوضته مع الشيخ محمود · فلم يبق عنده اقل ريب بسلامة الكتاب و بكون المسيح ابن مريم هو ايضاً ابن الله فادي الخطاة ولكنه فرح وسرّ كثيراً مما راه امس من السيد ابراهيم في مناظرته مع عمر افندي ومن اطلاعه على هذا الجدول الدال لا محالة على حسن تعقل المذكور وسرعة ادراكه الحقائق ونباهته غير الاعتيادية · ولأنّ ذلك قوى امله بان الجميع متى رأُوا هذه الحقائق يتمسكون بها · ولما انتهى من التأمل فيه التفت الى السيد ابراهيم وقال له ما كنت اظن ان جنابك بوقتٍ وجيز كهذا تتصل الى هذا الحد من اختبار الكتاب المقدس وادراك كنه هذه المسئلة الخطيرة على هذه الصورة

فالحمد لله المرشد الهادي · حقًّا ان قلبي مفعمٌ سرورًا وابتهاجًا لادراكك هكذا سريعًا هذه الامور وعلى هذا الجدول اللطيف المفيد فارجو ان الجميع يرون كما قد رايت · نعم يا اخي ان هذه المطابقة والمقاربة هي كلية الاعتبار وما الايات بشأن المسيح في الكتاب والقرآن الاَّ جواهر كريمة ضمن اغلاف من القرطاس والجلد · وكم من الجهلاء بالجواهر وقيمتها اذا عثروا على واحدة منها ازدروا بها واهملوها واذا هم على فرض استجملوها والتقطوها باعوها بابخس الاثمان حمقًا وغباوةً · وكثيرًا ما سقيم الجسم وهو يتمشى في الحقول المزدهية بالاعشاب والزهور البهجة يدوس بقدميه اعشابًا كانت افضل علاج لعلته وهو لا يدري · فهكذا كثيرون يتلون الكتاب تكرارًا ولا ينتبهون الى ما تضمن من الجواهر الكريمة والعقاقير الشافية من امراض الخطية حال كونهم بفرط الاحتياج اليها · وربما لذذوا انفسهم بترنيم كلامه باصوات رخيمة مهيجة للاحساسات الروحية بدون التفاتهم الى غايته ومعانيه الاكثر فائدة ونفعًا · فهم بذلك لاشبه بمن يشتم رائحة الورد والازهار العطرية ثم يلقيها الى جانبٍ غير ملتفتٍ الى ما فيها من الخواص النافعة والفوائد الثمينة · فحقًا يا اخي ان هذه المطابقة بين التوراة والانجيل وما كاد يكون كالمطابقة بينهما وبين القرآن من جهة المسيح من حيثية لاهوته وناسوته واتيانهِ بمعجزات خارقة العادة وموته بالجسد وقيامته هي لعجيبة تدل لا محالة المطالع النبيه على غرابة هذا الشخص الكريم · وما القرآن من جهة هذه الامور الاَّ كشهادة لما قيل وانزل في الكتاب عن سمو شخصية المسيح على كل البشر وكيانهِ روحيًا قبل تجسده وعن موته وقيامته فانظر انه قد شهد للانجيل ما بيد اليهود والمسلمين شهادتين من كتابين بيد.

امتين عظيمتين مضادتين للنصارى الواحدة سابقة والاخرى لاحقة الاولى تشهد لما سوف يأتي والاخرى تشهد لما قد اتى · على ان الكتاب غير مفتقر البتة الى شهادة القرآن اذ له من البينات الراهنة على كونه كتاب الله لاريب فيه ما يكفي للبصير المخلص · واذا كان القرآن ينكر الوهية المسيح فما باله يقول هنا · « كلمة من الله وروح منه » ماذا يعني بذلك · اي نبيّ ليت شعري قيل عنه هكذا ولماذا افرد عيسى بهذا النسب الالهي دون جميع الانبياء والمرسلين الا ان ذلك على الاقل هو كوسيلة لفتح العين واقتياد البصير الى اعتبار نص التوراة والانجيل بخصوصه · ايكشف لنا القران عن بعض اطراف المسيح وينهانا عن كشف الستار عنه كي لا نرى كماله الالهي او يرينا ايّاه من وراء حجاب يكتنفه كما يرى كمال قرص القمر محتجباً في بدء هلاله ويمنع من ازاحة ذلك الحجاب كي لا يرى كمال بهاء ذلك البدر المنير · ومن يرضى بذلك لانه مع كونه يوجد فرقٌ حرفياً بين القول ابن الله والقول كلمة من الله وروح منه او روح الله يوجد بينهما تقارب كلي في المعنى والجوهر بل لاقولن هما شيءٌ واحد · ثم ان كان الله سبحانه سرَّ هكذا ان يرسل كلمته لتتجسد ويبذل قدوسه للموت بالجسد فداءً عن البشر وفاءً لحق عدله تعالى واعلن ذلك في كتابٍ مبين فمن نحن حتى نكذّب الله وكتابه بداعي ان ذلك لا يوافق العقل ولا يليق بجلاله تعالى · من اين عرفت عدم لياقة ذلك بالله وكونه لا يوافق العقل هل لنا نحن البشر الفاسدون الجهلاء ان نقيس على الاطلاق حكمة الباري جلّ شانه بمقياس العقل الانساني · هل يعرف بذات الله سواه · اليس ان مايرتاح اليه العقل ان يقبل المخلوق بخضوع وتواضع ما أُعلن له من لدن خالقه متى تأكده

ذلك بالدليل والبرهان · وما هي عقولنا حتى يمكنها ادراك كيفية امور الباري عزَّ وجلَّ · هذا ولسنا قط باحتياج الى ادراك كنه ماهيّة اعمال الحكمة الالهية والقدرة الازلية · انما جل احتياجنا ان نعلم ونفهم ما عمل الله لاجلنا كما ان العليل ليس هو باحتياج الى ان يفهم ويعرف كيف اصطنع الطبيب العلاج ومن اي الانواع ركبه · بل جل احتياجه ان يعرف مهارة وامانة ذلك الطبيب ويقبل الدواء من يده ويستعمله حسب اشارته · هكذا علينا كعبيد الله ان نؤمن مصدقين بما انزله واعلنهُ لنا سبحانه في كتابه العزيز بدون ان نقول كيف وكيف حال كونه تعالى على كل شيءٍ قدير · فالحق اوضح من ان يبيّن ان المسيح ابن مريم هو ابن الله اله وانسان مات بالجسد وقام وهو حيٌّ الى الابد جالس عن يمين الآب يشفع في المؤمنين وهو الشخص الفريد العجيب الذي ارسله الرحمن رحمةً للعالمين وحياةً للهالكين ثبّت الله قلوبنا به آمين

اما ما كان من السيد ابراهيم فانه كان في اثناء هذا الكلام غايةً في الاصغاء والابتهاج ولما انتهى الشيخ سليمان من كلامه قال له شكرًا لك يامولاي على هذه الجمل اللذيذة المفيدة التي بنعمة الله قد زادتني تمسكاً بالكتاب والايمان بالله · اجاب الشيخ سليمان بارك الله فيك يا اخي وزادنا واياك ايماناً وحبّاً بالله ودعنا اذا شئت نُطلع على هذا الجدول حضرات الشيخ علي والشيخ محمود والسيد عمر ونقف على افكارهم بهذا الشان قبل التئام الجلسة القادمة فقال حبّاً وكرامة وعيّنا الوقت لذلك صباح الغد · وفي الصباح اتيا الشيخ علي ثم الشيخ محمود ثم الشيخ عبد الحليم والشيخ احمد عبد الهادي والسيد عمر كل على حدته فعرضا عليهم الجدول المذكور وتخابرا معهم مليّاً فوجداهم على ما يرام كانهم

بقلب واحد اذ كانوا قد راوا مما جرى في الجلستين السالفتين سلامة الانجيل ايضاً من شائبة التحريف والتغيير وان لم يجرَ بحث خصوصي بشانه. ثم اتفقوا معاً ان يخطب بهذا الشان في الجلسة القادمة السيد ابراهيم لظنهم انها تكون اخر اجتماعهم للبحث بشان سلامة وصحة الكتاب

الفصل الخامس

ولما كان الاجل المعين للاجتماع اجتمع جميع العلماء المذكورين نحو الساعة السابعة في منزل الشيخ علي ما خلا السيد عبد القادر الفصيح وغب ان استقر بهم الجلوس وقف الشيخ علي حسب العادة وافتتح الجلسة بما يأتي.

ياسادتي لا يخفى انه قد فشي امرنا اذ بلغ ذلك جناب الشيخ ناصر الدين عمر ولا ارتاب لكون حضرته بلّغ ذلك ايضاً بعض اصحابه وذويه وخاصةً ابن اخيه الحاج قدور الطيش لاعتماده عليه في اكثر اموره لزيادة محبته وكثرة هذره التي يعتبرها منه شجاعةً واقداماً لانه جاءني منه في هذا الصباح كتاب بيد ولده محيي الدين خطاباً الينا كافة يتضمن نصحاً وتهديداً. ولا ريب ان من قد بلغه امرنا وعجل في كشف سرنا هو السيد عبد القادر الفصيح الذي لم يسرّ بما قد رآه منا في الجلستين الماضيتين بل قاوم ذلك بكل تعصب. وليس من المستبعد ان يكون قد طعن فينا طعناً حادًّا واعتذاره عن الحضور هذه المرة يؤكد ذلك واظن هذا هو المانع الذي اشار اليه بقوله يوجد الآن مانع قوي لحضوري معكم فلا عجب وهو شيءٌ زهيد عدم قبول واحد منا هـذه الاراء المنافية لاركان دينه وما نشا عليه منذ حداثته. وها هي رسالة الشيخ المذكور

تفضل اقراها علينا يا عمر افندي فاخذها من يده وقراها على مسامعهم ولما انتهى من قراءتها «وكان في اثناء ذلك يلوح على اكثرهم لوائح الحمية والحماسة» تعدلوا في الجلوس وقد علت الحمرة وجوههم و برقت اعينهم كمن قد تأهبوا لأمر ذي شان · غير انه كان قد داخل بعضهم شيء من الخوف والتحفظ ثم نهض السيد عمر الحارس وقال · التمس منكم يا سادتي ان ترعوني قليلاً مسامعكم واصغوا لما اقول · لقد صدق الشيخ ناصر الدين واجاد بقوله كما انه جديرٌ بمن يشرع بشروع ما ان يقدر العواقب و يحسب للخسارة حساباً كذلك ان كنتم حقاً لاسمح الله مصممين على هجر ربوع الدين الاسلامى الى اخر القول ··· نعم وهذا لعمري جدير بالعاقل اللبيب بناءً عليه اقول انه على الانسان مراعاة ثلثة امور والقيام بها مهما كلَّفه ذلك من الخسران والتعب (الاول) عدم اكتفائه بما قد ربي فيه ونشا عليه من الدين والمذهب و بذل جهده في البحث والتنقيب برغبة واخلاص فيما يفتحه الله عليه من المسائل الدينية بالاستناد التام على المولى سبحانه وطلب الهداية والارشاد من لدنه جلَّ وعلا (الثاني) ابتغاءَ مرضاة الله وتفضيل طاعة الخالق على اطاعة المخلوق (الثالث) تجنب الهواءَ والغرض والتزام حدود الحق والانصاف فان التكلم والحكم بالاهواء والاميال وان يتكلم الانسان مثلاً عكس ما يعلم و يشهد خلاف ما يرى مراعاة لاميال قلبه او مجاراة لصحبه وقومه فضلاً عن كونه خطاءً بحد ذاته هو محض شين بالانسان وغير لائق بذي الشهامة والمروءة ولا يخفى ما في القيام بهذه الثلث من سلامة الضمير والسرور الداخلي مهما تعكرت الاحوال الخارجية · فيا سادتي نحن ذوو نفوس لا تموت مصيرها اما لشقاء ابدي او لراحة ابدية وليس للمرء

نفسان حتى اذا خسر الواحدة تبقى له الاخرى· فاذا خسر هذه النفس الثمينة الوحيدة باهماله وسائط خلاصها وحياتها مراعاة لاهواء الجسد وخواطر البشر يتوطن لاريب جهنم ونيران غضب الله الى الابد · ويالها من خسارة لا تقاس بها الخسائر فمن منا لا يرتعد خوفاً و يخفق فواده جزعاً لدى تامله ذلك السجن الابدي· فبما ان الامر كذا ماذا ترون يجدر بنا عمله النظر الى المركز الذي نحن فيه وما حريٌّ بنا مدة وجودنا الوجيزة في عالم الزوال هذا آنسير حسب العالم محافظة على شرفنا الارضي ومالنا الفاني ووقاية لحياة الجسد غير مبالين بمرضاة الخالق الرحمن وما ينتج عنها من السعادة الدائمة ولا بتوئيب الضمير وتبكيته ام بالاولى كرجال نسير في سبيل الله متمسكين بحقه حتى الموت· وايُّ شرف يا ترى للانسان باهمال مرضاة خالقه والاعراج عن سبيله اليس الشرف الحقيقي للمرء ان يسير في سبيل الله مجاهداً تحت لوا رضاه ويا له من شرف انتماؤنا الى الله عز وجل كعبيده وخاصته فلا نستخفنَّ بهذا الامر الخطير ولا نستهينن بدعوة العلي لاجل راحة الجسد الفاني · فاخوكم هذا العاجز الحقير قد صممت مذ عرفت العالم ان لا اتبع الهواء ولا اجاري الغرض مهما جرى· فها اني بنعمة الله وعونه اتمسك بكل ما يتقرر في ذهني صوابه ولو قام ضدي الف ضد فرجائي بكم انتم الاسمى مني همةً واقداماً واوفر تعقلاً وذكاءً ان تتمسكوا بثبات بما قد اتضح و يتضح لديكم من الحق· دعونا سادتي نبيع الحاضرات لأجل المستقبلات ونخسر الفاني لنربح الباقي واقول يجب علينا ذمةً اطاعة الباري سبحانه لا طمعاً بثوابه ولا خوفاً من عقابه بل حباً به تعالى كونه بارينا ومعتنٍ بنا ومنعم بالخير علينا · اسألك اللهم ان تثبت قلوبنا بمحبة حقك لنتمسك ابداً

بعروتك الوثقى عاملين بسرور مرضاتك وارادتك (اه)

ثم وقف السيد مصطفى الحقاني وقال ان ما قد فاه به اخونا السيد عمر هو لقرين الصواب فان كنا رجالاً نعرف الافضل ونتمسك به ٠ ودع التقادير تجري في اعنتها ٠ على اني موقن بالله انه لا يهمل المتوكلين عليه وما يسمح به احياناً من حلول البلايا على عبيده فهو اما تأديباً لهم او امتحاناً لايمانهم ويؤول ذلك لخيرهم وبركة منه تعالى فلنتقوَّ يا اخواني بالرب ولنتشجع وهو يفعل ما يشاء فان حسن لديكم دعونا نرجع الان الى الحديث الذي تركناه في الجلسة السالفة وبعده ترون في امر مجاوبة كتاب الشيخ ناصر الدين — فقال الشيخ محمود فكري يا سيد مصطفى اننا نستغني عن مراجعة الماضي من الحديث او النظر فيه على نسق ما سلف لان ذلك يستغرق وقتنا على ما لا اضطرار اليه ايضاً ٠ ولست اظن ان ما له برح من ذهن احد منا ٠ انما ارى الواجب الان النظر في الحكم من جهة تلك الامور التي وقع عليها البحث ثم النظر الى الانجيل من حيثية الدعوى بتحريفه فماذا ترون يا اخوان — عند ذلك وقف السيد ابراهيم باشارة بعض الحاضرين وقال — ان للحق دلائل لا تخفى على النبيه فبناءً على ما تقدم من الادلة الراهنة والبينات السديدة على سلامة وصحة التوراة من شوائب التحريف والتغيير اقول قد تقرَّر ورسخ في ذهني كما لا ريب في اذهانكم النقية ان التوراة الموجودة الان هي كتاب الله لاريب فيه المنزل على انبياء الله ورسله رشداً وهدًى لبني اسرائيل لم يشبها تغيير ولا تحريف ٠ وبناءً عليه كل ما قيل فيها وذكر من الانباء عن سيدنا المسيح هو حق لاسبيل الى انكاره بوجهٍ ما وما يخال فيها من صعوبة الفهم لا يستلزم ذلك بل يستلزم البحث عنه

في الكتاب بجد واخلاص بالاستناد على عون الباري وارشاده فلا يخفى عليكم ان المعادن الثمينة والجواهر الكريمة لا تستخرج من معادنها الا بافراغ الجد والجهد والا يكون احمق وجاهل من يحكم ان لا ذهب في تلك المناجم بناءً على صعوبة حفرها· الا ترون كيف يقاسي البعض احياناً العناء والتعب باذلين ما عزّ وهان في سبيل ثقب جبل او لغم ارض نهر طمعاً باجتناء فوائد وارباح تنسيهم ذلك التعب وتعيض عليهم اضعاف تلك الخسائر· مع ان عملهم هذا يكون محفوفاً بالمخاطر وتحت امكانية عدم النجاح · فكم اذاً علينا نحن بالحري في مثل هذه الامور الافضل بما لا يقاس من تلك ان نشمر عن ساعد الهمة مجردين الفكرة للبحث في القضايا الدينية والحفر بالة العقل واداة البصيرة في هذا المنجم الذهبي لنستخرج منه بعون الله ما يغنينا ويزين انفسنا الى الابد· ثم طرح الجدول الذي عمله امام الجماعة وقال انظروا سادتي الى هذا الجدول الذي استخرجته من التوراة والانجيل والقران تاملوه جيداً واعجبوا من المطابقة الكلية بين التوراة والانجيل بخصوص لاهوت وناسوت سيدنا المسيح وصلبه وموته بالجسد فداءً عن البشر وقيامته وكذا بين الكتاب والقرآن بخصوص كيان عيسى المسيح روحياً قبل ولادته من البشر وولادته من عذراء وسمو طبيعته واقتداره على الانبياء والمرسلين كافة ·والحق ان الكتاب لا يحتاج البتة الى شهادة كتاب اخر لان له من الشهادات والبينات ما يكفي لبيان كونه كتاب الله لا ريب فيه وانما شهادة القران هذه هي مفيدة لمثلنا ولذلك قد اتيتكم بهذا الجدول كي تروا فيه على وجهٍ اقرب المطابقة الكائنة بين الكتاب والقران في امر ولادة المسيح وموته وكونه كلمة الله والمقاربة المعتبرة بينهما من حيثية نسبة المسيح لله اذ

الكتاب يقول عنه كلمة الله وابنه والهاً ازلياً والقرآن كلمة من الله وروح منه فترون حضراتكم انه ليس من اختلاف بينهما الا من حيثيَّة الصراحة بلاهوته ونوع موته وغايته والفائدة الحاصلة من ذلك · فالكتاب المقدس ينبيء بذلك على طرق شتى وانواع عديدة تارة بالتصريح والافصاح كما قد رأينا فيما مرّ واخرى بالاشارات والكنايات والرموز التي لا تصدق الاَّ عليه وقلما يوجد سفر في التوراة لا يحوي نبوة او اشارة الى المسيح كفادي البشر وبعض اسفاره مشحونة من هذه الامور · والانجيل ما هو الاَّ خبر او بشارة عن مجيء هذا الفادي الكريم وعمله كما انبأ انبياء الله الصالحون · والقرآن مع كونه يرفع المسيح فوق البشر والانبياء قاطبةً بولادته من عذراء ونسبته الغريبة لله وكمال صلاحه واتيانهِ بمعجزات كاية ينكر صريحاً لاهوته وموته بالجسد · حال كون ذلك لا سبيل الى انكاره وليس هو الاَّ كمن ينكر الشمس في رابعة نهارها · فياسادتي ان التسليم بسلامة الكتاب من التحريف والتغيير يستلزم لا محالة الايمان بما انزل الله فيه بدون التفات الى ما قيل في غيره وما انكار لاهوت المسيح وصلبه عن العالم وموته وقيامته الا انكار الكتاب الذي غايته المسيح فادي البشر · وما هي يا ترى غاية القرآن بقوله عن عيسى انه كلمة الله وروح منه القاها الى مريم اي نبي وُصف هكذا واي انسان قيل عنه انه ولد من عذراء · ليت شعري لماذا تفرّد عيسى بهذا النسب الالهي والاوصاف الغريبة الاَّ ان ذلك من الادلة الراهنة على سمو هذا الشخص الفريد · واذا كان القاريءُ قد حصل على هكذا انتباه عظيم من مثل هذه الآيات القرآنية الدالة على سمو طبيعة عيسى وغرابته وضاق ذرعاً عن المعلومية الشافية به اذ لم يُروى له غليلاً لعدم وقوفه على

الاسباب والدواعي لذلك فعليه بالتوراة والانجيل المدلول عليهما من القرآن والمشهود لهما فيه فيكشفان الغطاء عن هذا السر الباهر . هناك يجد المبادي الاوليَّة التي تأتي بعقل العاقل الى معرفة المسيح شيئاً فشيئاً كما يرى من نسق التوراة في اسفارها التاريخية والنبوية والشعرية – هناك يرى الاساسات الراسخة البينة التي وضعها الرحمن لبناء عمل الفدا بشخص ابنه الوحيد — هناك يرى بوضوح وجلاء ما هو ومن هو ذاك الذي ولد من عذراء ودعي كلمة الله انه ابن الله الهاً قديراً ازلياً ابدياً —هناك يرى المقال عنه انه روح الله جوهراً الهياً جوهراً من جوهر الله ذاته . هناك يرى المقال عنه « يَاعِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُك مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ » انه هو المسيح ابن الله المبذول من ابيه لاجل خلاص العالم ومقام من الاموات ومرفوع الى السماء مطهراً من ضعفه بالجسد . وجاعل الذين اتّبعوه اي الذين امنوا به واتبعوه كمخلصهم وراعيهم وقائدهم الى السماء فوق الذين كفروا به الى يوم القيامة بل الى الابد . فها قد وضح لديكم ايها الاخوان ويا ذوي الالباب من مفاوضتنا وابحاثنا الوافية ومن هذا الجدول المختصر المطروح لديكم سلامة التوراة والانجيل من شوائب التغيير والتحريف . هما كتاب الله قبلاً والان وبعد . وعليه فالمسيح ابن مريم هو ابن الله مخلص البشر كما هو معلن فيه فلنُقبل يا اخوان الى مسيح الكتاب ولنتمسك به بكل القلب والعزم . والرحمن الذي قد بذل وحيده لاجلنا هو يساعدنا ولا يهملنا (اه »

وغب ان جلس اثنى عليه الجميع لاجل هذا الخطاب الوافي الكافي وقال بعضهم لبعض بناءً على الابحاث والمفاوضة في الجلستين السالفتين وعلى ما قد فاه بهِ الآن السيد ابراهيم والجدول الذي قدمه نرى ان لاحاجة بعد الى البحث بشان صحة الانجيل اذ قد اتضح لنا جلياً انه والتوراة كتاب الله الحي لم يشبه تغيير ولا تحريف وبعد مفاوضة نحو نصف ساعة اعترف الجميع بايمانهم بالمسيح فادي البشر

ثم وقف الشيخ علي وقال ياسادتي الاحباء بما انه لا يسعنا الوقت للتمتع ملياً بلذة المفاوضة في هذا الاجتماع فيلزمنا حسب ما تقرر ان نرسل اليوم جواباً الى الشيخ ناصر الدين ولخوفي من عدم تمكننا بعد من اجتماع اخر كهذا رأيت ان اخاطبكم لربما الخطاب الاخير في اجتماع مبارك كهذا · اني احمد المولى سبحانه الذي مكننا من ثلاث اجتماعات اعدها من افضل والذ اوقات حياتي السالفة بها قد تفاوضنا وتباحثنا ملياً باخلاص واتفاق تام فيما يختص بالله لخير النفس الثمينة فيا احبائي اننا غب المفاوضة والمناظرات الوافية في اثناء هذه الاجتماعات رأينا ولله الحمد سلامة كتابه العزيز من شوائب التغيير والتحريف سوى ما وقع سهواً في بعض النسخ والترجمات من قبيل الضعف الانساني وتباين المترجمين وهو كما لا يخفى مما لا يمس قط القضايا الجوهرية فلا يعتد به اذ لا يجعل ادنى نقض او خلل في غاية الكتاب وقصده · وما يستحق كل اعتبار هو المطابقة المدهشة بين التوراة والانجيل مطابقة تصيغهما كتاباً واحداً وشهادة القرآن لهما وموافقته للانجيل فيما يختص بالمسيح على نوع لا يبعد كثيراً عن مفاد نص الانجيل الصريح كما قد اتضح لديكم فما التوراة

يا اخوان الاًّ يداً اطو يلة تدلنا على المسيح فادي البشر مشيرةً اليه بنواتها وفرائضها وطقوسها · والقرآن كيدٍ أُخرى تدلنا على المسيح الذي قد اتى مبيناً غرابة وسموَّ شخصيته على نوع يجعل القاري اللبيب ان يسأل ماذا يا ترى شان هذا الشخص العجيب وما سر وصفه هذا و يشير الى الكتاب التوراة والانجيل شاهداً انهما كتاب الله على التي هي احسن · فما القرآن بالنظر الى ذلك الاً كمن يسقي العطشان قطرة من ماء عذب جداً فلا يرويه بل تتهيج فيه حاسة العطش اكثر فاكثر و يعظم اشتياقه الى ورود الينبوع الذي منه استُقي هذا الماء وله الفضل لدلالته ذلك الظامئ على ذلك الينبوع كتاب الله بقوله (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ··· ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على التي هي احسن ··· وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل) فترون حضراتكم ان الانجيل بينهما المشهود له من كليهما يعلن لنا جلياً مجيء هذا الشخص العجيب والفادي الكريم طبقاً لما انبأ عنه انبياء الله الصالحون ــ فهل اذاً من مخرج شرعي لرفض كلمة الانجيل الصريحة بشأن المسيح كالهٍ وانسان معاً وافتدائه الخطاة بموته بالجسد· كلاً ـــ فمن كون ذلك كذلك فما على العاقل الحازم الا ان يؤمن بما انزل الله فيه بدون موار بة ولا تردد والاً يضحى مقاوماً لله وهل على الرحمن اعتراض اذا شاء ان يصير كلمته انساناً لابداء جود فائق نحو خلقه وهل عدم مقدرة الانسان فهم كيفية هذا الامر الخطير يجعله محالاً او غير ممكن · كلاً ثم كلاً هذا ولنتأمل بتعقل انه لدى النظر بباصرة العقل الى عرش العدل الالهي العديم المحاباة ثم الى قلوبنا منبع الخطية والى آثامنا وذنوبنا العديدة نرى ان لا طريقة لخلاصنا الامن قِبَل النعمة والرحمة وهل من سبيل لاتفاق صفتي العدل والرحمة الا

بطريقة بها يستوفي العدل حقه · كلاّ — وانّى للانسان المجرم الواقع تحت سخطه تعالى ان يقوم بذلك فما الطريقة اذاً ومن اين · هي لاجرم التي اعدها سبحانه منذ الازل بابنه الوحيد لاظهار جود غير متناه نحو خليقته الساقطة والتي اعلنها لنا في كتاب مبين بتكرار وصراحة لامزيد عليهما الطريقة التي لم يكن لتخطر على بال انسان — بهذه الطريقة يجد الانسان سلاماً حقيقياً مع الله لتأكده وفاء دينه تماماً لجهة العرش الالهي بالدم الكريم الذي سفك لاجله ويتقدم بثقة الى عرش النعمة كمن هو بار لديه تعالى · بهذه الطريقة يرى اتفاق صفتي العدل والرحمة في الله جلّ جلاله كما يصرخ احد الانجيليين بقوله ان الناموس بموسى أُعطي اما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا فان كنتم يا اخوان قد اعتنقتم حقاً كتاب الله وامنتم بمسيح الله مخلص نفوسكم فتعالوا بكل قلوبكم ونفوسكم واضعين عليه كل رجائكم وهمومكم وحسبكم برٌّ من الله ربكم انه انارنا بنور حقه وعرّفنا بمخلصنا وحياة نفوسنا ولنتمسك يا احباء بالحق الذي اعلنته لنا العناية الالهية لخيرنا وحياتنا واحمدوه تعالى كل الحمد الذي حرك غيرة محبة ذلك المسيحي التقي حتى اتحفنا بتلك الرسالة المباركة التي أضحت بنعمة الله علّة انارتنا ووسيلة اهتدائنا · ليجازه الرب عنا خير الجزاء · واختم كلامي لكم بهذه الكلمة جاهدوا يا اخوتي كابطال امناء جهاد الايمان الحسن في سبيل حق الله ضد كل تعليم باطل وغرور دنيوي سيروا باسم الله في هذه الطريق الصالحة التي فتحها لكم يمين الله العلي غير مبالين بشيء وان سمح الله وفرّق الناس بيننا واعدمونا لذة الحرية والاجتماع معاً في الحياة الدنيا فلا يقدرون ان يفرقوا بيننا في عالم السماء ومن يزرع بالدموع يحصد بالفرح وربنا الكريم الذي دعانا الى

ملكوت ابنه وارشدنا سبيلهُ هو يحفظنا و يثبتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل (اه) ٠

وكان في اثناء هذا الخطاب كثيرًا ما كانت دموع الشيخ علي تصحب اكثر كلماته فاثَّر ذلك واي تأثير في قلوب الحاضرين حتى بكى اكثرهم وبعد ان فرغ من الكلام وجلس اثنى عليه الجميع وعاهدوه على التمسك بالانجيل والمحافظة على حق المسيح حتى الموت ثم اخذوا يتداولون في امر مجاوبة الشيخ ناصر الدين واخيرًا التمسوا من الشيخ علي ان يجاوب به عن لسان جميعهم بما يستحسنه فكتب الجواب وقرأه عليهم وهو

ايها الاخ المكرم الشيخ ناصر الدين عمر جزيل الوقار والاحترام

غب السلام عليكم ورحمة الله و بركاته المبدي لحضرتكم لقد تشرفنا برسالتكم رقم ١٠ محرم فكلما اشرتم به صار قرين الافهام ٠ فاولاً نشكر من كل قلوبنا حبكم لنا وغيرتكم على اخوانكم هؤلاء ٠ وثانيًا نقول ان قول حضرتكم قد بان لكم مما فهمتموهُ وعلمتموه٠٠٠ اننا انحرفنا عن المنهج القويم الى ضلال النصارى الوخيم وتعجبكم من اننا كيف نقبل الاعتقاد بان الاله صار انسانًا الى اخر القول بهذا الشان ثم نصحكم لنا ان ننبذ عنا هذه الاوهام وتنبيهكم ايانا على ما سيحل بنا من البلايا وما سنكابده من المتاعب والمشاق اذا تدينا بالنصرانية ٠٠٠ فنجيب على ذلك حاشا لنا ايها المحترم من الانحراف عن المنهج القويم انما آثرنا الجد بالبحث فيما يختص بالتوراة والانجيل لنرى هل حقًّا تغيرا وتحرفا ام لا ٠ فبعد فراغ الجهد في ذلك بكل تبصر وتأمل رأينا ايها الاخ ان هذا الكتاب المشهود له من القرآن لم يَشُبْهُ شيءٌ من ذلك كما كنا نتوهم بل لم يزل كما كان منذ انزاله بروحه وغايته وقضاياه ٠ فبناءً عليه قد عزمنا بنعمة الله ان نتخذه لنا دستورًا

وقانوناً في الايمان والعمل مؤمنين بما انزل الله فيه ولسنا بذلك مبتدعين او متبعين بدعة ما انما نحن متبعون ما انزل البديع سبحانه في كتابه نوراً وهدًى لنا من ربنا واما كون الكتاب ما تحرف قط فلذلك ادلّة و براهين لا تُرد ان شئتم تشريفنا نبسطها لديكم و بما انه حفظكم الله ينبغي اطاعة الله اكثر من الناس ومحبته فوق كل شيءٍ لذلك لا نستطيع قط مقاومة الضمير بترك جانبه تعالى واهمال كلامه حباً بالدنيا والاصحاب • فليت حضرتكم تطلعون على ما اطلعنا عليه لعلكم كنتم بالاقل تجدون لاخوانكم هؤلاء عذراً على التمسك بمفاد وغاية التوراة والانجيل • اما نصيحتكم لنا فاننا كنا نقبلها بمزيد السرور لو تقرّر في عقولنا بطلان ذلك او لو برهنتم لنا بطلانه بما يقنع العقل و يريح القلب ولما كان لا شيءَ من ذلك وكان ما تمسكنا به حق الهي لا ريب فيه فلا يمكننا العدول عنه بوجه ما بل ان شاء الله نحن ثابتون فيه حتى النهاية • اما على تنبيهكم ايانا ما يرجح انه سيصيبنا من الاضطهاد والخسران الزمني لسبب تمسكنا بتعليم الكتاب فنقول ان هذا منتظر وله عندنا حساب كبير نعم اننا بشر وليست اجسادنا حجر لا تستحس ولا تتأثر ولكننا نؤثر رضي الله على رضى الناس وشرف التمسك بحقه تعالى وراحة الضمير بعبادته حسب الكتاب على شرف الدنيا ونعيمها • ويهون علينا الموت بحب الرحمن اكثر من الحياة باغاظته • وبكل اسف نرى في قولكم انه ربما حضرتكم ايضاً تنقلب من ثم عدوًّا لنا فلماذا يا صاح اما نحن بشر خليقة الله فهب اننا ضللنا هل ينبغي ان تعادينا وتسعى في اذيتنا ام بالحري تسعى ما امكن في هدايتنا بالتي هي احسن • اننا من كل القلب نرغب ان ترينا ضلالنا بطريقة الدليل والبرهان فنضحى من ثم بغاية الامتنان

اذ ليس من الهين مبارحة الاصحاب والاحباب واحتمال ما يعسر على الطبيعة احتماله فليتكم تتنازلون الى ذلك والاَّ فاننا لله وانا اليه راجعون عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ·

الداعين اخوانكم

في ١٢ محرم سنة ٥٧

علي عمر واصحابه

فاستحسن الجميع هذا الجواب وغلفوه وارسلوه الى الموحى اليه بيد خادم الشيخ علي ثم صلوا الى الله طالبين عونه على احتمال ما لربما يصيبهم من الاهانات والضيقات بسبب انجيله وان يزيدهم نعمةً وفهماً ليستطيعوا ان يشهدوا لحقه على ما ينبغي بدون خوف ولا استحياء ثم انصرفوا الى بيوتهم

الفصل السادس

واما ما كان من الشيخ ناصر الدين والسيد عبد القادر فانهما كانا قد اطلعا على هذا الامر كثيرين من اصحابهما المشايخ والمدرسين فاجتمعوا تلك الليلة في بيت الشيخ المذكور منتظرين بفروغ الصبر جواب الشيخ علي ورفاقه واذا قبيل العشاء دخل عليهم حامل الجواب فدفعه الى الشيخ ناصر الدين ورجع الى حال سبيله واخبر سيده بذلك المجتمع فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم جعل الله النهاية خيرًا · اما الشيخ فلما قرأ الجواب على مسامع الحاضرين وتيقنوا منه تنصر اولئك العلماء هاجوا وماجوا وارعدوا وازبدوا ثم قال بعضهم لبعض يا للعجب كيف تهوَّر هؤلاء العلماء في وهدة الضلال واصطيدوا هكذا سريعاً بِشَرَك شُرْك النصارى منكرين نبوة وارسالية السيد المصطفى صلى الله عليه وسلم والقرآن الشريف المنزل من الله سبحانه — تبًّا لهم كيف غووا هكذا

باغواء ابليس الرجيم فضلوا عن الصراط المستقيم · متى تمكن فيهم هذا الغي حتى صيّرهم يتجرّأون هكذا على كتابة كهذه ماذا ياترى طرأ على عقولهم وغشى على ابصارهم حتى سقطوا وا اسفاه هذا السقوط المريع · عهدناهم من اهل العلم والفضل هل تكبروا وتعظموا فسقطوا نتيجة كبريائهم· لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ·قِنا اللهمّ شر ابليس الرجيم واهدنا ابداً الصراط المستقيم ثم كبروا وحمدوا واقاموا الصلاة وغب ان صلوا وجلسوا اخذوا في المداولة بامر اولئك العلماء في ماذا ينبغي التصرف من جهتهم أَ ينازلونهم في ميدان المحاورة والمناظرة ام يشكونهم بالحال الى الحكومة او يكررون اليهم النصيحة· فقال هذا هكذا والاخر بل كذا وكذا · اخيراً نهض احدهم اسمه الشيخ عبد الكريم الصائب وقال ياسادتي استميح الاذن من حضراتكم في ما ارغب ابدائه لديكم بخصوص هذه المسألة · قالوا تكلم · قال : نعلم جميعنا ان الشيخ علي واصحابه المعلومين الذين يبان انهم صمموا على اعتناق الديانة النصرانية هم لذوو فضلٍ وعلمٍ وحذاقةٍ ونباهةٍ لا يزدرى بها · وبعضهم من الطبقة الاولى في العلم والفضل فما نعلمه من الادلة والبينات على صحة دين الاسلام وعلى تحريف الكتاب هم يعلمونهُ وربما اكثر ولا ريب بكونهم مستعدين متحضرين لسد هذه الابواب ودفع كل اعتراض يعترض به عليهم · ويساعدهم على ذلك فصاحة بعضهم النادرة المثال وما بيدهم من اكثر انواع الكتب دينية وتاريخية فلسنا بمنازلتهم مجادلين نصارى بل علماء مسلمين متنصرين اشد مراساً واقوى عزيمة ·ومن يعلم ما تكون تأثيرات هذا الجدال وما ادرانا انه ينتج ضلال مئات من المسلمين فنكون بعملنا هذا الخالي من الحكمة اضرمنا ناراً كنا نودّ اخمادها واثرنا شراً كنا نتعوذ منه

فتضحى الضلالة الاخيرة اشر من الاولى فنندم حيث لا ينفع الندم · لكنني ارى الاصوب ان حسن لديكم ان نختار منا الآن رجلين اوفر اناةً وصبرًا ونرسلهما اليهم الساعة كي يقدما لهم باسم هذه الجماعة النصيحة النهائية بما امكن من الرقة واللطف وامارات الحب الاخوي بالانثناء عن اوهامهم هذه بدون ان يدخلا معهم بشيء من الجدال والمحاورة ويبلغاهم فرط حبنا لهم وعدم احتمالنا ان نراهم متخلفين عنا في الدين والعبادة · مصرحين لهم ان نصيحتنا هذه لهم هي نهائية فاذا لاسمح الله ذهب مسعانا هذا معهم سدًى وقابلوا وفدنا ونصحنا بالمكابرة والعناد نضطر من ثم غيرةً على شرف الاسلام وحسماً لهكذا فساد مؤذٍ وداء معدٍ ان نشكوهم الى الحكومة · وهي اولى بامرهم والله ينجح مسعانا هذا برد اخواننا هؤلاء من تيه الضلال الى سبيل الحق والصواب · فاستحسن الجميع هذا الرأي وعوّلوا عليه ثم اخذوا يتداولون بامر مَن ومَن ينبغي ارسالهما فاجمع رأيهم اخيرًا على ارسال الشيخ عبد الكريم المذكور والشيخ عبد اللطيف جمال الدين وقالوا لهما اذهبا باسم الله وها نحن لا نبرح من هنا حتى ترجعا الينا فذهبا — هذا ولنرجع في كلامنا الى اولئك العلماء فانه غب انفضاض الجلسة الاخيرة وانصرافهم فكر الشيخ سليمان فاضل في انه لا بد ان جوابهم الذي ارسلوهُ الى الشيخ ناصر الدين يولد حادثًا لا يستخف به ربما الليلة او صباح الغد فرجع من ثم على اعقابه واعرض هذا الفكر الى الشيخ علي والتمس منه ان يستدعي حالاً الاخوان للسهرة عنده الليلة لاجل المداولة والمخابرة بشان ذلك فاستحسن الشيخ علي هذا الفكر والرأي غير انه قال ارى الانسب ان يكون الاجتماع هذه المرة في بيت الشيخ محمود فان اردت اذهب واخبرهُ ليعد لنا مكانًا

وليرسل يدعو باقي الاخوان . وقبيل العشا اكون هناك ان شاء الله . فذهب الشيخ سليمان واخبر الشيخ محمود فدعى المذكور احد غلمانه وامره ان يذهب حالاً ويدعو العلماء المذكورين ولم تكن الساعة الاولى من الليل الاَّ وكانوا حاضرين ما خلا عمر افندي زاكي وحسن افندي قباواتي فانهما امتنعا من الحضور بداعي موانع وبعد ان تنحوا في قاعة منفردة اخذوا في المداولة بعضهم مع بعض والتفكر في ماذا ياترى ينتج من جوابنا الى الشيخ ناصر الدين . فقال بعضهم لا بد ان يكون الشيخ المذكور والسيد عبد القادر اعلما كثيرين بامرنا واهاجا قلوب ذوات البلد ضدنا . وقال آخرون ربما يكونان شكيانا الى الحكومة فترسل الليلة للقبض علينا . فقال السيد ابراهيم لا يبعد ان يكون قد درى كثيرون بامرنا كما قال الشيخ عبد الحليم وهم آخذون في التآمر ضدنا فلا بد على كل حال من وقوع الضيق علينا اذ ليس للحرية مقام في هذه الديار ولا للحق محل في القلوب كما لا يخفى . واما انهم شكونا الى الحكومة فاقول ان ذلك لا بد منه وعلى ظني لم يفعلوا ذلك بعد بناءً على ما يعهد من اطوار عقلاء بلدنا انهم لا يسرعون في الامور ولا يسعون بمضايقة احد ولا سيما من كان ذا منزلة ومقام في عيون الناس الاَّ بعد افراغ جعبة النصح والانذار على طرق شتى . ومع ذلك ليس من المستبعد ان اشاعة امرنا تبلغ مسامع الحكومة الليلة او الغد بوسيلة ما و يقبض علينا — فقال الشيخ احمد عبد الهادي لنفرض ان الحكومة قبضت علينا الليلة او في الغد وفي الحال تعرّينا من الاصحاب والخلان وأُفتري علينا بما يوجب اعدامنا وابعادنا وسلب اموالنا فهل نحن مستعدون لمثل ذلك ام في قلوبنا نية الارتداد او الاستتار متى مسنا شيءٌ من ذلك — اعلموا ايها الاخوان ان ديانة المسيح لم

تقم وتشاد بمداخلة القوى العالمية بل بقوة الله ومعظم مجدها وبهائها كان تحت
ثقل حمل الاضطهاد والاذلال وحيثما علاها غبار المقاومات وخوف الاهانات
كانت تزداد بهاءً وعزًّاوامتدادًا رغماً عن انوف اعدائها . وهذا لعمري من اقوى
الادلة على كونها ديانة الله جلَّ شانه وعزَّ سلطانه . ويسوع المسيح احتمل
من الناس شر المقاومة حتى الموت لاجلنا أَفيليق بنا الاستعفاء من شركة آلامه
وهل ان فعلنا نستحق ان يكون لنا نصيب معه أَلم يقل له المجد « من استحى بي
وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطي استحي به انا ايضاً قدام ملائكة ابي
الذي في السماوات ومن لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني لا يستحقني » وماهو
حمل الصليب وراء المسيح الاَّ احتمال العار والاضطهاد حتى الموت لاجله
ولاجل انجيله كما حمل معظم ذلك لاجلنا . فان كان بعضنا يا اخوان لا يحب
اتباع الرب الاَّ حال الفرج والراحة فذلك منهُ غلطٌ عظيم لان هذه النية مرذولة من
الله كما لا يخفى . ولكن ان كانت نياتنا مخلصة مع الله سبحانه بان نعيش لهُ لا
لانفسنا مسلمين الارادة له معتصمين به متكلين عليه فبدون شك هو يعضدنا
ويقوّينا بنعمته لنستطيع الاحتمال والثبات في الحق بازاء انواع التجارب والمحن .
ماذا ترون . اجاب الجميع نرى اننا لا نستطيع انكار الحق الذي اعتلن لنا
والرجوع عن طريق الحياة التي وضعنا باسم الله فيها اقدامنا على اننا ضعفاء
فلينعم ربنا علينا بالقوة والنعمة — فقال الشيخ محمود اني حقًّا اعجز عن
ايضاح مقدار السرور والابتهاج الذي قد خامر قلبي من جرى ما سمعته الآن
من افواهكم الدال لا محالة على انسكاب محبة الله في قلوبكم ومن يستحق
يا احبابي ان تُبذَل له المهج في سبيل حقه كيسوع الذي احبنا حتى الموت ليهبنا

خلاصاً وحياةً واعجاداً ليس في وسع العقل الانساني تصوُّر سموّها وعظمتها—
أَهو امرعظيم والحالة هذه ان نحتمل العار والضيق لاجله على ان احتمالنا مثل
ذلك في سبيل الله يؤول لنا الى زيادة مجد من ربنا كما يقول احد رسله
بهذا الشان « ان خفّة ضيقتنا الوقتية تنشي اكثر فاكثر ثقل مجد ابدي»
فلنتوكل احبائي على الله وهو يكون لنا عوناً · ولم يستتم كلامه الاّ والخادم
يقرع باب القاعة فبادر اليه الشيخ محمود فقال سيدي ان رجلاً يقرع
باب الدار يزعم انه الشيخ عبد الكريم الصائب قال انه يريد مواجهة الشيخ
علي عمر وحضرتك · قال الجميع لقد اصاب فكر السيد ابراهيم فقال له افتح له
ودعهُ يدخل وأتِ به الى هنا ففتح له فدخل هو ورفيقه الشيخ عبد اللطيف
جمال الدين ولما دخلا القاعة وسلما كالعادة وقف لهما الجميع مترحبين بهما
غاية الترحاب ثم اجلسوهما احسن مجلس وغب مبادلة التحيات وشرب
القهوة فتح الشيخ عبد الكريم فاه وقال

يا اسيادي واخواني الاحبا قد جئناكم الان مرسلين من قبل اخوانكم
رفاقنا الشيخ ناصر الدين عمر والشيخ عبد الرحيم الاموي والشيخ حسين النابلسي
والسيد عبد القادر الفصيح — لاخفى اننا لدى وقوفنا على جوابكم الى الشيخ
ناصر الدين تكدرنا وتأسفنا جداً ان كراماً نظيركم من خير افاضل العلماء
والادباء عمدالدين في البلاد قدوة الخاص والعام في الفضل والتقى ينغوون
هكذا بواسطة كلمات ملتوية من نصراني مشرك بالله منحرفين ذهناً وقلباً عن
صراط الدين الصحيح والقرآن الالهي الفصيح الى دين النصارى الوخيم وضلالهم

الجسيم. فغب المداولة طويلاً في هذا الامر المستغرب بقلوب مفعمة حزناً وكدراً اجمع الرأي على ارسالنا وفداً اليكم حاملين شعائر حبهم ووداهم لحضراتكم ومقدمين باسمهم النصيحة الاخوية النهائية بوجيز العبارة لان ما قلّ من الكلام خير من كثرته مع افاضل الباء نظيركم . لاقصد لنا ايها السادة في الدخول معكم بالمحاورة والمناظرة كون ذلك ليس من متعلقات ارساليتنا اليكم واكدوا حضراتكم اننا نحبكم كانفسنا ولذلك لانحتمل ان نراكم متخلفين عنا في الدين والعبادة محرومين حلاوة معاشرتكم الشهيّة فبكل توسلٍ نطلب اليكم اكراماً لله ان تضمدوا بوفرة حكمتكم هذا الجرح الاليم الذي بضعتموه في قلوب اخوانكم هؤلاء بل نقول في جسم الامة الاسلامية كلها. وبحذاقة عقولكم الثاقبة اطردوا من البابكم هذه الاوهام والوساوس التي القاها لا ريب ابليس عدوّنا في صدوركم ودعونا نرجع معاً الى ما كنا عليه من ذي قبل من التكاتف والتعاضد على اصلاح شان الامة بمواعظكم وخطبكم النفيسة التي رنّت في اذان الخلق وردّ لها صدى من اودية القلوب. دعونا يا اخوان نقضي ايامنا بسرور وانشراح تحت ظل رضى الله ورسوله وندخل اخيراً جنات تجري من تحتها الانهار ونحظى معاً بذلك النعيم وتلك النفائس التي لا يشوبها فناء ولا زوال اناشدكم الله ايها الكرام ان تقبلوا نصح اخوانكم هؤلاء الذين يعز عليهم بعادكم ويضيمهم ضيمكم. انبذوا عنكم ما قد طرأ على البابكم من الاغواء والخداع. ولا خفا كم ان ابليس الرجيم خزاه الله يشدد حربه ويكثر من وساوسه وضروب دهائه على من هم في مراقي العلم والفضل نظيركم ليطوحهم بمهاوي الشرك والكفر ولا عجب من فوزه احياناً ببعضهم لان الانسان ضعيف وسريع الميلان الى تصديق

اكاذيب هذا المحال الداهي التي يطليهامن خارج بشبه الحق والاستقامة فرجاؤنا بكم ياسادتي قبول نصيحتنا والرجوع بفرح الى دين ابائكم الحق والاً نضطر رغماً عن محبة قلوبنا لكم ان نعرض امركم هذا لاولياء الامور وبكل حزن وجزع نفتكر بمالربما يحيق بكم من الوبال والهوان اذا بقيتم لا سمح الله مصرين على التمسك بهذه الاوهام — ثم قال الشيخ عبد اللطيف جمال الدين احقاً يا اخوان نتركون هكذا دين الله الذي به ولدتم وعليه نشأتم احقاًخدعتم وغويتم هكذا من نصراني · ياحيف · ويا اسف لو كنتم سادتي من رعاع الناس لكان امركم هذا محتمل نوعاً ولكن اذ كنتم من نخبة اشراف الامة وربة العلم والفضل مثالاً في التقى والصلاح كان هجركم الدين الاسلامي واعتناقكم النصرانية ما لا يحتمل ولا يهضم اذ بذلك تضحون لا ريب عثرةً كبرى وداهية عظمى وكما كنتم ملحاً لاصلاح الناس تصيرون واحسرتاه وسيلة لافسادهم ومن يقدر على احتمال هذا الامر · واي مسلم في قلبه ذرة من الايمان لا ينظر الى ذلك بعين الاكراه والسخط فحذار حذار ياإخوان من شؤم هذا الضلال المجلب عليكم خسارة الدارين ولا هكذا بجهل ترتضون ان تهدموا بايديكم ما بنيتموه باتعاب ايام كثيرة فباسم الجماعة التي انا رسولها اليكم اناشدكم الله ان ترعووا وارجعوا بسلام عن هذه الطريق الخطرة التي وضعتم ارجلكم فيها من جديد وكرجال حكماء انهضوا من حفرة الهلاك التي تهورتم فيها الى بحبوحة الحياة وروضة السلام والعز · يعفُ الله عنكم انه هو الغفور الرحيم جعل الرحمن سبحانه كلماتنا هذه مقبولة لديكم وارساليتنا مثمرة بارجاعكم وانضمامكم الى اخوانكم فنرجو ان حسن تكرموا بالجواب الشافي لنرد على مرسلينا الذين هم بانتظارنا · اجاب الشيخ علي قد

فهمنا مقالكم ايها الحبيبين فنقبل بجزيل الشكر والامتنان غيرة حبكما وحب اخواننا المشايخ مرسليكم وكنا باكثر ممنونية لو تصرفتم معنا على خلاف هذه الطريقة وهي ان تدخلوا معنا بالحديث وترونا بالدليل والبرهان ضلالنا الذي تزعمونه كنتم فعلتم ما هو حري باهل العلم وائمة الدين ولكن لسوء الحظ اتيتمونا بطريقة لا تنتظر من علماء كرام نظيركم اذ تدعوننا فوراً الى نبذ ما قد تقرَّر في عقولنا ورسخ في اعماق قلوبنا بدون ان تبينوا لنا بطلان ذلك · وتنصحوننا ان نرجع عن سبيل وضعنا ارجلنا فيها بدون ان ترونا بدليل ما خطرها الذي تزعمونه الامر الذي لا نستطيعه ولا يجدر بنا · فالحق ان هذا التصرف من علماء نظيركم قد القانا بحر من التعجب والاستغراب وهو عبارة عن الاقرار بالعجز · انتم من ارباب الفقه يا اخوان فهل في شرعكم يُحكَم على المُدعَى عليه قبل ان يُسمَع دفعه · وهل يلام المدعي بدون ان يبرهن له شرعاً بطلان دعواه هل هو حق ان تقولوا على الفور لمدعي باطلة وفاسدة دعواك قبل ان تبرهنوا له ذلك بوجه شرعي لا لعمري · اذاً باي مسوغ شرعي او بناء ادبي تطلبون منا هكذا بديهاً الرجوع الى عقيدتنا الاولى وذلك تحت التهديد بالشكاية الى الحكومة اذا لم نجب طلبكم بدون ان تدخلوا معنا في الحديث وتبرهنوا لنا بطلان دعوانا ورداءة ضلالنا المزعوم او بالاقل تسألونا شيئاً عن امرنا هذا · وهب يا اخوينا اننا بداعي الخوف والجزع من مقاومة الامة والحكومة الذي توهمون به علينا ارتددنا الى اعتقادنا الاول منكرين غاية التوراة والانجيل · فهل تظنون ان رجوعنا هكذا بدون ان يتأكد عندنا بطلان ما قد تقرر في اذهاننا يكون رجوعاً قلبياً كلاً بل خارجياً فقط كبعض الكفرة الذين حباً بالنجاح العالمي يتظاهرون

بالدين الرائج في البلاد التي يقيمون فيها و بذلك نكون عائشين بالرياء ملومون من الضمير وخازنين لانفسنا نيران غضب الله يوم لا ينفع فيه والد ولا مولود ولا صاحب ودود. فهل ترضون لنا يا اخوان بهذا الامر وان رضيتم لنا ذلك انرضى لانفسنا بيع الآخرة بالدنيا ورضى المولى سبحانه برضى الناس. فليتكم اخواننا تطلعون على ما قد اطلعنا من سرائر الله العجيبة في كتابه وتشتركون معنا بهذا النصيب الصالح . صدقوني يا حبيبي ان هذا الكتاب لم يتغير عن وضعه ولا تحرّف كما كنا نتوهم قبلاً وكما يرى من البينات والدلائل غير قابلة الرد بل هو محفوظ مصون من ذلك بيد منزله القدير وعيسى المشهود له من انبياء الله في التوراة ومن القرآن انه روح الله وكلمته هو حقاً ابن الله وكلمته الهاً وانساناً معاً مخلص الانام وفادي الخطاة . فتشوا التوراة على انواع لغاتها من قديمها وحديثها تجدوها تشهد لهذا الفادي الكريم الذي له ولاجله خلق كل شيء. اما انا فهذا ايماني حسب شهادة الله في كتابه وهذه شهادتي اؤديها بنعمة الله وعونه امام الجميع ولست احتسب لشيء ولا حياتي الدنيا ثمينة عندي بعد ما عرفت مخلصي. واما اخواني هؤلاء الذين لا اظن نفسي اشجع منهم فايعطوا جواباً عن انفسهم . فقال الجميع ان ايمان الشيخ علي ايماننا واقراره اقرارنا على الله توكلنا وهو انا نعم الوكيل

ثم قال الشيخ محمود انا بالرجا نلتمس منكم يا اخوينا الحبيبين ان تتأملا باخلاص وامعان فيما قاله الشيخ علي ولا تعملا على اهلاكنا وخراب بيوتنا اذ لسنا مذنبين اليكم ولا الى الحكومة والامة. ودعونا نقضي وجيز العمر بالحرّية التي خوّلها الله للانسان وان تنازلتم لمحاجّتنا واقناعنا بالدليل والبرهان نضحى بغاية

الامتنان والشكر لافضالكم والاَّ فليس في امكاننا مقاومة صوت الضمير بالانقياد عفوًا الى طلبكم · ارثوا لنا يرثي لكم الله — وهكذا تكلم معهما الجميع متوسلين ان يقنعوا المشايخ بالعدول عما عزموا عليه من الشكاية للحكومة الى البحث والمناظرة لسانًا اوقلماً فاجاب الشيخ عبد الكريم سنعرض طلبكم هذا على اصحابنا ولكنني لا اراه مقبولاً · انَّا جئنا كم ناصحين فصرتم لنا واعظين ترغبون ان تهوّرونا حيث تهوَّرتم وتضلونا حيث ضللتم فهذا لا تطمعوا فيه وعليكم اذًا ان تستعدوا لملاقاة الاهوال وشرّ الوبال قالوا انا لله وانا اليه راجعون لا يصيبنا شيءٌ الاَّ باذن الله تعالى فان سمح بوقوع البلاء علينا بسبب تمسكنا بكلمة حقه لنا وطيد الرجا ان يمدنا بعونه لنحتمل ذلك بشكر وصبر ·

ثم انصرف الشيخان المذكوران ولوائح الغضب تلوح على وجهيهما العابسين وبعد انصرافهما كان سكوت من الجميع نحو ربع ساعة ثم تكلموا قليلاً فقال بعضهم يكفانا ينبغي ان نصلي كثيرًا وباكثر حرارة ليقينا الله من خطر الارتداد وليقوينا على الاحتمال وحينئذٍ اخذ الشيخ احمد الانجيل وقرأ بكل وقار وخشوع من الاصحاح الثالث عشر الى نهاية الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا فتأثر جميعهم من كلام الرب هذا حتى سالت مدامعهم ثم جثوا على ركبهم وقدم الشيخ محمود هذه الصلاة ·

اللهم يا باري الكائنات وصانع المعجزات والآيات العالم بما كان وما هو كائن سبحانك يا محيي الانام من ميتة الخطية بموت ابنك الوحيد بالطبيعة الانسانية العلي الذي لا تفحص افكاره ولا يدرك كنه اسراره من حارت لديه البصائر وشهدت لعظمته الضمائر الله بارينا وراعينا نحمدك ما استطعنا

ونشكرك ما امكننا لاخراجك ايانا من الظلمة الى نورك العجيب · واحيائك ايانا بابنك الحبيب فباسمه الكريم نحن متقدمون الى عرش جلالك ومقام رحمتك وكمالك متضرعون اليك يا ابا الرحمة واله النعمة ان تجزل لعبيدك نعمتك كي تثبت قلوبنا بايمان انجيلك وتزداد في معرفتك وتمتلي من حبك ومخافتك فنشهد بجراءة لحقك · ساعد اللهم عبيدك الضعفاء على حمل ما تسمح ان نلقى في سبيل حقك من المقاومات والالام · قدسنا ربنا كي تكون سيرتنا حسب كلامك لتمجيد اسمك المبارك باظهار ثمار ديانتك الطاهرة في سلوكنا الحسن شدد اللهمّ قلوبنا وبقها واملأها من فرح رجاء خلاصك وخشيتك ومهابتك وبارك اصحابنا الذين بجهل ارسلوا ينذروننا ان نرجع عن طريقك ونرتد عن سبيلك · انر اللهمّ قلوبهم واذهانهم كما انرتنا واهدهم كما اهديتنا ومتعهم بطيب سلام الايمان القويم والبر الثمين وبارك اللهمّ سلطاننا ومولانا المعظم الذي اوليته عبادك مع كافة وزرائه وولاته وقضاته · الق خشيتك في قلوبهم يارب العباد لكي يسوسوا خلقك بالامانة والاستقامة وهب عبيدك هؤلاء الذين دعوتنا بانجيلك الى ملكوت ابن محبتك ان تكون آلات مفيدة بيدك القديرة ان شئت ان نعيش لارشاد واقتياد مئات والوف الى حظيرة الخلاص والحياة لتكن اللهمّ اذناك الكريمتان مصغيتين لاستماع تضرعات وتوسلات عبيدك هذه ولتحرز صلاتنا هذه قبولاً لديك باسم وسيط خلاصنا الوحيد وشفيعنا الفريد ولك اللهمّ الهنا القادر العزيز الاب والابن والروح القدس الواحد السرمد نقدم السجود والعبادة والمجد والحمد الان وعلى الدوام آمين ·

الفصل السابع

اما ما كان من الشيخين المار ذكرهما عبد الكريم وعبد اللطيف فانهما دخلا على اصحابهما واخبراهم ما جرى بينهما و بين العلماء المذكورين ثم قالوا انّا لا نرىفائدة البتة من السعي بارجاعهم بالتي هي احسن « داء فالج لا تعالج » جماعة معجبين بانفسهم حاسبين ذواتهم احكم اهل الخافقين فانذهل الجماعة من ذلك وقال بعضهم آه لقد سقطوا سقوطًا ليس منه نهوض · واسفاه · وقال آخرون تبًّا لهم كيف هكذا استخفوا بنصحنا وانذارنا الم يصدقوا ما انذرناهم به وقال غيرهم متى مسهم البلا وحاقت بهم الاهوال ينكصون على اعقابهم راجعين · فقال الشيخ عبد الكريم لا غرو ان يرجع بعضهم متى ذاقوا مرارة الاضطهاد الاّ ان اكثرهم كما ارى لا ينثنون عن اوهامهم ولو قطعوا اربًا اربًا · و بيناهم في الحديث واذا بالحاج قدور المار ذكرهُ داخلٌ عليهم وكان غائبًا منذ يومين عن البلد لشغل ما فغب ان علم وفهم ما قد جرى وكان من اولئك الاعيان هاج وماج وارعد وازبد وقام وقعد وزأَر وتَرْتَر واشرأَبّ وكَبّر ثم قال — واعجباه من تقاعدكم ايها السادة عن الاجراء · كيف اصطبرتم عليهم للآن لِمَ لَمْ تسعوا بقصاصهم ببعض ما يستحقون أَيفسدون بالدين و يكفرون بالنبي والقرآن الكريم و يزرعون الفساد في اذهان العباد وانتم عنهم متماهلون · تتملقونهم بالكلام وتكسبونهم الزمان ريثما يتمكنون من نشر اضاليلهم وتمويهاتهم الا تعلمون ان هذا الضلال الغيهب متى حل ساحة الالباب لا يتيسر اخراجه الاّ بالسيف الاحدب — فقال الشيخ درويش العمري وقد كشح عمامته عن جبهته وقبض

على لحيته — لا بالله كلام الحاج قدور بعين الصواب ما عليه رد والله لقد قصرنا بحق هؤلاء الحمقى — عفارم حاج قدور مثلك تكون الرجال ثم استتلى كلامه الحاج قدور قائلاً دعوني سادتي اذهب الان واهيج البلد ضدهم واقبض عليهم على حين غفلةٍ واتي بهم الحكومة صباحاً لئلا يهربوا الليلة او يختبئوا فيفلتوا من يدنا ٠ فاجابه الشيخ عبدالرحيم الاموي مهلاً يا حاج نعم ان غيرتك تستحق الثناء لكن ما فهت به اخيرًا غير مناسب والجري عليه من باب الطياشة لانه ليس في مقدرتنا القبض على اعيان اجلاء نظير هؤلاء ولا يسوغ لنا ذلك وهب ان ذلك في حيز الامكان لا يناسب الان لانه ما ادراك ان يضحى ذلك علّة انقسام البلد وداعياً لفتنة دموية تبات مسؤليتها على عاتقنا اذ المومى اليهم كما لا يخفى هم من اشراف البلد واوفر حرمة واعتبارًا وذوي عُصب قوية لا يستخف بها فمن اعسر الامور واخطرها محاولة القبض عليهم ٠ فعندي من الرأي ان نعرض صباحاً هذا الامر الى قاضي افندي ومفتي افندي وقبل الظهر نعرض الواقع للحكومة وهي اولى بهكذا امر واحرى بنا وانسب من ان نبدي تشويشاً واضطراباً لانعلم ما تكون عواقبه بشروعنا فيما ليس هو من شأننا ٠ فاستصوب الجميع هذا الرأي وعوّلوا عليه وفوّضوا بابلاغ القاضي والمفتي ذلك الشيخ ناصر الدين والسيد عبد القادر وانهم نحو الساعة الرابعة من النهار يحضرون جميعاً الى دار الولاية ويعرضون الحال لدولة الوالي ٠ ثم قاموا وانصرفوا الى منازلهم وفي الصباح نهض الشيخ ناصر الدين والسيد عبد القادر واتيا منزل القاضي وطلبا مواجهته وبعد

وقت قليل دعيا الى محل الاستقبال . فسألهم القاضي ما شأنكم يا اخوان فقصا عليه ما كان من الشيخ علي ورفاقه وما جرى بينهم وبين المذكورين واجتهدا كثيرًا في تهييج خاطر القاضي ضدهم بكل ما يمكن من الطعن والافتراء وحضرته صامت عابس الى ان انتهيا من الكلام . ثم قال بكل رزانة وهدوءٍ ان كان الامر هو تماماً كما تذكرون فهو لخطب عظيم وشر جسيم يدعو الى غاية الاسف والكدر فلا تؤاخذاني اذا قلت انه بناءً على وفرة علم اولئك الرجال وتقواهم يصعب عليَّ تصديق كل ما اثنيتم عنهم لا يخلو الامر من المبالغة ـ اجابا لا وحياة راس المصطفى اننا لم نعرض لديكم الاَّ الواقع وسوف يتحقق ذلك لفضيلتكم — فتنهد حينئذٍ وقال اوّاه وا اسفاه واحيرتاه لا حول ولا قوة الاَّ بالله . ثم قال لهما وما فكركما تفعلان ايضاً قال فكرنا نعلم بذلك ايضاً مفتي افندي ثم نعرض الواقع لدولة الوالي . قال اما مفتي افندي فلا لزوم لذهابكما اليه انا ابلغه ذلك واما اعراض ذلك الى دولة افندينا فهو اليكما متى شئتما وانما التمس منكما كتمان الامر وعدم تشييعه في البلد احتساباً من الاضطراب والشغب . قالا امركم مولانا ثم استأذنا وانصرفا وكان القاضي من اعقل الناس واذكاهم فبعد انصرافهما ببرهة اجتمع بالمفتي وقص عليه الخبر . ثم قال لا خفاكم ان هذا الفساد هو لداءٍ معدٍ سيما بواسطة علماء مشهورين كهؤلاء انما لكون بعضهم من انسبائنا وخلاّننا احتار جدًّا كيف نتصرف من نحوهم اذا كانوا حقًّا كما بلغني عنهم واذا لبثوا مصرّين على ذلك . اما الوالي واخصاوءه فلأنهم غرباء البلاد لا يبالون باعدامهم اذا وجد لذلك مخرجاً شرعياً . حضرتك تعلم ان

للمذكورين مناظرين وحساداً كثيرين لؤماء فمتى رأوهم واقعين تحت هكذا مسؤلية خطيرة لا يتأخرون على ظني عن الافتراء عليهم واتهامهم زوراً بما يروج اعدامهم . وكيف نرى حريمهم واطفالهم بحالة الترمل واليتم فعلى كلا الوجهين الامر عسر النظر فيه آه وا اسفاه وغص بالكلام . فنظر اليه المفتي واذا عيناه مغرورقتان بالدموع فاستغرب ذلك منه وقال ما هذا يامولاي تجلد ان المشاكل تحتاج من الهمَم حسب درجاتها اني شاعرٌ جداً بصعوبة هذا الامر وانما ماذا بيدنا لله الامر اما نحن فمن كونا مسلمين ووظائفنا ذات اهمية كبرى ديناً وسياسة فلا يمكننا العدول عن منهج الشريعة لاسيما بمثل هكذا مسئلة - قال القاضي نعم ولكنني افضل التخلي عن مقامي وان اكون درويشاً سائحاً بعصاي في عالم الله الوسيع على ان اكون حاكما على الشيخ علي او الشيخ محمود بالاعدام أهذا امر هين عندك يا اخي . كلا انما رجائي بالله بواسطة نصائحك ووسائل حبك انهم ينزعون عن هذه الاوهام ويرجعون عن هذا الضلال فبسط يديه القاضي وقال اسأل الله ذلك وارجو ان تكون حضرتك مساعداً لي في هذا الامر قال ذلك من اهم واجباتي — القاضي — لنفرض ان كل الوسائل والاجتهادات بارجاعهم ذهبت سدًى فما يكون ليت شعري — اجاب المفتي ليس من الهين الآن بث الراي في هذه المسئلة وتحديد ما يكون الاّ اني ارى اذا بعد التي واللتيّا بقوا مصرّين على التمسك باوهام ضلالهم وجب ابعادهم الى بلد ما خالٍ من المسلمين — قال القاضي ذلك انسب من كل شيء ولكن من يعلم ان كنا نتمكن من الاقتصار على ذلك نسأله تعالى الهامنا الصالح . ثم افترقا ونحو الساعة الثالثة

من النهار التقيا في دار الحكومة وبعد ان جلس الوالي على كرسي الولاية بنحو نصف ساعة واذا جماعة من العلماء والمدرسين الشيخ ناصر الدين عمر واصحابه المذكورين داخلين فانكر ذلك الوالي وارباب المجلس اذ لم يعرفوا سبب دخولهم · وبعد اداء السلام كالعادة امرهم دولة الوالي بالجلوس فأبوا وقالوا لا نجلس حتى نعرض لافندينا امرًا خطيرًا فخفق لذلك قلب الوالي وقال امرًا خطيرًا ماهو ـ فقال القاضي ان حسن لدى افندينا فليأمر باخلاء السراي من النصارى وافراغها من كل مدعٍ ومشتكٍ ولا يسمح بدخول شخص ما الى السرايا ما عدا ارباب المأموريات والوظائف حتى نهاية المسئلة الآتين لاعراضها حضرات المشايخ لان عبدكم على ما علمت انها مسئلة ذات اهمية كبرى — فصدر من ثم امر الوالي بذلك وافرغت السراي من النصارى ومن كل مدعٍ او زائر او متفرج ثم اوما الوالي ايضاً الى المشايخ بالجلوس فجلسوا ثم التفت اليهم وقال وما الامر الخطير الذي اتيتم بشانه فقال السيد عبد القادر الفصيح اذ كان دولة افندينا ايده الله هو لاشهر وافضل الولاة واشدهم غيرة واوفر حميـة على تأييد وتشييد شرف الاسلام رأينا ان نعرض لديه ما وجب علينا اعراضه ذمة فبعظم الاسف نقول لاخفي دولة افندينا ان الشيخ علي ابن الشيخ احمد عمر والشيخ احمد حسن عبد الهادي والشيخ عبد الحليم عمر و الشيخ محمود الرافعي والشيخ سليمان بن الشيخ محمد فاضل وعمر افندي زاكي وحسن افنديـ قباواتي والسيد ابراهيم مصطفى والسيد حسن ابي النصر والسيد عمر بن علي الحارس والسيد مصطفى ياسين الحقاني حقاً لقد صاروا فعلاً نصارى منكرين النبي والقرآن وعلة ذلك هو وجود صداقة قديمة بين الشيخ

احمد عبد الهادي ورجل حلبي نصراني يدعى يوحنا الغيور متوطن
مرسيليا فمن مدة جاء من المذكور رسالة الى الشيخ المومى اليه موسومة
« في الحق الالهي » غايتها اثبات الديانة النصرانية وابطال كل دين ومذهب
خلافها فاطلع عليها العلماء المذكورون من جملتهم عبدكم هذا فمال الى
مآلها وغايتها من حضر سوى عبدكم فاني شرعت اتكلم ضدها محامياً
بكل قوّتي عن حق النبي والقرآن الشريف ناصحاً اياهم ان يلقوا تلك الرسالة
في خبر كان مبيناً لهم ما تبطّنته من سمو الهلاك كباقي تآليف الملحدين
والمشركين فلم يكن لرأيي هذا محلاً في عقولهم ولم يرعوا لمقالي حرمة
فقلت لا باس سأرى ما يكون ايضاً ثم لما جرت المفاوضة والمحاورة
بشأن مضمون تلك الرسالة رأيت واذا هم قد دانوا الى غايتها واذعنوا
الى مقالها فعارضتهم سدًى في ذلك . ومن ثم نفرت منهم واتيت استاذي
الشيخ ناصر الدين عمو واطلعته على امرهم فرقّة منه وحباً استحسن ان
يرسل اليهم شقة المودة تتضمن نصحاً اخوياً لهم بالرجوع عن هذه الاراء
والعدول عن سبيل التمسك بهذه الاوهام التي بلغته عنهم ففعل بما امكن
من الرقة والملاطفة فما كان الاّ انهم جاوبوه بخشونة واباءة مصرحين بما
فحواه تنصرهم . وهذا هو جوابهم بقلم الشيخ علي ان حسن لدى افندينا
النظر اليه ثم دفع التحرير الى الترجمان فقدمه الى الوالي واذ كان دولة
الوالي اوشك ان يأمر بقراءته قال التمس من حلم افندينا ان حسن لديه
يسمح لعبده بانهاء التقرير قال الوالي حسناً تكلم ثم ان الشيخ ناصر الدين
لما رأى منهم ذلك لم يرَ العجلة باعراض امرهم لدولة افندينا بل استدعى

عبيدكم هؤلاء الائمّة واعلمهم الواقع آخذًا رأيهم في ما ينبغي استعماله واتخاذه لرد هؤلاء من طريق ضلالهم هذا · وغب اعمال الفكرة مليًّا بهذا الشان اجمع رأيهم على ارسال وفدين منهم الى المذكورين فارسلا الشيخ عبد الكريم الصائب والشيخ عبد اللطيف جمال الدين المتمثلين الان معنا لديكم ليقدما لهم النصيحة النهائية و يبلغاهم شدة تأثرنا وفرط اسفنا على تخلفهم عنّا باعتناقهم الديانة النصرانية فذهبا وبذلا امكانهما وافرغا جهدهما عبثًا معهم بالنصح والانذار بكل رقة وحب اذ جاوبوهما ببيان وصراحة انهم جماعة مسيحيون مومنون بعيسى المسيح انه الهٌ متجسد صلب فداءً عن الخطاة · وفوق ذلك انهم بذلوا اقصى جهدهم بمحاولة اقناعهما ليسلكا معهم سبيل ضلالهم هذا فلما رجعا واخبرانا ما كان آيسنا من ارجاعهم وبعد التفكر طويلاً بأمرهم هذا بفرط الحزن والاسف رأينا من واجباتنا اعراض الحال لدولة افندينا ليرى بسموّ حكمته وسداد رأيه في حسم هذا الداء الخبيث الذي لا جرم ان أُغضي عنه « لا سمح الله » لا يلبث كما لا يخفى نباهة افندينا ان يلمّ جسيم الضرر في روح الامة وجسمها ويجلب من ثم اتعابًا لا تقدر لنفس الحكومة فهذا ما اقتضى اعراضه لديكم والامر لولي الامر افندم ·

فلما انهى كلامه سأل الوالي المشايخ رفاقه هل هذا الامر اكيد كما قال اجابوا نعم هو الواقع تمامًا فاخذ الوالي جواب الشيخ علي ودفعه الى الترجمان آمرًا اياه ان يقراه فقراه على مسامع الحاضرين · فاستغرب جميعهم هذا الكلام من علماء اسلام كهؤلاء وصعد الدم الى وجوههم تألمًا

وغيظاً وكان يلوح على وجه الوالي لوائح الغضب والرجز وبعد هنيهة التفت الى ارباب المجلس وقال · اتعرفون خط الشيخ علي اهذا خطه اجاب البعض نعم هذا خطه وقال اخرون انه يشبهه فاستدعى الوالي حينئذٍ الطابور اغاسي وقال له خذ قائمة هذه الاسماء واحضرهم حالاً فذهب واحضرهم جميعاً ولما مثلوا امام الوالي والمجلس· نظر اليهم الجميع نظرة التعجب والحيرة اولاً لكونهم من كبار العلماء وبعضهم في سن الشيخوخة وثانياً لدخولهم هكذا بجراءة وعدم ظهور شيءٍ من لوائح الخوف والاضطراب على وجوههم فنظر اليهم الوالي بعبوسةٍ وامرهم بالجلوس فاستعفوا ثم امرهم ثانياً وثالثاً فجلسوا ثم اخذ الوالي جوابهم الذي سلفت قراءتهُ وامر الترجمان بقراءتهِ مرة اخرى فقرأَهُ بصوت مسموع· ولما انتهى من قراءته · قال الوالي مَن كتب هذا الكتاب · اجاب الشيخ علي عبدكم افندم · فدهش الحاضرون من هذا الجواب الدال على شجاعة واستقامة المذكور — قال « يا » اذاً صرت نصرانياً · نعم افندم بنعمة الله فزجرهُ حينئذٍ الوالي قائلاً اسكت يا غبي و يحك اتقول بنعمة الله صرت مسيحياً· بعدت عنك النعمة والرحمة ثم التفت الى المجلس ضاحكاً ضحكة الاستخفاف والاحتقار قائلاً انظروا كيف هكذا بحمق وجهل يحسب الضالون ضلالهم نعمة من الله · ثم قال لاصحابه وانتم يامشايخ هل ضللتم ايضاً بضلالهِ اجابوا حاشا عبيدك من الضلال وانما اتبعنا الحق الذي انزلهُ الله في كتابه العزيز التوراة والانجيل المشهود له من القرآن نفسه — قال الا تكتفون بالقرآن الشريف · اجابوا كيف وهو يدلنا على التوراة

والانجيل انهما كتاب الله على التي هي احسن وانهما هدًى ونورٌ وهذه الدلالة منهُ هي كما لا يخفى علة سؤالنا عنه ودراستنا اياه وقبول ما انزل فيه — قال ويحكم ان الانجيل قد تحرَّف تحريفاً شنيعاً اذ يسمي عيسى ابن مريم الهاً وانساناً وان هذا الاله المزعوم صلب من اليهود وقبر وقام في اليوم الثالث لموته وانه بهذه الميتة الذلَّى يطهر تابعيه من خطاياهم . اتوجد خرافة اجسم من هذه وشرك بالله شر من ذلك وضلال اردى واخطر من هذا الضلال لا لعمري والعياذ بالله . فكيف هكذا حدتم عن الصراط القويم وطوحتم انفسكم في ورطة هلاك لا نجاة لكم منها الى الابد — اعوضاً عن كونكم مسلمين موحدين تصيرون هكذا نصارى مشركين ما هذا يابني العلم — واما هو عار عليكم انكم بكلمات سخيفة من مُشرك تضلون هكذا سريعاً متهورين كما بلحظة الى هوَّة الهلاك — فامركم هذا كأمر من يعتد بنفسه كبطل جبار ثم يولي الادبار في اول مباشرة الحرب والنزال ويسقط منفعلاً من فرط الوهم والجزع . فالآن آمركم ان ترجعوا عن هذا الغي القبيح الى الدين الصحيح والحق الصريح دين ابائكم واجدادكم واعترفوا بذنبكم امام هذا المجلس واصلحوا خطائكم اصلحكم الله وامتثلوا امر واليكم خير لكم . اجاب الشيخ علي نلتمس من حلم افندينا ان يسمح لنا ايضاً بالتكلم قليلاً ويسمعنا بطول الاناة — قال تكلم — لا تخفى افندينا اننا لدى البحث بدقة وامعان في امر الكتاب لم نر فيه تغييراً او تحريفاً ما وما اشرتم دولتكم اليه كدليل ذلك بالحقيقة ليس هو الاَّ حقًّا الهياً وهو غاية التوراة وخلاصة الانجيل ومن بحث عرف هذا . واننا في كل

شيء خلا الدين تحت امركم لان الدين كما لا يخفى افندينا هو امر بين الله والانسان وعلى كل ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس . فلما سمع الوالي هذا الكلام ازداد حنقاً وغضباً وقال بصوت الحدة والزجر اسكت يا خبيث . وللحال امر مأمور الضابطة ان يأخذهم الى السجن ويضع الحديد بارجلهم فاخرجهم وذهب بهم واذ كان نازلاً بهم توسل القاضي الى الوالي بارجاعهم الى المجلس ليتكلم معهم ان شاء دولته من اراد من الحاضرين بامر نصحهم واقناعهم بالرجوع فاجابه الى ذلك وارجعوا . ولما دخلوا اومأ الوالي الى القاضي ان يكلمهم فقال — بامر افندينا اقول لكم تفضلوا يا اخوان واجلسوا حسب مقامكم وعادتكم — البلد بلدكم والحكومة حكومتكم وهي لخيركم وخير وطنكم وهذا المجلس يقبلكم الآن بترخيص دولته بكل عزّة وترحاب اذ لا نقدر نصدق بان افاضل نظيركم تستمرون بهذا الوهم الذي طرأ موقتاً على اذهانكم السليمة ودولته لفرط كدره مما سمع من بعضكم على غير انتظار ممن هم في منزلتكم اضطرته حاساته الكريمة الى انتهاركم وزجركم بقلب مفعم اسفاً وغماً فاجلسوا حسناً واشكروا دولته على صالح غيرته نحوكم . فجلسوا بكل احتشام ثم نظر اليهم الوالي مبتسماً وامر لهم بالقهوة فشربوا ثم التفت اليهم وقال بنغمة الرأفة والحنوّ يا آبائي العلماء واخواني في الدين واولادي في السياسة كيف يمكن ان اراكم يا ربة العلم والفضل تهجرون ربوع دين الله الاسلام الى قفر الاشراك بالله ولا يكمدّ قلبي وينسحق كبدي تأسفاً على هلاككم وخشية ان تضحوا علّة اضلال كثيرين فاو كنتم من الرعاع

لكان امركم ايسر احتمالاً واقل مبالاةً ولكن اذ انتم من ذوات البلد واشرافها ونخبة علمائها كان امركم هذا الخطير مما لا يحتمل ولا يهمل · فاناشدكم الله اكراماً لله ولرسوله واوليائه الكرام واكراماً لظل الله على الارض امير المؤمنين مولاكم وسلطانكم· واكراماً لواليكم هذا واخوانكم هؤلاء ورعياً لخير بيوتكم وللسلام ان ترجعوا صاغرين الى دينكم ودين ابائكم · وحولوا كمد قلبي الى سرورٍ وابتهاج واجعلوا هذا اليوم الذي اظلم نوره في عينيّ يوماً طيباً بهيجاً يوم فرح وانشراح لصدور اخوانكم هؤلاء الذين اراهم غرقى بحر من الحزن والغم بسببكم (اه) اما هم فلبثوا ساكتين مطرقين الوجوه الى الارض متأثرين من فرط لطف خطاب الوالي فلما لحظ ذلك عليهم استبشر الحاضرون بقرب رضوخهم لامر الوالي وطلبه فقال بعضهم لبعض همساً انظروا ان الحلم افعل من الغضب والتهديد في قلوب الادباء ·

ثم قال القاضي استرخص من دولة افندينا بحر العلم والجود ان حسن لديه يسمح لعبده هذا بالتكلم مع الاخوان قليلاً بهذا الشان — قال الوالي تكلم ومن شاء غيرك من الحاضرين فليتكلم بعدك لاننا جماعة اخوان في الايمان وليس شيءٌ الان اهم لدي من نصح وانذار اخواننا هؤلاء الاعزاء وارجاعهم من حيث ضلوا عن الصراط المستقيم فاثنى الجميع على دولته ودعوا له بطول البقاء ودوام الارتقاء · ثم التفت القاضي الى المذكورين وقال — يا اخواني الاحباء ان صدري كما لا ريب صدوركم ايضاً تختلج كثيراً بحاسات الشكر الجزيل لحضرة دولة افندينا

الافخم لما ابداه نحوكم وفاضت به احشاؤه الرؤوفة من الملاطفة والمجابرة المدهشتين فنحمده تعالى الذي اولى امرنا هكذا ذاتاً كريمة تشعر معنا وترثي لنا وترأف بنا ولا رأفة الوالد باولاده — ثم ليس الآن محل يا اخوان للمحاورة والمناظرة · فقط بكل حب ووداد اخوي نتوسل اليكم ان ترقوا لنا ولا تجلبوا على شرفنا وشرفكم عاراً لا يحتمل ولا تدعونا ابداً نتقلب على بساط الغم والكمد · اذكروا يا اخوان اجتماعنا معاً في محالّ العبادة والدرس ومفاوضاتنا الروحية الطيبة ومخابراتنا وابحاثنا في ما يتعلق بخير الامة والوطن · اذكروا كم اثّرت خطبكم الغرّاء في القلوب وكم اتت من الاصلاح والخير حتى غدت شامنا بحسن اهتمامكم وجودة ادابكم وامثالكم من اهل الصلاح والبرشامة في وجنة البلاد · فهل حقاً تقبلون ان تتركوا مثل هذه المبرّات وتقوّضوا هذه الاساسات الجيدة التي وضعتموها بفرط الجد والعناء وتلاشون او بالاقل تضعفون هذه الاثمار الصالحة بانقلابكم هكذا واي انقلاب — لا — لا يا احبائي لا تأتوا هذا الامر المنكر والعديم اللياقة بامثالكم · اتوسل اليكم بحق المحبة اناشدكم الله ان ترجعوا من حيث شردتم ودعونا في هذا المحفل السني بحضرة وليّ نعمتنا الكريم نصافح بعضنا بعضاً مصافحة احباب التقوا بعد فراق طويل وحوّلوا حزننا الى فرح وكدرنا الى سرور سرّ الله قلوبكم ولا تخالفوا نصح افندينا الذي تنازل به اليكم بغريب اللطف والدعة ولا تخذلوا اخاكم هذا مستخفين بتوسلاته اليكم رضي الله عنا وعنكم (— اه) · ثم قال المفتي — يا اخواني واحبابي ان اساني يقصر دون القيام بحق التعبير والبيان

في هذا المقام عن مقـدار الغم والكمد والانزعاج الذي احاق بقلب اخيكم هذا من جرى هذا الامر المستغرب والحق اقول ان اول كلمـة طرقت اذني من هذا الخبر المشؤم شعرت بها كصاعقة انقضّت على راسي وكسهام ناري خرق صميم فؤادي · لا اغالي في ذلك ولا جرم ان كل مسلم غيور ومحب لكم يشعر كما شعرت ويتألم كما تألمت كيف لا واخواني وعشراء عمري الذين ربيت واياهم وتمتعت هنيا بصحبتهم وصداقتهم كل ايامي الغابرة يتركوننا هكذا فجأة متخلفين عنا في الدين والعبادة واليقين · افلا يكون ذلك انقلاباً وبعاداً اشد مرارة من الموت اقلوبنا الا ترقون لنا يا اصحاب اتنكرون صحبتنا ووادنا حتى لا تعبأوا بتوسلاتنا اليكم عهدي بكم ان قلوبكم ليّنة يا كرام البلد فهل تحوّلت الى حجر كلاً وحاشا «وكان في اثناء كلامه هذا تنحدر الدموع على خديه الورديتين انحداراً يحاكي المطر حتى تلجلج لسانه عن الكلام ثم تجلد وقال» فيا احبائي الاعزاء اتوسل اليكم بحق المحبة والصحبة واكراماً لله ان تنزعوا عن هذه الاوهام وارجعوا بسلام الى دين ابائكم التشريف · اقبلوا بالشكر والمنة ما افاضت به عواطف واليكم الجليل من الملاطفة وشعار الحنوّ والرأفة واذا رغبتم بالمحادثة والمحاورة الدينية نستمع لها فيما بعد على خلاء واما الان امام هذا المحفل السلطاني ننتظر ونتامل من حبكم ووفرة حكمتكم الاجابة والاذعان لامر افندينا والتماس اخوانكم هؤلاء · دعونا يا اخوان كجاري عادتنا نقضي ايامنا معاً بهناء وسرور متمتعين بطيب المعاشرة الاخوية والمخابرات الخيرية وبفضل المولى وانعامه نضحى مع وئين منكم

متشكرين الطافكم (اه)

فعب انتهاء الخطاب وجلوس الخطيب لوحظ على اولئك الرجال انكسار القلب وضيق الصدر كمن هم في حال الارتباك الشديد فاشار الوالي ان يعطوا فرصةً للتأمل ثم أمر بالشرابات المنعشة والقهوة وبعد الفراغ من ذلك فرّقوهم بعضهم عن بعض واضعين كل واحد منهم بين اثنين واخذوا في التكلم معهم همساً كل على حدته ثم تفرقوا الى قاعات اخر باذلين المجهود بارجاعهم بفنون الاساليب وصنوف المواعيد مبينين لهم سوء عاقبة الاصرار والنتائج المرّة من ذلك مملقينهم بانواع الاطراء والتمليق — فانصاع لهم ثلاثة من الرجال المذكورين راضخين لطلبهم وهم حسن افندي قباواتي والسيد حسين ابي النصر والسيد مصطفى الحقاني ولما رجعوا الى امام الوالي وانعقد ايضاً المجلس وقف المذكورون في الوسط واقرّوا معترفين بانهم قد اخطأوا الى الله ورسوله بما كانوا قد عوّلوا عليه من ترك الاسلام والتدين بالنصرانية ثم ادوا الشهادة لله والرسول فقبل منهم ذلك الجميع بكل فرح واثنوا عليهم و بالغ الوالي باكرامهم مستبشرين برجوع البقية ثم تقوّى القاضي وقال ان دولة افندينا مسرور جدًّا كما وجميعنا برجوع بعضكم الى الدين الحق والصراط القويم وهذا قد قوّى املنا برجوع جميعكم لاتمام سرورنا اذ لا يمكن ان يتم فرحنا وواحد منكم متخلف عنا فنكرر رجانا وتوسلنا اليكم ان تتمموا سرور اخوانكم وترجعوا الراحة والسكينة والفرح الى بيوتكم وبلدكم . قفوا باسم الله يا احباب كما وقف اصحابكم وادوا الشهادة لله ولرسوله اعلاناً رسمياً لاذعانكم ورجوعكم

الى الايمان القويم والسبيل الامين · فلما انتهى القاضي من مقاله وقف الشيخ محمود الرافعي وقال ·

اني وانا واقف الآن امام كرسي ولاية ومجلس سلطاننا المعظم ايد الله شوكة اقتدار سلطنته مدى الدوران وظفره باهل البغي والعدوان استرخص من مكارم دولة افندينا الهمام لأتكلم عما في قلبي عن نفسي وعن رفاقي هؤلاء قال له الوالي تكلم فقال ·

يادولة افندينا الافخم ويا اعضاء المجلس الكرام حقاً لقد كسرتم قلوبنا واذبتموها بغرائب اللطف والمجابرة التي قد تنازلتم متفضلين بها علينا دون استحقاق · فقلوبنا تختلج كثيرًا جدًّا بحاسات واشعارات الممنونية والشكر لحضرة دولته ولكم فياليت كان في وسعنا الرضوخ القلبي لامره الكريم من جهة ما نحن بصدده · لايخفى افندينا ان المعتقد واليقين محلهما القلب ولا يخرجان منه الا بالدليل والبرهان · اما توسلات الاخوان والاحباب ودموعهم والمواعيد والوعيد والشرع والقصاص فحد فعلها في البعض ارضاخهم وارجاعهم عمَّا تقرَّر في اذهانهم ورسخ في قلوبهم رجوعًا وقتيًّا خارجيًّا فقط لا قلبيًّا · كما لا غرو في امر رجوع بعضنا الان وبما انه ليس في مقدرتنا ولا في مقدرة غيرنا اخراج ما قد تقرَّر ورسخ في اذهاننا وقلوبنا من الايقان بسلامة وصحة نص الانجيل الموجود الآن الاَّ بالدليل الراهن والبرهان القاطع لذلك لا نستطيع مقاومة الضمير بالرضوخ عفوًا لامر دولته · ولكن اذا حسن لدى دولته ولديكم ان تتنازلوا لمحاورتنا والعمل باقناعنا بالبينات الراهنة والادلَّة الكافية تفعلون

احسن خير وما هو حريٌّ بكرام نظيركم · ومتى تبين لنا بهذه الواسطة وهمنا وغلطنا المزعوم لا نتردد عن الرجوع الحقيقي الى ديانة آبائنا ونضحى بامتنان وشكرٍ لا يقدران لحضرة دولته ولكم · فنطرح توسلاتنا وابتهالاتنا لدى اقدام افندينا العطوف وامامكم ان ترثوا لحالنا وتقبلوا اعتذارنا متنازلين ان حسن لمعاملتنا على الوجه المتقدم ذكره او تركنا وشاننا متمتعين بالحرية التي خولتها عظمة مولانا السلطان لصنوف رعاياها وعبيدها · وها نحن بين يدي افندينا فليفعل بنا ما هو حق وصالح في عينيه ان يعمل والامر لمن له الامر ·

فلما انتهى المذكور من كلامه وكان الوالي في اثناء ذلك عابساً مكمداً حصل سكوت في المجلس بضع دقائق ثم امر دولته باخراجهم الى الخارج وغب خروجهم اخذ في المشورة بشانهم فقال ماراأيكم في هولاء الجماعة واي قصاص يستوجبون بعد افراغنا الجهد بارجاعهم بالتي هي احسن — قد نصحناهم بكل رقة ولم يكن لذلك تاثير جيد فيهم — اجاب البعض نظر افندينا اوسع وحكمته اكفى للتصرف في امر مثل هذا — قال لا بل يجب ان تعطوا رايكم في ذلك · فقال بعضهم بوجوب اعدام اثنين او ثلاثة منهم رهبة للآخرين وقال غيرهم بوجوب سجنهم مدة مديدة وغرمهم بمال جزيل وغيرهم بنفيهم وضبط املاكهم الى غير ذلك من الاراء · وكان القاضي اذ ذاك ساكتاً لم يفه ببنت شفة فقال له الوالي مالك ساكت ياقاضي افندي اعطِ رايًا فقال يا دولة افندينا لاخفى دولتكم ليس هو هين تقديم الراي في مسئلة كهذه خطيرة وما

سكوتي بينما كان اخواني يتكلمون الاَّ لزيادة تبصري وتأملي في ماينبغي اتخاذه من جهة هوءلاء الرجال فيا افندينا ان شرائع مملكتنا تخول الحرّية لكل من رعاياها ان يعتقد ما شاء وينزع عما شاء من العقائد والمذاهب · فالحكم عليهم بقصاص بناء على ترك ديانة آبائهم واعتناقهم اخرى ينافي نظام الدولة وشرائعها واطلاق سبيلهم لا يناسب في الحال · لان لا احد يعلم ما ينشأ عن ذلك من التشويش والاضطراب المزعج فكيف التخلص من هذا المشكل لا ادري · على ان حكمة افندينا كفاية لكل امر · فلما سمع الوالي هذا الكلام انتبه بتعجب الى ما كان قد غفل عنه فقال ان ما قلته جنابك هو صحيح وانت يا مفتي افندي ما ترى فقال بما ان الامر هو كما قال قاضي افندي فيرى عبدكم ان يحجز المشكو عليهم موقتاً في السراي وان حسن لدى افندينا يقدم تقرير حالهم هذا للباب العالي ويستعلم من طرفه عما يجب اجراؤه من جهتهم فيتخلص افندينا ونحن من اعباء المسؤلية بشانهم · فوقع هذا الرأي موقعاً حسناً عند الوالي والمجلس وحينئذٍ امر بحبسهم في اوضة مناسبة في السرايا ويخفروا ليثما يرد الامر بشانهم وسمح للقاضي والمفتي مع غيرهم من العلماء والمشايخ وبعض اقاربهم واهلهم ان يزوروهم في اثناء ذلك في اوقات معينة بشرط ان يبذلوا الجهد باقناعهم للعدول عن اوهامهم والرجوع الى الاسلام · ثم ارسل تلغرافاً الى المابين يتضمن خلاصة امرهم مع التماس الافادة عما يجب اجراؤه من نحوهم

الفصل الثامن

اما ما كان من المذكورين فانهم دخلوا سجنهم فرحين قائلين ما ارحب السجن والذ العار في سبيل الحق ولما شاع في البلد خبر سجنهم اضطرب الناس لذلك واي اضطراب سيما الذين لم يعرفوا السبب و بالاخص الفقراء والمساكين كالايتام والارامل والعجز الذين طالما نالوا اعانات. واحسانات وفيرة من اولئك الفضلاء و بواسطتهم · فما كنت تسمع الا الغوغاء والضوضاء في الاسواق والشوارع والحوانيت فانقسم الناس بسببهم بعضهم على بعض وكثر بينهم القيل والقال حتى انزعجت البلد من جرى ذلك واي انزعاج · وكان الشاعرون بما لاولئك الادباء من الفضل وجميل الاثر يقولون لما سجنت الحكومة يا ترى هؤلاء المعتبرين الكرام ملح اصلاح البلد ومنايرها ذوي اليد البيضاء في ما لخير الامة والوطن — ما ذنبهم وما جريمتهم · وصاروا يتذمرون على الوالي والمجلس ناسبين ذلك الى غايات نفسانية · لكن بواسطة اهل التعقل والحكمة هدأ الحال شيئاً فشيئاً · اما ما كان من الشيخ ناصر الدين وذويه المذكورين مع بعض حساد المومى اليهم فانهم بعد ان اشاعوا في كل انحاء البلد السبب الموجب لحبسهم وهو انقلابهم الى دين النصارى وانهم فوق ذلك افتروا بتشنيع الكلام على النبي والقرآن الى غير ذلك من الكلام المهيج الذي

اكثره لم يحُز قبولاً عند الاكثرين عمدوا الى تدبير دسيسة فعَّالة ضد اولئك المساكين لارواء غليل قلبهم الظامي الى الانتقام منهم . فاجتمع منهم جماعة في بيت الشيخ احمد الكيلاني للمؤامرة بذلك وبعد الاخذ والرد طويلاً في هذا الامر قال الشيخ عبد الكريم الصائب عندي الاصوب اعمال الفكرة باتخاذ الوسيلة الفعَّالة لاعدام احدهم بوجه شرعي وان تم لنا ذلك لا يلبث ان يرجع اكثرهم وربما آل ذلك الى ارجاع جميعهم لانه كما لا يخفى ليس من الممكن في هذا العصر اقناع الحكومة باعدامهم او اعدام اكثرهم اولاً بالنظر الى كمال الحرية الدينية في اكثر الممالك واعظمها . وثانياً لان للرجال المذكورين منزلة كبرى في قلوب العامة وهم ذوو عصب قوية في البلد فيخشى ان قصاصهم بالاعدام ينتج حركات ردية وفتناً دموية فعليه لا يناسب قط الشروع في تدبير دسيسة على جميعهم او اكثرهم لاننا لا نفلح في ذلك بل على واحد منهم لا غير فوقع عندهم هذا الرأي موقع الاستحسان . ثم اخذوا يتفكرون ويتشاورون في من منهم يكون انسب لجعله غرضاً لسهام مكيدتهم فقال هذا فلان وقال ذاك بل فلان الى ان قال الشيخ علي العطار ارى انه يكون اكثر مناسبة لذلك عمر الحارس فان هذا الرجل لا عصبة له تذكر وهو مكروه من الاكثرين لخشونة طبعه وتعنته فانه رجل عاتٍ لا يراعي الخواطر ولا يجاري الزمان بل يبقى متشبثاً بما يخاله صواباً ولا يقلع عنه الا ان يقنع بغلطه ولو آل ذلك الى شرحال . وعلى ظني انه هو بالاكثر الذي عظَّم هذا الفساد فاذا قوصص بالاعدام لا يلبث الآخرون ان يرتدوا الى

دينهم فيتلاشى هذا الشر ويزول العار عن الاسلام ويرجع الحال الى السكينة والسلام فنكون بعملنا هذا قد فعلنا خيراً عظيماً . فاذعن جميعهم الى هذا الرأي وعوّلوا عليه ما خلا الشيخ ابراهيم تقي الدين الذي كان ساكتاً حتى الآن فقال عجباً ياشيخ علي من انزالك الصفات الشريفة منزلة الامور الذميمة لعمري ان الثبات في الامور والتشبث بما يرى حقاً وعدلاً بازاء كل مانع هو لاجلّ الصفات واعظم عمد التقوى فكيف ارتأيت ان تقول للصبح ياليل وللقمر ياسهيل . فلا تؤاخذوني اذا قلت انكم غير محققين بتوجيه سهام الهلاك ضد شخص كهذا فمن جهتي لا اوافق ولا ارافق على ارتكاب ذميم هذه الفعلة وما يضرّنا ان يكون الانسان حرّاً في ما يفتكر ويعتقد . اجابه الشيخ احمد الكيلاني لا تؤاخذنا ياشيخي انّا دعوناك للاشتراك معنا في امر هو لمصلحة الدين والامة والظاهر ان ذلك لا يهمك فاذا شئت حضرتك الانصراف فلا باس . على انّا نرجوك الكتمان عما سمعت . اجاب نعم وقام للحال وذهب اسبيله وهو يدعو ويقول لانجّح الله مسعاكم ولا وفقكم باذى هذا الرجل الكريم وبعد انصرافه قال الشيخ عمر الكيلاني لا تستغربوا ما قال شيخنا الغابر فان بيت تقي الدين موصوفون بالمعارضة ان قلت لاحدهم « الخل حامض قال بل حلو » وان قلت لهم العسل حلو قالوا بل حامض — فاحضارهم في مجالس المشاورة والمؤامرة جهل وغلط — فقال الشيخ ناصر الدين قلما تخلو الجماعات من الحمق والمجانين فما لنا وله انصرف عنا بالسلامة دعونا نرجع الى ما كنا عليه من الحديث فما الطريقة لتمكننا من مقصودنا

هذا · فقال الشيخ احمد نسترخص الدخول عليهم ونكرّ لهم ما امكن مظهرين لهم كل حب واخلاص حتى نجلبهم نحونا ونجعلهم يحقون الاركان الينا ومن ثم نأخذ معهم بالحديث بما امكن من الرقة والدعة ونجتهد لنجعل حديثنا بالاخص مع المذكور · ومتى تمكنا من ذلك نسأله هذين السؤالين · اولاً هل القرآن من الله ام لا · ثانياً · هل النبي محمد صادق في ادعائه النبوّة والرسالة ام لا · وبما ان المذكور من طبعه البليد لا يعرف ان يتكلم الاَّ ما في قلبه بكل سذاجة وبساطة وبناءَ على حدة اخلاقه التي غالباً تقوده الى الاسراع في التكلم والمجاوبة بدون تبصر في العواقب لا بد انه يجاوب حالاً على ذلك فان اجاب بالايجاب يكون قد رجع مسلماً وان بالسلب نكون قد تمكنا من بلوغ المرام فنسكب جوابه في قالب يوجب اعدامه شرعاً ما لم يكن قد حصل تغيير في طبعه وذلك مما لا سبيل للظن به · فاستحسن الجماعة هذا الرأي غير ان بعضهم قال · لا اخفاكم ان من طبع ابن الحارس قلة الكلام وغالباً اذا جرى الحديث على السن جماعة كان بينها يكون آخر من تكلم لا سيما اذا كان في الحضرة من هو ارفع مقاماً واغزر علماً فلست ارى من السهل جذبه الى الحديث — قال الشيخ احمد نعم ولكنني ارجو انا باطالة الحديث معهم بالحكمة والملاطفة نقتاد المذكور للاشتراك في الحديث ومن ثم نبذل الجهد بحصر الحديث معه والله الموفق · فقر قرارهم على ذلك ثم قال بعضهم ارى انه لا يوافق دخول جميعنا اليهم لئلا ينتبهوا الى المكيدة فنخسر ثمرة اجتهادنا · فعندي ان حسن لديكم ان يدخل عليهم ثلاثة منا

لا غير ممن هم اوفر اناةً ودهاءً وممن لم يتظاهروا بعد في مقاومتهم ولم يدخلوا معهم في امر البحث اوالنصح · واما الآخرون فليكونوا بحال المراقبة في السرايا بقرب سجنهم بعلة ان لهم اشغالاً ذاتية في بعض دوائر الحكومة فأستصوب الجميع هذا الرأي ومن ثم اختاروا لذلك الشيخ احمد الكيلاني والشيخ علي العطار والحاج ياسين قباقبي — هذا وان الوالي وذويه مع بعض اعضاء المجلس كانوا يتوقعون علّة موجبة لاعدام بعض اولئك المتنصرين رهبةً للبقية وعبرة للناس فلم يجدوا لان القاضي والمفتي اللذين كانا يكرهان وقوع شر كهذا على المذكورين كانا يقاومان بكل جهدهما هذا الميل متخذين ما امكن من الاحتياطات لدفع هذا البلاء وساعدهما على ذلك حب المذكورين المتمكن منذ امد طويل في قلوب اكثر الاهالي مبينين لدولة الوالي ولغيره ان ذلك يأتي بعواقب غير مرضية — الى ان كان اليوم الرابع من حبسهم واذ جاء السرايا الثلاثة المشايخ المذكورين فاسترخصوا من دولته الدخول الى المذكورين بعلة قصد انذارهم ونصحهم فرخص لهم بذلك · ولما دخلوا اليهم سلموا عليهم سلام الحب والوداد بغاية الاعتبار والوقار مظهرين ما امكن اظهاره من احساسات الحنوّ والشفقة ثم جلسوا بكل احتشام ممسكين عن الكلام مقدار نصف ساعة عابسين مكتئبين مطرقين بوجوههم الى الارض متنهدين تنهدات متتابعة حتى خيل للناظرين كأن هم غائصون ببحر من الحزن والكدر على اهانة اخوانهم هؤلاء وذلهم حال كون قلوبهم متقدة بنيران الغيظ والضغينة متعطشة الى شرب دمائهم · ثم فتح فاه الشيخ احمد الكيلاني وقال بنغمة التودد

والتحبب — يا سادتي واخواني الاحباء اني من فؤادمضطرم بنار الحزن والاسف اقول ان امركم هذا وما قد جرى لكم قد شوّش البلد واي تشويش وصارت مسئلتكم هذه حديثاً عمومياً للصغار والكبار الامر الذي قد افعم قلوب اصحابكم واحبابكم غمّاً وكدرًا وفرّح اعداءكم ومبغضيكم وفغر افواههم اكثر لثلبكم والافتراء عليكم بما امكن افتراؤه . فمن الناس من استخفّ عملكم هذا ناسبينه الى فساد في المخيلة طرأ على عقولكم السليمة ومنهم من تحيّر منه و يظنه صالحًا استنادًا على غزارة علمكم وكرم طباعكم وقد نشأ عن ذلك كما لا يخفى انقسامات كثيرة وتحزّبات ومجادلات عنيفة في الاسواق والحوانيت والمنازل كادت احيانًا كثيرة تفضي الى الخصام والنزاع . فاخوانكم هؤلاء لما بلغنا هذا الامر المهم عندنا اعترتنا الحيرة والدهشة من جراء ذلك وتعبت قلوبنا جدًا لعدم استطاعتنا القطع على عملكم هذا ضلالاً او صوابًا فبعد التفكر بذلك مليًّا قلنا لابد لنا من زيارتهم ان شاء الله والتحدث معهم بهذا الامر علنا نحصل من ذلك على فوائد نحن نجهلها فنناشدكم الله يا اخوان الاّ تكتموا عنا امرًا مفيدًا ولا تخفوا عنا مانسألكم عنه « فانتبه حينئذٍ الى ما طويَ من رداءة الغاية وسوء القصد تحت رداء طلاوة هذا الكلام عمر افندي زاكي فهمس في اذن الشيخ علي اني لا ارىَ هؤلاء الاّ افاعي آتين بدسيسة ومكيدة مدبّرة كما يظهر لك من ملق كلامهم وسرعة تغيير هيئات وجوههم وزيادة تحديدهم علينا في الكلام فلنكن على حذر» وقبل ان نسأل حضراتكم شيئًا نقول نعم اننا نتوق جدًا ان نراكم يا احباب عدلتم عما عولتم عليه من هجر دين الاسلام الامر الذي يكون

عبارة عن شروق شمس الفرح والابتهاج على قلوب اهلكم ومحبيكم بعد ظلام دامس من الحزن والكمد · ولكن ان كان ما انتم متمسكون به حقاً وصلاحاً فلا نرضى لكم بالرجوع عنه بل نرغب مشاركتكم فيه اذا تبين لنا حقيقة ذلك لانه على كل حال ينبغي ان يفضل صالح النفس على صالح الجسد والآخرة على الدنيا· ولذا اتيناكم بكل اخلاص طوية لنتحدث معكم ونستفيد منكم عن هذه الامور فاملنا بحبكم اجابتنا عما نسأ لكم عنه بجلاء وبيان كما ونحن نجاوب بقدر الامكان عما تسألونا عنه هدانا الله واياكم صراط الحق والخير · اجاب الشيخ احمد عبد الهادي تفضلوا حضراتكم سلوا ما بدا لكم — قال الكيلاني قد علمنا مما شاع عنكم انكم غب الفحص الوافي رأيتم ان الكتاب التوراة والانجيل لم يشبه تغيير ما بل هو باقٍ كما انزل من الله فاخذتنا الدهشة والحيرة لان الكتاب الموجود الان بايدي اليهود والنصارى ينافي القرآن الشريف كل المنافاة من حيثيَّة عيسى ابن مريم عليه السلام لما فيه من التصريح بالوهيته وصلبه وموته فداءً عن العالم الامور المنكرة في القرآن فماذا اذاً اكاذب القرآن في انكاره ذلك اليس هو منزل من الله · نرجوكم الافادة ·

فتوقَّف المذكورون عن الجواب لما لحظوا ما تحت هذا السؤال من ردي الغاية · وبعد برهة قال عمر افندي زاكي لا يلزمنا يا اصحاب ان نجيبكم على هذا السؤال الذي لا نرى له محلاً ويكفي ان نقول لكم ان الكتاب ما تحرَّف قط ولا تغير في غايته وقضاياه ولذلك ادلة وبراهين قاطعة محال نقضها بوجه من الوجوه ولا تؤاخذوني اذا قلت لكم اني لا اراكم مخلصين النية من جهتنا بل اخالكم كجواسيس جئتم تتجسسون حريتنا لتصطادوا من افواهنا شيئاً

تشتكون به علينا — فقالوا بلسان الشيخ علي العطار معاذ الله ان نكون هكذا لا تظنوا فينا السوء يا اخوان قسماً بالله العلي العظيم اننا نحبكم كانفسنا وماجئناكم الا بكل اخلاص من جهتكم قصد الاستفادة والتنوُّر من حيثية هذا المشكل الخطير لاننا لما بلغنا انكم رأ يتم غب الفحص القانوني والامتحان الوافي سلامة الكتاب من شوائب التحريف والتغيير مع علمنا المنافاة والمباينة الكلية بينه وبين القرآن من خصوص ما تقدم ذكره قلقت افكارنا جدًّا وتعبت قلوبنا اذ لم نجد البتة كيف يمكن الاتفاق بينهما فقلنا بعضنا لبعض اذا كان حقيقةً التوراة والانجيل لم يتحرفا ولا تغيرا من خصوص هذه المسئلة فيكون القرآن ليس من الله وان كان منزلا من الله فبلاشك يكون اعترى الكتاب تغيير عظيم واذا كان له من الادلة والبراهين ما يبين قطعاً عدم تغييره وتحريفه كما يدعي اخواننا المتنصرون فماذا نعمل وكيف نتصرف فهذه الافكار ازعجتنا واقلقتنا جدًّا حتى لم نعد نجد راحةً لانفسنا وطارَدَنا نومنا فقلنا من ثم الاوفق لنا اذًا ان نزور اولئك الاخوان في سجنهم ونتحدث معهم ان سنحت لنا الفرصة بهذا الموضوع المهم لعلنا بالاقل نحصل على ما يريح البال من هذا القبيل · وعليه جئناكم بعلة اننا قاصدون نصحكم وانذاركم ولكن في باطن الامر لنستفيد ونتنوَّر من جهة هذا الامر الذي قد اعدمنا الراحة واللذة وقلنا نعرف ان المذكورين هم في الدرجة الاولى من العلم وذكاء العقل فلو لم يروا هذه الامور قرينة الصحة والصواب لما تمسكوا بها هكذا وقبلوا بسببها العار والسجن حال كونهم من اشراف البلد وكرامها · فهذه الافكار والهواجس هي التي بالحقيقة قادتنا اليكم يا اخواننا وانتم تكسرون خواطرنا باتهامكم ايانا بسوء الغاية من جهتكم لا

نواخذكم بذلك سامحك الله ياعمر افندي ما كنا ننتظر منك هذا الغبن فاذا كنا يا اخوان قد ثقلنا عليكم فها نحن ننصرف عنكم — وتظاهروا كأنهم يريدون الانصراف فقال الشيخ علي كلاً يا اخوان لا تذهبوا بل قد آنستمونا اهلاً وسهلاً بكم وعلى كل السماح من شيم الكرام فنرجو الاَّ تواخذوا اخاكم عمر افندي بما قال وتحديدكم في السؤال هل القرآن اذاً كاذب مما يدعو كما لا اخفاكم الى هذا الظن على ان بعض الظن اثم. فان كان عندكم يا اخوان شك في صحة التوراة والانجيل فعليكم بدرس التوراة التي بيد اليهود ومقابلتها على الانجيل بيد النصارى عساكم بنعمة الله ترون فيهما كما قد رأينا من المطابقة المدهشة. ثم قابلوا الانجيل على القرآن. وكان قصده التقدم في الكلام فقاطعه الشيخ احمد الكيلاني قائلاً قد فهمنا ياسيدي مقالك وهو حق ونعم الرأي وسنفعل ذلك ان شاء الله ولكن ارجى جنابك ان تسمعني بحلمك — أَلا ان الاعتقاد بعدم تحريف الكتاب هو نفس انكار القرآن فاجفل الشيخ علي من تكرار هذا السؤال وامتنع من الجواب ريبةً باخلاص هؤلاء الرجال فكان المتنصرون في هذه المفاوضة او بالحري المخاتلة والمصارعة على غاية ما يكون من الاحتراز حتى لا يفوهوا بكلمة تكون علة لازدياد الوبال عليهم فكانوا من هذه الحيثيَّة كمن يمشي بين الجمر متوقٍ بكل حذر هذه وتلك. فقال الحاج ياسين قباقي اني لاعجب من تجفلكم منا يا اخوان أَذئاب نحن (قال عمر افندي سرًا لاشك في ذلك) اما نحن اخوانكم هل رأَيتم او سمعتم عنا شيئاً ردياً يجفلكم فلما تحاولوا عدم افادتنا خلافاً لعوائدكم الصالحة ما السبب يا ترى. اجابه السيد عمر الحارس (ولم يعلم المسكين ان الفخ منصوباً له) ان الحاكم

علينا بهذا السؤال الذي لا لزوم له يريبنا بخلوص نواياكم من جهتنا ويدعونا للتوقي والحذر الا تعلمون ان خروجنا من الاسلام هو الجواب لسؤالكم فاي محل اذاً للالحاح به علينا (لما بدا عمر المذكور يتكلم لاح على وجوه اولئك المتنكرين لوائح السرور وبدت منهم حركة جديدة لتمكنهم من تصويب سهامهم نحو الغرض المقصود) ومعلوم ان في القرآن كثير من الكلام الجيد الصالح ومن كلام الكتاب . قال الكيلاني وقد تعدل في الجلوس ومسح شاربيه ولحيته احسنت في ما قلت يا سيد عمر ولكن اليس هو منزل بالوحي على محمد . (لم يقل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كعادة المسلمين عند ذكره ذلك لتتميم المكيدة) قال عمر بصوت منخفض لو كنت اعتقد ذلك لما صرت نصرانياً فلما سمع المذكورون منه ذلك طرحوا عنهم حينئذٍ اثواب المداهنة والمخاتلة ورفعوا عن وجوههم برقع التنكر مظهرين حقيقة حالهم وذلك بان الكيلاني غيَّر نغمة اللطف من كلامه قائلاً بصوت جاش وبلفظ الخصام اذاً بموجب كلامك هذا ان القرآن ليس من الله وان محمد المصطفى نبي كاذب ورسول غشاش غش الناس باكاذيبه — حاشاه حاشاه من ذلك قد جدفت يا عمر على القرآن والرسول تجديفاً لا يحتمل ولا يطاق . الله اكبر . الى هذا الحد ابهذا المقدار افتراء وتجديف على الله ورسوله اهكذا تهينون القرآن والنبي والاسلام — واذ كان هذا الكلام بغاية الحدَّة والارتفاع وكان اذ ذاك السيد عبد القادر الفصيح والشيخ عبد الكريم الصائب والحاج قدور الطيش ومحيي الدين ابن الشيخ ناصر الدين مع اخرين من ذوي الجهالة والطياشة يجولون حوالى السجن مراقبين الحال ومنتظرين مثل هذا الكلام كعلامة دعوة لهم للهجوم واثارة

الهيجان على المذكورين حسبما كانت قد صارت الرابطة فلما سمعوا ذلك صاحوا بفم واحد يا لدين محمد · الله اكبر على الكفار وهجموا على باب السجن قائلين بأعلى الصوت أأنتَ يا كلب يا خنزير يا ابن الحارس تجدّف على القرآن العزيز وعلى نبي الله ورسوله الاعظم تقول ان القرآن ملفَّق من الناس ومحمد كاذب بادعائه النبوّة والرسالة وانه رجل محتال غشاش قد غش العرب باكاذيبه واحتيالاته يالرسول الله اعينوا يا مسلمين فان هذا الكلب الردي قد جدف على نبيكم واهان دينكم فتكاثرت الناس وهجموا ليدخلوا الى الداخل ويخطفوه فمانعتهم الضابطة وصدوهم عن ذلك فاوقعوا الضرب بهم فقويت الضجة وعلت الصيحة فتهافت الناس من كل جانب الى ذلك المكان حتى كانت يالها من ساعة لا تسمع فيها الّا الضوضاء والصياح المبلي بالصمم · ولا ترى الّا تموُّج الناس وسقوطهم بعضهم على بعض حتى خيل للناظر كأن ذلك احدى معارك تيمورلنك او بونابرت · ولو لم يتدارك ذلك الاميرالاي بالعسكر الشاهاني والطابور اغاسي بالضابطة والجاندرمة الذين بادروا سريعاً لاخماد الفتنة والّا لكان تعاظم الخطب واتسع الخرق على الراقع لان عصبة قوية من اقارب المسجونين وذويهم كانوا على اتم الاستعداد ليوقعوا بمن يمسهم باقل اذى فقبض من ثم الاميرالاي على جماعة من المشاغبين واودعهم السجن وفرّق البقية ولما هدأ الشغب وراق الحال جلس الوالي على كرسي الولاية وامر باحضارهم ولما مثلوا بين يديه نظر اليهم بعبوسة وقال لهم لماذا اترتم هذا الشغب القبيح في دار الحكومة وجلبتم علينا هكذا تشويش بلا داعي الا تعلمون انكم بذلك اهنتم الحكومة واوجبتم على انفسكم اشد القصاص هل تظنون

انكم بعملكم هذا الخالي من الحكمة والادب تتنصرون للنبي والقرآن · اجابوا انا نتوسل الى حضرة افندينا ان يسمعنا بحلمه و بعد ذلك يفعل بنا ما يحسن في عينيه فقال تكلموا — لا يخفى دولة افندينا انه اذ كان عبيدكم في السرايا بسبب اشغال خاصة مررنا على المحل المسجون فيه اولائك الرجال المتنصرين فرأينا داخلاً عندهم الشيخ احمد الكيلاني والشيخ علي العطار والحاج ياسين قباقبي وسمعناهم يتحدثون معهم و ينذرونهم فذهبنا كل الى شغله وقلنا دعوا هؤلاء العلماء يختلون بهم عسى ان يقنعوهم بالرجوع الى الاسلام · ثم بعد نحو ساعة زمان من ذلك اتفق ان بعضنا مرّوا في رجوعهم على ذلك المكان فسمعوا عمر بن حسن الحارس يقول بحدّة وصوت مرتفع ان القرآن ليس من الله ومحمد القريشي كاذب بادعائه النبوة والرسالة رجل غشاش محتال احتال على العرب وغشهم باكاذيبه الملفقة · وكان في اثناء كلامه هذا اننا هرولنا الى ذلك المكان لنعلم ما الحادث فلما طرق اذان عبيدكم هذا الكلام التجديفي من مرتدّ لئيم لم نسمعه قط من نصراني ولا يهودي صار الضياء في اعيننا كالظلام وثارت في قلوبنا الحمية الدينية والنخوة الاسلامية حتى لم نعد نتمالك انفسنا وفضلنا من ثم الموت على ان نسمع هكذا اهانة بديننا ونبينا · فحصل ما حصل من التغب والاضطراب وقبض علينا العسكر واهاننا الامر الذي نقبله بخضوع ورضى احتراماً للحكومة فنسترحم ان حسن في عيني افندينا الاغضاء عما قادتنا اليه الطبيعة لدى سماعنا ما لا يطاق ولا يحتمل والامر لولي الامر افندم · فلما سمع الوالي هذا الكلام راق خاطره

وامرهم بالجلوس فجلسوا ثم امر باحضار الكيلاني ورفيقهِ ولما مثلوا امامه امرهم بتقديم دعواهم رسمياً على عمر الحارس المذكور ففعلوا وهاك صورة الاعراض ·

دولتلو افندم حضرتلري

يعرض هؤلاء العبيد اننا لاخفى لفرط تأثرنا من ضلال هؤلاء الرجال بارتدادهم عن الاسلام رغبنا ان يكون لنا شركة في انذارهم ونصحهم ما امكن · فدخلنا اليهم بالرخصة من دولتكم وبذلنا الجهد في مكالمتهم بما امكن من الملاطفة والمودّة فلم يكن منهم الاّ الصد والعناد · واذ قلنا لهم اخيراً ان القرآن ينكر كون عيسى ابن مريم الهاً وانه صلب ومات · اجاب احدهم وهو عمر الحارس القرآن ليس هو منزل من الله · قلنا له ان نبي الله ورسوله محمد قد نطق به · قال هَهْ هَهْ ضاحكاً ضحكة الاستخفاف والازدراء ومن اين لمحمد النبوّة · رجل قريشي كذاب غشاش محتال قد غش العرب باكاذيبه وتحيلاته · فلما سمعنا ذلك من المذكور نفرنا منه بشديد الكره والغضب ووبخناهُ بعنفٍ على تجاديفه هذه · فسمع ذلك من كان خارجاً وجرى ما قد جرى من التشويش والاضطراب الاّ اننا نشهد لله ان رفاقه اغتاظوا جداً مما فاه به وانتهروهُ على ذلك فهذا ما اقتضى اعرضه لدولتكم ملتمسين ان حسن لديكم اجراء ما يحسن قصاصاً لهذا المفتري المجدف على الله ورسوله حسماً لمثل هكذا افتراءات مؤثرة مهيجة · وبكل الاحوال

الامر لولي الامر افندم

بنده   بنده   بنده

ياسين قباقبي   علي العطار   محمد كيلاني

فلما اطلع دولته على الاعراض احاله الى المجلس ثم امر بارجاع اولئك المشاغبين الى السجن ليحبسوا مدة وفقاً للنظام وغب اطلاع المجلس على الاعراض امر دولته فدعى عمر الحارس واقيمت الدعوى فقال له الرئيس ان هؤلاء الرجال قد اشتكوا عليك لدولة افندينا بانك قد جدَّفت على القران الشريف والرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا من قبيح الكلام كما ترى في هذا الاعراض فما تقول . اجاب كلاً يا اسياد قط لم اقل هكذا ولا فهت بشيء من هذا الكلام وكل ما قلت في اثناء الحديث هو ان في القرآن كثيرٌ من الكلام الصالح الجيد ومن كلام الكتاب . فقال الشيخ احمد الكيلاني ولكن اليس هو منزل بالوحي على سيدنا محمد قلت لو كنت اعتقد ذلك لما صرت نصرانياً حينئذٍ رفع صوته بكل حدَّة وسخط وبدا يتهمني باطلاً بالافتراء الشنيع المرقوم في هذا الاعراض ويصيح ويعيط هو ورفيقاه حتى احدث بلا سبب هذا الهيجان المنكر الامر غير اللائق بشيخ فاضل نظيره . فتبسم القاضي وقال على كل حال ما كان واجب منكما الخوض في هذا الحديث . ثم قال الرئيس ان معنى كلامك هذا هو كما شكي عليك فضلا عن كونك كما تقرر فهت بالتجديف على القرآن والنبي الاعظم امام شهود كثيرين — اجاب اما قول حضرتكم ان معنى كلامي

هو هكذا فاقول ان كل الامم غير المسلمة لا يعتقدون بانزال القرآن ولا بنبوّة محمد واذا سئلوا كما سئلت لا بدّ يجاوبون كما اجبت فهل لذلك يستوجبون القصاص . واما اني فهت بما قد شكي عليّ فهو كما يعلم الله محض افتراءٍ من المشتكين ومعاذ الله ان افوه بهكذا سفاهةٍ وما الشهود الاَّ اخصام يرغبون اهلاكي . ولا خفى اذهان حضرتكم ان كثيرين يستجيزون الكذب وشهادة الزور اذا كان ذلك لغاية صالحة فاذا كان يحكم عليّ بناءً على شهادة شهود فقصاصي صار محتوماً اذ قد شهد جمٌّ غفير حين الشغب والهجوم على سجننا اني افتريت وجدفت كذا وكذا وان ذلك كان علة هيجانهم وهجومهم . وهل للشرع ان تقبل شهادة مسلم على متنصر حديثاً من امة الاسلام في الوقت الذي هو فيه واقع تحت سخط الامة والحكومة ومسجون بسبب ذلك فانا التمس محاكمتي على محور الشريعة والنظام — فقال الوالي اسكت لا نحاكمك الا بالحق ثم امر بارجاعه الى السجن الى اليوم التالي وفي الغد غب ان التأم المجلس بحضرة الوالي واخذ في المشورة بامر المذكور حكم الاكثرون بوجوب اعدامه — اما القاضي والمفتي فقاوما ذلك قال القاضي لا شرعاً ولا نظاماً يستوجب الموت بناءً على شهادة شهود مسلمين في ظروف كهذه — فقاومه الرئيس قائلاً ياوح عليك يافضيلة الافندي الغرض مع هؤلاء المفسدين فهل تميل حضرتكم الى ارائهم — فضحك القاضي وقال حاشا لي من ذلك ولكن اذا شئنا ان نحكم في مجلس السلطان ينبغي الاَّ نحكم الا بما يوافق شريعة المملكة ونظامها — فعضده المفتي في ذلك قائلاً من

الواجب حين النظر في الدعـاوي في محاكم الحكومة ان نلقي جانباً كل غرضٍ وهوى ومراعاة الميل الديني والجنسي بل نقتصر في الدعوى من حيثيتها وحقيقتها ونحكم بما ينبغي وفقاً للشرع والنظام · وبما ان مملكتنا مؤلفة من امم واجنـاس عديدة مختلفي الدين والمذهب لذلك يكون الحكم في الدعاوي بمعزل عن الشرع والقانون السلطاني مراعاةً لاغراض دينية او جنسية فتح باب للظلم والبغي والدمار · فعند هذا العـاجز ان وجد من باب الشرع والنظام مسوّغ لاعدام هذا المدعى عليه كان به خيراً والاَّ فلا وعلى كلٍ الامر والرأي لافندينا · فغب ملء التأَمل في هذه المسأَلة قال الوالي لنرى اولاً الشهود ونسمع شهادتهم ومن ثم يتبصر المجلس في ما ينبغي — فامر دولته المشتكين ان يقدموا شهودهم ثم اومأ الى القاضي ان يدنو منه ولما دنى اليه قال له همساً — حسناً ما قلت وان شاء الله لا يجري الاَّ الحق ولكن دعنا نرى الشهود هل هم من الرعاع الذين لا يوثق بهم ام من ذوي التعقل وحسن الذمة · وعلى كلٍ اؤمل منك عدم المقاومة في هذه المسئلة فقال امركم افندينا ورجع الى مكانه · فقدم المذكورون شهوداً كثيرين لم يرَ الوالي والمجلس شهاداتهم اساساً كافياً لبناء الحكم على المشهود عليه · اخيراً قدموا ثلاثة شهود متقدمي السن عليهم هيئة الوقار رجال مشهود لهم بالاستقامة ومن اهل الورع والتعبد وهم السيد حسين ابراهيم والحاج محمد افندي نور الدين والحاج يحيى الحلاَّق فاوقفوا جانباً وامر باحضار المشكو عليه · وغب حضوره قال القاضي للمشتكين اين شهودكم يا اخوان على هذا الرجل · اجابوا هاهم حاضرون

فوقف السيد حسين المذكور وقال بعد ان اقسم القسم الشرعي على ان لا يقول الاّ الحق كما رأى وسمع « اشهد لله اني اذ كنت نهار امس في هذه السرايا نحو الساعة السابعة من النهار صدف انى مررت بالمحل المسجون فيه المتنصرون فرأيت عندهم داخلاً هؤلاء الاخوان الثلاثة وهم آخذون معهم في الحديث فوقفت قليلاً لأفهم موضوع حديثهم فسمعت هذا الرجل عمر يقول التوراة والانجيل ما تغيرا قط ولا تحرّفا وما فيهما من الكلام عن الوهية عيسى المسيح وصلبه فداءً عن العالم هو حق لامراء فيه — قال له الشيخ احمد الكيلاني ان ذلك ينافي القرآن فهل تحسب القرآن كاذباً · قال عمر نعم ان القرآن ليس من الله · قال الشيخ ياألاَ تعلم ياسيد عمر انك بقولك هذا تنسب النبي محمد الى الكذب والبهتان · قال لا ريب بكونه كذاب محتال ادعى النبوّة والرسالة من الله كذباً وبهتاناً فهذا ماسمعته وشهدت به · وشهد الثاني قائلاً اذ كنت نهار امس بعد الظهر بنحو ساعة اتياً الى عند مأمور قلم الاملاك فلدى وصولي الى محل سجن هذا الرجل ورفاقه سمعته يقول بعجب واحتداد ان القرآن غير منزل من الله وان محمداً المدعو نبي الله ورسوله ليس هو نبي الله ولا رسول منه ولما سمعت منه هذا الكلام السيء ذهبت في طريقي هذا فقط ماسمعته به اشهد امام رب العالمين الشاهد والعالم بكل شيء · وشهد الثالث قائلاً اشهد والشهادة لله بينما كنت نهار امس مدعوًّا من قبل جناب الدفتردار للحلاقة قبل الظهر بنحو ساعة او ساعة ونصف لا اعلم بالتمام ففي رجوعي بعد الظهر واما مار على غير انتباه امام

حبس هذا الرجل ورفاقه سمعت قائلاً يقول بصوت الحدّة والغيظ نعم ليس القرآن من الله فوقفت من ثم في مكاني وتطلعت في ذلك المكان فرأيت السيد حسين ابراهيم واقفاً على الشباك وهؤلاء الاخوان داخلاً فقال له الشيخ احمد كيلاني مهلاً ياسيد عمر انك بهذا القول تنسب النبي محمد الى الكذب · اجاب نعم نعم على كل حال محمد كاذب بادعائه النبوّة والرسالة فهذا ماسمعته وشهدت به — فلما سمع الوالي والمجلس هذه الشهادة المتينة الصريحة من شيوخ اتقياء كهؤلاء امتلأوا حنقاً وغضباً ثم قال رئيس المجلس ما تقول يارجل بهذه الشهادة من هؤلاء المعتبرين — اجاب بارك الله فيهم وزادهم اعتبارًا احكموا على عبدكم ما تريدون — قال بل ان كان عندك دفع فادفع واحتج عن نفسك ما تحتج — قال اتجاسر ان اقول حقاً اني لمتعجب ومنذهل كيف يمكن لرجال كهؤلاء عقلاء في سن الشيخوخة يشهدون هكذا زورًا وبهتاناً — حقاً لا ينبغي الثقة بالانسان ولومهما ظهر وكان — أأنتم ياسادتي سمعتم مني هذا المقال سامحكم الله كيف تعطون جواباً لله عن ذلك في يوم الحشر والموقف العظيم · لا باس · الموت خير من البقاء في عالم شرير كهذا ولكن ليعلم الباغون ان سفك دمي لا يأتيهم بالغاية المطلوبة اما انا فعلى ربي متوكل وبه مستعين وهو حسبي ونعم المعين — قال له الوالي اخرس ايها الخبيث المجدف ولا تطعن هكذا بمن هم خير منك واصدق · فقال بعض الحاضرين في سرّه بل هو الافضل والاصدق ثم امر فرد الى سجنه · وبعد اخراج المشتكين والشهود اعيدت المشورة ايضاً

بخصوص المذكور ومع ان عدة من اعضاء المجلس رجحوا براءته من
هذه التهمة الا ان المشورة انجلت عن قرارهم كافة باعدامه وبنوا بذلك
مضبطة امهرها الجميع . وغب ان قدموها لدولة الوالي قدم دولته تلغرافًا
الى الباب العالي يتضمن صورة المسئلة ومن ثم فض المجلس . وبينما كان
القاضي والمفتي ذاهبين في طريقهما التفت القاضي الى المفتي وقال كيف
رأيت يا اخي هذه الشهادة من هؤلاء الشيوخ قال ما اراها الا
زورًا والعجب كيف مثل هؤلاء صائمين مصلين متورعين يشهدون
هكذا زورًا لا سيما في مسئلة خطيرة كهذه ويقسمون بالله العلي انهم
لا يقولون الا الصحيح ويستشهدونهُ تعالى على افترائهم هذا . ايظنون
انه يجوز شهادة الزور متى كانت الغاية فيها صالحة . الا يخافون الله
ان يقسموا باطلاً باسمه الكريم . لا يعلمون انه تعالى سيدينهم على
ذلك الورع الكاذب والتقوى المقصورة على تلاوة القرآن والزام المسجد . قال القاضي
ان حال هؤلاء الرجال المرائين يذكّرني بما قيل عن سيدنا عمر
رضي الله عنه وهو انه مرّة شهد لديه شاهد فقال له أتني بمن يعرفك
فاتاه برجل فاثنى عليه خيرًا قال له عمر هل انت جاره الادنى الذي
يعرف مدخله ومخرجه — قال لا — فقال هل كنت رفيقه في السفر الذي
يستدل به على مكارم الاخلاق — قال لا — قال اعاملته بالدينار والدرهم
اللذين يظهران ورع الرجل — قال لا — قال اظنك رأيته قائما في
المسجد يهمهم ويتمتم بالقرآن يخفض رأسه طورًا ويرفعه اخرى — قال
نعم — قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأْتني بمن

يعرفك · وهكذا مثل اصحابنا هؤلاء يكتفون بظواهر التقوى ويهملون حقيقتها يخادعون الله وما يخدعون الاّ انفسهم — ثم قال اوّاه قد وصلنا الى ما كنت احتسبه واخافه ألم اقل لك ذلك -- ها رغماً عن قلوبنا قد ختمنا على وجوب اعدام هذا البري ومن يعلم ان كانت الظروف لا تدعونا ايضاً للحكم بمثل ذلك على غيره من رفاقه وما دام المشهود لهم بالورع والتقوى كالمذكورين يشهدون زوراً لاهلاك البريء لسبب تخلفهِ عنهم في الدين صار اعدامهم بوجهٍ شرعي سهلاً جدًّا · لذلك ارى الاستعفاء من وظيفتي والرحيل من هذه البلد اوفق لقلبي وضميري — قال المفتي لا تخش ذلك يا مولاي واطمنك انه بحول الله تعالى لاتسقط شعرة من رؤوس الباقين لانه كما لاخفاك انه قد بلغني من عدة رجال ممّن يوثق بمقالهم انه أُستحسن اعدام احد العلماء المتنصرين رهبة للآخرين وعبرة للناس · وانه قصد بذلك عمر الحارس كونه من عائلة ليست ذات اصالة ولا عصبة لهُ يخشى معارضتها او بأسها · فلا تخف ان يصيب احداً غيره شرًّا وعلى فرض دُبّر على احد الباقين كما على هذا فاننا نقاوم ذلك كل المقاومة سرًّا وعلنًا وعليّ ان اجذب ان شاء الله الى حزبنا اكثر اعيان البلد اذلا خفاك عظم موقع قدر الشيخ علي والشيخ محمود ورفاقهما في قلوب الاهالي لمالهم من سوابق الفضل وجزيل الخير — فلا سبيل اذًا للخوف والاحتساب من وقوع هذا الشر عليهم — فقال لهُ القاضي شكر الله فضلك يا اخي وجزاك خيرًا قد ارحت بالي وسكّنت بلبالي ثم افترقا كلٌّ الى مكانه ·

اما ما كان من اولئك الاسرى المساكين فانه لما جرى ما قد جرى من

ذلك الشغب العظيم بل تلك الحملة الهائلة التي قذفت السيد عمر والقته وسط الخطر خافوا واضطربوا جداً من جرى ذلك ما خلا الشيخ علي فانه كان حينئذٍ هادئاً ساكتاً ينظر برزانة واستخفاف الى اولائك الاوباش وهم يضجون ويهيجون ويزمجرون . ولما تحققوا تصميم دولة الوالي والمجلس على اعدام المومى اليه انكسرت قلوبهم واي انكسار وبكوا بكاءً مراً لانه كان فتى في عنفوان الشباب دون الثلاثين سنة ذا ولدين بسن الطفولية وكان مع ذلك حسن الطلعة جميل المنظر جريء الكلام عذب اللفظ معتدل الرأي بعيداً عن الهواء والغرض عظيم الشهامة والمروءة وبالاجمال كان رجلاً عزيز المثال بين اترابه . ولما دخل المذكور اليهم هذه المرة بعد ما تعرّف بالشهود كما مر وعلم بالمضبطة التي خرجت عليه جلس بينهم على ركبتيه مقدار نصف ساعة ساكتاً مطرقاً بوجهه الى الارض ولعظم الكآبة التي خيمت على قلوبهم من جرى منظره المحزن لم يستطع احد منهم ان يكلمهُ بشيء ثم رفع نظرهُ اليهم وعيناه معكّرتان بالدموع وقال . قد قرب الوقت الذي فيه افارقكم يا اسيادي واخواني الاحباء يبان ان ربي يسمح ان اختم شهادتي بدمي لتكن مشيئته -- الموت لابدّ منه فما احلاه اذا كان في سبيل الله — اني ضعيف حزين ومعظم حزني هو من جرى احتسابي من ان اخواني حينما يرون اخاهم هذا اتضرّج بدمي لاجل تمسكي بانجيل الله يخورون و يفشلون اسأل الله ان تكون النتيجة عكس ما احتسبه واخشاه — انني لله تارك زوجتي المسكينة وطفليّ العزيزين — سمعت انها الآن معهما في بيت ابيها—

ارجو ان اراهم قبل موتي كما ورجائي بحبكم ايها الكرام ان لا تغضوا النظر عن يتيمي اخيكم هذا و بحسب الحق الوالدي اقيم عليهما من الآن وصيين كريمين سيدي الشيخ علي والشيخ محمود ليعتنيا بهم و يدبراهم في الرب اذا شاء الله اخلاء سبيلكم والقرار في بلدكم — الارجح عندي يا اخوتي اني سأقتل في الغد فلا يسؤكم ذلك جدًّا ولا تجزعوا لاني اموت لا لاجل جريمة ارتكبتها او جناية جنيتها بل لاجل الحق بسبب من قد مات لاجلي · فاعتبر ذلك اكليل فخرٍ لي بحضرة ربي المجيد وهذا يا احبّاه حد مفعول غضب الانسان انه يهدم هذا البناء الترابي (واشار الى جسده) واما النفس فلا يقدرون ان يصلوا اليها — كفاكم تبكون وتسحقون قلبي فاني وان كنت اموت هكذا بنوع مؤلم مؤثر لاينبغي ان تحزنوا كثيرًا لان مدة الألم تكون بضع دقائق ومن ثم اسبقكم الى الراحة الابدية واحظى قبلكم بلقاء فاديَّ الكريم · فكفُّوا الدموع انا لله وانا اليه راجعون (اه) فأخذ اولئك الاخوان يعزُّونه بكلامهم ودموعهم الواحد بعد الآخر الى ان قال الشيخ علي ماذا اقول وبمَ اعزّيك يا عزيزي الحبيب ليت السهم الذي رُشق عليك كان عليَّ وليت الله يسمح ان اموت دونك — آواه ما اعظم كيد الانسان وما اوفر شرّه اذا كان البشر قتلوا ابن الله المحسن اليهم اهو مستعظم ان يقتلوا اتباعه — آه يامهجتي ليت الله يحول عنك هذه الكاس المرّة — قال هي مرّة ولكن عاقبتها حلاوة ابدية بل لأقول هي حلوة في سبيل حب من تجرّع اعظمها لاجلنا · نعم نعم ياحبيبي واحمد الله الذي هكذا عظّم ايمانك وشدَّد قلبك

حتى كذا عن طيب خاطر تقبل الموت حباً به · وبفرط الاسف والكدر اقول اذا سمح الرب ان تفارقنا يا عزيز بالموت هكذا فاعلم ان موتك يكون جمرةً محرقةً لقلوبنا لا يطفيها الا الموت · ورب الاحياء والاموات ابو الرحمة والمحبة يبارك ولديك ويعتني بهما وان فسح في اجلنا نهتم بهما كما بأولادنا واسأل الله وهو اكرم مسأول ان يحوّل عنك هذه الكاس ويفرج عنا هذا الضيق والكرب (اه)

ثم قال الشيخ محمودان عقلي يضيق ذرعاً دون الكلام بتعزيتك يا عزيزي من جرى ما الم بفؤادي من نيران الحزن والكمد اوّاه و اه من تلك الساعة التي فيها دخل علينا اولئك الماكرون الاشبه بالافاعي بلين الملمس وسموم الأفواه الذين جعلوا المكر معتمدهم والتحيل معتصمهم حتى جعلوك يا مهجتي غرض سهامهم القتال فصح فيهم ما قال الشاعر

ان الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلب في انيابها العطبُ

فان كان حقاً قد حكم عليك — ماذا اقول · وا اسفي أ يقتل الشاب اللطيف وتبقى الشيوخ نظيرنا · لا اعتراض يا الهي على ارادتك لكن اذكر ضعف عبيدك واعنا وان شاءت ارادتك نجّ عبدك هذا من هذا الموت وهكذا كان يعزيه الجميع بدموع متواصلة وتنهدات متتابعة فقضوا اكثر ذلك الليل بالحديث والصلاة لله

اما ما كان من الوالي فانه نحو الساعة الثالثة من الليل اتاه الجواب بالبرق من الباب العالي عن التلغرافين المتقدمين وهذا نصه ·

لولاية سوريا الجليلة

وصلت انا افادتكم بتلغرافين تاريخ ١ و ٣ صفر عن الثمانية الرجال من علماء المسلمين في حاضرة ولايتكم · مفاد الاول انهم قد ارتدوا عن الاسلام معتنقين النصرانية الامر الذي اوجب غاية كدرنا واسفنا وانهم لم يعبأوا بالنصائح والانذارات التي افرغتم جهدكم بها معهم وتستعلمون من طرفنا كيفية وجوب معاملتهم بالنظر الى ذلك — والثاني — عما جرى من احدهم المسمى عمر الحارس من كلام التجديف على القرآن الشريف والنبي المصطفى مما يمجه السمع ويكرهه الذوق وانه قد ثبت ذلك عليه مجاسياً بموجب شهود من اولي الذمة والاستقامة · فان كان حقاً قد جرى ذلك منه بحق كتاب الله ورسوله نأمر باعدامه بالسيف في غد وصول امرنا هذا اليكم وذلك بحضور هيئة الحكومة والعسكرية وبازاء رفاقه المتنصرين رهبة لهم وانذاراً · واما البقية فانه كما لا يخفى دولتكم انا لا نقاص انساناً على مجرد تغيير دينه وعقيدته — لذلك لا مسوغ باجراء شيء من القصاص عليهم ما داموا سالكون بالحشمة والادب غير انه اذا وجد انهم يتعرضون للقدح والتنكيت على الدين وبذلك يسببون شغباً واضطراباً في البلدة والولاية وانه يوجد في الحال محظور من وجودهم في البلدة فمراعاة للصالح العام وتوطيداً للسلام ينبغي ابعادهم الى المحل الذي تستنسبونه خارج الولاية لاقامتهم فيه موقتاً وانما بادارة تتضمن راحتهم وسلامتهم وان تراعوا بحسن العناية اهلهم ومنازلهم ومتروكاتهم مدة ابعادهم وينبغي اجراء ما ذكر بالحكمة والدراية كما هو شأن دولتكم هذا ما اقتضى افادتكم مع الرجا تقديم الافادة الى هذا الطرف عن كل ما يحدث بطرفكم افندم ·

فعب ان اطلع الوالي على هذا التلغراف دعى في الحال ارباب المجلس مع مشير العسكر والاميرالاي و بعض اعيان البلد وعب ان حضروا امر فتلي على مسامعهم التلغراف السامي فصرخوا جميعهم ليعش الى الابد سلطاننا ومولانا المعظم — فقال الوالي اما اعدام الشقي عمر الحارس بالسيف فيكون ان شاء الله نهار غد حسب منطوق الامر السامي ولكن في اي وقت من النهار ترون يكون اكثر مناسبةً للاجراء . فاجاب بعضهم نحو الساعة الثالثة من النهار واخرون بل الساعة الخامسة فقال القاضي ارى ان حسن لدى افندينا فليتأجل الاجراء الى الساعة الثامنة ليتمكن المحكوم عليه من وقت كافٍ لمراجعة نفسه وليكون وقت لمن يزوره و ينصحه من اهله وغيرهم علّه ينثني عن رأيه ويرجع الى دينه . ثم اختلى مع دولته القاضي والمفتي نحو نصف ساعة فاقنعاه بتأجيل الاجراء الى الوقت المذكور و بتأجيل ابعاد البقيّة الى رابع عشر الجاري . وعب انتظام هيئة المجلس ايضاً وقف الترجمان وقال ان حضرة دولة افندينا الافخم لفرط حنوّه وتعطفه على كل من رعايا وعبيد مولانا امير المؤمنين حسن لديه تأجيل الاجراء باعدام عمر الحارس حسب الامر السامي الى نحو الساعة الثامنة من نهار غد ليتمكن المذكور عب اعلامه بالامر من فرصة وافية لمراجعة نفسه وترتيب اموره . و بعد الاجراء يرى دولته في ابعاد بقية رفاقه الى المكان الذي يراه اكثر موافقة ومناسبة فاثنى الجميع على حلم دولته وانصرف كلٌّ الى مكانه .

وفي الصباح أُبلغ المذكور بالحكم عليه و بأجل اجرائه واذشاع في البلد ورود الامر السامي باعدامه و بلغ ذلك اهله واقاربه ناحوا نواحاً شديداً ثم

اخذت زوجته ولديها بيديها وكان سن الاكبر سبع سنين والاصغر خمس وذهبت ووالدتها واخوها وشقيقة زوجها المذكور الى السرايا وهي ممزقة الثياب محلولة الشعر تنهال الدموع من عينيها كالسواقي . وكان لما دخلت اليه انها سقطت مغشية على قدميه فرقّ لها كل من رآها على تلك الحالة و بكي لبكاها الجميع وغب ان نبهها الحاضرون وسكن الحال وهدأ جاشها قليلاً نظرت اليه نظرة الملهوف بعينين محمرتين كالدم وقالت له اوّاه يا سيدي العزيز ولطمت خدّيها بيديها لطمة الملتهب اليائس انت تعرف محبتي لك كما واني اعرف فرط حبك لي فهل حقاً ترضى ان تتركني وطفليك هذين حشاشة كبدك ومهجة فؤادك واو يلاه . اترضى بعذاب قلب جاريتك هذه التعيسة بنيران حسرة وكمد لا يخمدها كرور الدهور لا يا سيدي لالا يقسي قلبك الحنون هكذا على حياتك وعلينا نحن المنكودي الحظ رقّ لي سيدي رقّ لولديك هذين المسكينين ولا تلقهما بدركات اليتم والذل وتحرمهما من صغرهما رائحة الاب — آه اتضرع اليك بحق من تحبه نفسك و بحق المحبة ارجع عن رأيك او اكتمه في قلبك ريثما يفتح الله باباً للفرج ثم سقطت ايضاً على قدميه و بللتهما بدموعها فصرخ من ثم ولداهُ صرخة تفتتت لها الاكباد فمد يديه وانهضها بلطف ورقة وقال لها سكّني روعك يا اعزّ الناس عندي واعطني فرصة لاكلمك قليلاً اجلسي بهدوٍ واصغِ لمقالي فجلست ثم اخذ ولديه بيديه ومسح دموعهما وضمهما الى صدره وقبلهما فخفق قلبه ورجفت شفتاهُ وهمّ ليبكي ولكنه تجلد وقال آه ياعزيزتي انه لمن المحال دوام البقاء مع الاهل والاحباب في عالم الدنيا . والموت سلطان يغتال كل حي صغيراً كان او كبيراً فمن لم يمت اليوم سيموت غداً اومن

لم يمت بهذا النوع سيموت بنوع آخر فعلى كل حال لابدّ من غصة النزاع وتجرع مرارة الفراق والمرء من قبل ان يوجد مقدور عليه مدة حياته واجل وفاته ونوعه · فلا مناص من ذلك ولا مهرب فيا اليفة صباي وزهرة عمري ان حبي لك ولولدي هذين مهجة فؤادي وثمرة حياتي فوق ما استطيع وصفه ثم حوّل وجهه ومسح دموعه ثم عاد فقال فحياتي في سبيلكم رخيصة عندي ابذلها دونكم بسرور اذا دعت الحاجة · ومرارة كاس فراقكم تعلمين مقدارها من قلبك فلا تظني قلبي تغيرّ ولا يذهلك تمسكي الشديد بما قد آل الى الحكم باعدامي لو عرفتِ لعذرتِ ولو ذقتِ لاخترتِ · اعلمي اني قد حصلت بنعمة الله على معرفة الحق الثمين بالمسيح ربي ومخلصي وذقت لذة الخلاص المشترى لي بدمه فاذا استحيت به وبانجيله وملت عن سبيله واوظاهرا فقط مراعاةَ لحياة الجسد اوحبا باطالة السكنى مع امرأتي واولادي او ارضاء لخاطر اهلي واصحابي اكون لا ريب مكروها عند سيدي وغير مستحق ان اكون معه فاخسر رضى الله ونفسي الثمينة الوحيدة · اذ اهبط الى هوّة الهلاك الابدي فماذا ترين أأختار الحياة الوقتية في مقاومة ضميري وعصيان ربي ثم اذهب الى جهنم الابدية ام حياة الابد والسعادة الفايقة الوصف على التمتع بلذات الحياة الفانية -- ايهما ترضين لي واكدي يا عزيزتي ان محبة من احبني هكذا حتى مات عني قد ملأت قلبي ولم يبقَ فيه فراغا لمحبة اشياء العالم وهي بهذا المقدار تدفعني وتقتادني وراءه رغما عن ضعف الجسد وامياله فليس بعد في مكنتي الرجوع من وراء مخلصي كما ابلغتك ذلك مرارا اعذريني وعلى فرض اني غُلبت بدموعك ورجعت لا سمح الله عن سبيل ربي والهي فاني اكون لا ريب معذَّبا ابدا من تونيب

ضميري عذاباً لا يطاق يجعل حياتي معك مرّة وعشرتي مكروهة جدّاً فكفكفي اذاً دموعك ياعزيزة وتدرعي بالصبر الجميل — اعلمي اني لست خائفاً من الموت لانه ليس هو سوى معبر وجيز الى ديار الراحة والسعادة فان كنتِ حقاً تحبينني كفّي الحاحك ودعيني امضي الى حضرة ربي واجتهدي لتقتفي اثري في طريق الحياة هذه عسى نلتقي هناك — لا يسمح لي الوقت باطالة الكلام معك بهذا الشأن فقط وانا على ازمة الرحيل من عالم الزوال هذا اقول لك ولا عزّائي الحاضرين هنا معك ان عيسى ابن مريم هو ابن الله الوحيد مات لاجلنا نحن البشر الخطاة ليفي ديننا ويمحو خطايانا ويصالحنا مع الله ابيه وهذا منطوق الانجيل وغاية كل الكتاب الذي يصرح ان كل من يؤمن بالابن تكون له حياة ابدية وهكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية · فآمنوا بالمسيح حسب الانجيل تفوزوا اخيراً بالدخول الى الفردوس السموي — اما ولداي هذان فاستودعهما الله فهو لهما خير اب وقد اقمت عليهما وصيين كريمين سيدي الشيخ علي والشيخ محمود فلي الرجا بالله ان الحال يروق ويعتنيان بهما كولديهما فاؤمل منكِ اكراماً لخاطري ان ترتضي بذلك والله الذي يسمح بافتراقنا اليوم يجمعني بكم في المكان الذي لا يلمّ به فراقٌ ولا كدر فاذهبي الان بولديك والرب يكون معكم ثم ضمّ ولديه بشدة الى صدره وشمّهما وقبلهما مراراً بدموع مدرارة وحاول ان يتكلم فتلجلج لسانه ثم جمع قوته وتجلد ورفع يديه الى السماء وقال — الله ينبوع الرحمة واله الجود والاحسان الذي اعتنى بي حتى اليوم هو يبارككما ياولديّ الحبيبين ويرشدكما كابيكما في سبيله القويم وان فرّق

الناس بيننا اليوم فلا يقدرون ان يفرقوا بيننا حينما نكون معاً ان شاء الله في بيته السماوي (اه) واما اخته التي لم يكن لها حتى الان فرصة لتتكلم معه بل كانت صامتة مقتصرة على تغريق ثوبها بدموعها المدرارة فعب ان انتهى اخوها من الكلام مع زوجته عوَّلت بالبكا ووقعت على عنقه تقبله بلهفة واي لهفة حتى غشي عليها · ثم استفاقت ويداها متبكلة على عنق اخيها وكتفه وصرخت صرخة مرَّة جداً واروحي وانور عيني اخي الوحيد العزيز — حيث ان لا اخوة لك ولا عصبة تضحي فريسة لمرام اهل البغي والعدوان · أأتركك يامهجتي بلا اخ أ يغيب عني اليوم نور هذا الوجه الجميل — أأفقد غرامي وحلاوة قلبي سندي وفخري في حياتي اني اكره يا اخي ان ازيد على مرارة قلبك الحنون ولكن ماذا اعمل واين اذهب وما الحياة بعدك يانور عيني · ليتني منذ الاول بلا اخ ما كنت عرفت حلاوة الاخ آه ليت امي ما كانت ولدتني حتى ارى واحسرتي واويلي اخي الوحيد الحبيب قتيلاً واجرع كاساً ليس امر منها · ويلاه · يا اخي يا اخي ليتني اموت قبلك ياليت من شفوق عليَّ فيقتلني ويكفيني مقاساة آلام قلب لا تطاق · آه كيف اشاهدك ياروحي وعيني تتضرَّج بدمك ليت نور عيني ينطفي كي لا ارى هذا المنظر · يارب حوِّل عن امتك اليتيمة هذه الضربة الهائلة ورد لي سلامة اخي · ثم انكبَّت ايضاً على تقبيل يديه وعنقه وقدميه بعويل ونحيب لامزيد عليهما فقبلها هو ايضاً مراراً وبكى ثم قال كفى كفى يا اختي الحنونة قد اذبتِ قلبي وسحقتِ فؤادي ليس من فائدة بعد ياعزيزتي ليعزّكِ الرب على فراقي · الصبر اولى يا اختاه قومي ارجعي وامرأة اخيكِ اجابت كلاً لا تطردني يا اخي اني لا ابرح من جانبك مادام لي فرصة لارى

وجهك الا تعلم ياعزيز قلبي ان كل دقيقة لي الان بجنبك هي اثمن واعز من كل ايامي الماضية · هذا و بينما هما على هذه الحال التي يلين لها قلب الجلمود واذا بالقاضي والمفتي داخلان وغب جلوسهما اخذا بالكلام معه ليرجعاه عن معتقده فابى ثم اخذه القاضي الى مخدع آخر وافرغ جهده بالتكلم معه على خلاء ان يرجع ولو بالظاهر فقط ريثما يستحضر له فرمان العفو وانه متى اطلق من سجنه يرحل الى الديار الاوروبية او الى لبنان وهناك يشهر نصرانيته ثم وعده عن لسان الوالي مواعيد عظيمة ان يرجع الى الاسلامية فلم يؤثر فيه كل ذلك ادنى تأثير بل اجابه اني اشكر فضلكم يامولاي على حسن غيرتكم من نحوي · ولما كنت أُحاكم في المجلس عرفت حبكم لي واخلاصكم من نحوي وانما حاشا لي يامولاي ان اترك انجيل ربي وقتاً ما ولو ظاهراً وتعلمون فضيلتكم ان اكره شيء عندي الرياء والتكلم باللسان خلاف ما في القلب فقد كلفتم خاطركم الكريم سدًى في هذا الامر واني مؤكد ان ما دعاكم الى ذلك الا حبكم ورقة قلبكم فليجازِكم الرب عني كل خير ثم تناول يد القاضي وقبلها بدموع الشكر متوسلاً اليه الا يواخذه على عدم اذعانه اليه كون ذلك ليس في امكانه فقبله القاضي ايضاً وبكى اسفاً عليه ورقةً · ثم افترقا وذهب القاضي والمفتي آسفين على هذا الشاب النادر المثال في الخلق اما هو فقام ودخل على اخوانه وكان كثيرون من انسبائه ومعارفه يتواردون عليه و يتوسلون اليه عبثاً حتى دنت الساعة فوقع على عنقه اخوانه واقاربه يودعونه الوداع الاخير ببكاء ونحيب شديد ولا سيما زوجته وشقيقته اللتين من حين دخوله هذه المرة مابرحتا معانقتين اياه تقبلانه بوجد لا يحيط به الوصف من جبينه وخديه

ويديه اللتين تغسلتا بدموعهما المنهالة ولا انهيال المطر الى ان دخل الطابوراغاسى وعلّق على صدره الامر الصادر باعدامه ٠ثم اخرجه مع اصحابه ومن ثم حضر الامير الاي بفرقة من العسكر الشاهاني فمشي الطابور اغاسي مع الضابطة في الامام والاميرالاي بالعسكر في الوراء مع كافة ارباب المجلس والمأمورين والمحكوم عليه ورفاقه في الوسط وسار معهم جماعة من الاعيان وغيرهم من رجال ونساء جمهوراً غفيرًا وكان الاكثرون مسرورين بهذا الانتقام٠ واماالبعض من ذوي التعقل والانصاف فكانوا بحالة الاكتئاب والكدر من جرى ذلك وهكذا ظلوا سائرين الى ان انتهوا الى المكان المعد لقتله٠ ومن ثم اصطف العسكر باسلحته اللامعة من جهة والضابطة من جهة اخرى والجمهور من وراء على مكان مشرف وحينئذٍ تقدم المفتي وفصل بين المحكوم عليه واخته وزوجته اللتين مازالتا ماسكتين بيديه من هنا ومن هنا حتى هذه الدقيقة واخذهما واوقفهما في احسن مكان ومن ثم التمس المحكوم عليه الرخصة ليتكلم شيئاً فرخص له فقال ٠

اني اموت الان مسروراً لاني أُقتل لا بسبب جناية او جريمة ارتكبتها ضد الحكومة او الوطن او شخص ما بل لاجل تمسكي بحق الله تعالى المعلن جلياً في كتابه فها وانا على شفير الموت اقول ٠ ورب السموات والارض يعلم ان ما قد شهد به عليّ اولئك الشهود المبني حكم اعدامي على شهادتهم هو محض زور وافتراء ليسامحهم الله — ايا اسيادي عمدة الحكومة الكرام والعلماء الافاضل الكلي الاحترام ويابني وطني وبلدتي المحبوبة لم اسيء اليكم بشيء يوجب اماتتي هكذا ولكن اذا كان قد قدِّر عليّ ان اموت هكذا بالسيف لاجل تمسكي بانجيل المسيح فاني اقبل ذلك بجزيل الحمد والشكر له تعالى

واسأله وهو اكرم مسأول واجل مأمول الاَّ يحمّل وطني مسأولية سفك دمي ومن كل قلبي اسامح كل من له يد باعدامي · وها اني في آخر ساعة من حياتي الدنيا ارغب ان اودعكم يامعشر بني وطني الاعزاء بهذه الكلمات الوجيزة · لا خفاكم اننا معشر البشر جميعاً واقعين تحت سيف العدل الالهي بسبب خطايانا كما انا واقع الساعة تحت سيف الحكومة فالرحمن سبحانه من لطفه ورحمته شاء ان يخلصنا من مسؤلية العدل الالهي بسبب خطايانا هبةً منه ونعمةً · وهذه الحقيقة الراهنة معلنة من لدنه في التوراة والانجيل بجلاء ووضوح لا مزيد عليها وهي ان عيسى ابن مريم كلمة الله العجيب في الولادة الكامل في القداسة القدير في المعجزات هو الذي اقامه الله وسيط الصلح والسلام بينهُ وبين الانسان الذي بموته كقربانٍ لله اضحى مخلص الانام حتى ان كل من يؤمن به تكون له الحياة الابدية هذا مفاد الكتاب · وغايته حرفاً ومعنىً كما أُنزل من الله عزَّ وجل فانظروا اليَّ يابني جنسي وصحبي اني حقاً مسرور الان بايماني مع رؤيتي اعداد السيف لحتفي واحمد الله ربي الذي اهلني لاخاطب بهذا الحق الثمين جماً غفيراً كهذا قرب دقيقة موتي استودعكم الله يا سادتي واخواني واصحابي الاحبا وان كنت اسات الى بعضكم بشيء فارجوكم السماح سيأتي يوم فيه نحشر امام كرسي الديان الرهيب الذي سيجازي كل واحدٍ كعمله (اه) ثم جثا على ركبتيه وصلىَّ لله طالباً البركة على وطنه واهله وعلى السلطان وكافة الولاة والحكام ولاجل كافة الذين تآمروا على اهلاكه وختم قوله يارب يسوع المسيح في يديك اضع روحي · ولما سكت وهو جاثٍ مطرقاً بكل هدوٍ وسكينة انذهل الجميع من هذا المنظر ومن ذلك الوجه اللامع الرائق الدال على السلام والراحة الداخلية وتأثروا من ذلك

تأثرًا عميقًا . ثم زعق النفير اشارةً للاجراء وحينئذٍ ضرب عنقه فتدحرج راسه عن جثته وسقط يتمرغ بدمه فبادر اليه ذووه واصحابه مولولين نائحين وركضت اخته واخذت راسه بحضنها وضمته الى جثته وهي تضطرب من ألم النزع ثم وقعت عليه امراته واقاربه يبكونه ويندبونه ندبًا شديدًا ثم وضع في تابوت مقمع بالمخمل الاحمر وبامر الحكومة حمل الى مقبرة النصارى فدفن هناك بكل اكرام واعتبار

الفصل التاسع

انه لما كان كثيرون كما قد اشرنا تأثروا جدًا من خطاب عمر وصلوته وهيبته وشجاعته واقدامه الغريب على جرع كاس الموت هكذا رجعوا بقلوب ملتهبة وهم يقولون ما اجمل هذا الخطاب الذي قد فاه بهِ هكذا بدون ادنى اضطراب ولا انزعاج حال كونه يرى السيف مسلولاً لبتر عنقه . ما اغرب الصلوة التي قدمها لله وهو جاثٍ للذبح . كيف صلى هكذا لاجل اعدائه والدولة ما هذا الروح . عجبًا كيف كان ثمَّ وجهه لامعًا طلقًا تلوح عليه اوائح السلام والاطمئنان كوجه ملاك . هل ديانة ذات سطوة بهذا المقدار على الطبع الانساني لاتكون ديانة صالحة . لا نظن . فكيف الامر يا ترى . ثم اخذوا يلومون ويثلمون الذين دبروا عليه تلك المكيدة والذين شهدوا عليه زورًا وكان اوفرهم تأثيرًا رجلٌ يدعى احمد افندي القوتلي فهذا رغب جدًا من ثم الوقوف على كنه الديانه المسيحية وفي الحال ذهب واشترى الكتاب المقدس مع بعض الكتب الاخرى ككتاب الدليل الصواب على صدق الكتاب وكتاب البيّنة

الجليّة في صحة الديانة النصرانية وقسم وقته بين اشغاله ودرسه مخصصاً القسم الاكبر لدرس الكتاب وهذين المؤلفين · فكان يذهل و يدهش من البيّنات الراهنة والبراهين القاطعة والحجج السديدة على صحة الديانة المسيحية ولم يزل على هذا المنوال حتى اضاء الحق قلبه فآمن بمسيح الله وكتابه فقال واعجباه · ان الحق بادٍ بكتاب الله كما تبدو الشمس لذي البصر · الكتاب المشهود له من نفس القرآن انه كتاب الله على التي هي احسن · فاي عذر للمسلم لدى الله على عدم اكتراثه بكتابه الجليل وعلى اباءتهِ مطالعته بالوقار والاحترام الواجبين له · وما الدعوى انه محرف الا دعوى فارغة لا يعتد بها لان القرآن لم يقل هكذا ولان له من البيّنات ما يكفي للاقناع انه لم يشبه شيءٌ من ذلك وان كان حينما نُطق بالقران كان الكتاب سالمًا صحيحاً فليس بممكن لعمري فيما بعد تحريفه · الان قدحلت العقدة التي ما كنت ارى سبيلاً لحلّها وهي الموافقة بين الكتاب والقران من جهة والمضادّة من جهة اخرى حال كون القران يشهد له انهُ لا ريب كتاب رب العالمين فالحمد لله الذي انارني بنورهوارانى سبيل حقه وطوبى لاولئك الرجال الذين اهينوا هكذا لاجل حق الله وهم صابرون شاكرين فرحين ولا سيما لذاك الشهيد البار الذي ضحّى حياته في سبيل ربه والذي دمه اضحى وسيلة انارتي وارشادي · ارجوك اللهمّ ياخير مرجوّ ان تعين وتعضد عبدك هذا لكي احذو حذوهم واقتفي اثرهم في سبيلك القويم الامين امين

وانرجع في الحديث الى اولئك الثلثة الرجال المرتدين كما سلف الكلام عنهم فانهم لما شهدوا منظر الشهيد عمر المؤثّر هاجت ضمائرهم و بكتتهم بعنفٍ

على ارتدادهم هكذا عن طريق الحياة فبكوا لذلك بمرارة وحرقة فؤاد وزاد في ذلك السيد مصطفى الحقاني الى ان قال · الويل ثم الويل لنا كيف من تهويل قليل هكذا اجبنا وارتددنا عن سبيل الهنا سبيل الحق والحيوة منكرين بافواهنا حق ربنا وفادينا · ويحنا كيف هكذا اخترنا الدنيا دون الاخرة وراحة الجسد على راحة الضمير وسلام الناس على سلام الله · اوآه كيف اجتذبنا هكذا سريعاً بملق اللسان واآ أسفاه · ياليت كما قال النبي ارميا رأسي ماءٌ وعيناي ينبوع دموع لابكي ليلاً ونهاراً اثمي وشر ارتدادي من وراء ربي ومخلصي · وغاص في البكاء حتى انعجم لسانه عن التكلم فكان ثمَّ سكوت بضع دقائق · ثم قال حسن افندي قباواتي نعم ويل لشقاوتنا وتعس لاحوالنا على ارتكابنا هذا الخطاء الجسيم · اواه · ما حالنا في العبادة الان الا كحال مرائين منافقين نترأى بدين لا محل له في قلوبنا وننكر دين نعتبره دين الله الحق دون ريب أتوجد حالة اشأم واشقى من حالتنا هذه · لا لعمري فماذا يا ترى ان رجعنا وتمسكنا علانية بالانجيل يتعاظم حنق الامة والحكومة علينا فلا يلبث الحال ان يدبرَّ علينا مكيدة لاهلا كنا كما دُبّر على المرحوم عمر · ولااری لي قوة لاحتمال ما قد احتمل فارجو الله ان يغيّر الحال وتأخذ الحرية محلاً رحباً في هذه البلاد فيكون وقت انسب للمجاهرة بالمسيحية وفكري كما ارجوان ذلك يكون بعد ايام ليست بكثيرة فصدق على ذلك السيد حسين ابو النصر · اما السيد مصطفى فاجابهما اوآه يا اخوي الا نعترف بالمسيح الفادي ونتبعه الا زمن الراحة والحرية ونتركه وانجيله آن الضيق والشدة · اهذه محبة ان تمدح المحسن اليك وتشكره مادمت على مائدته وتنكر جميله حينما لا يكون لك ذلك · اهي محبة ان نعترف بحق ابن

الله فادينا ونتبعه حين الرخاء والحرية وننكره زمن التعب والبلية . لا لعمري لا وما نحن بذلك الا عبيدٌ خائنون وخدام ماكرون نستحق ان نربط يداً ورجلا ونلقى في ظلمات الهلاك الابدي . اما قد حمل العار لاجلي ومات عني ذلك القدوس الفائق الجلال والشرف أفاستعفي انا الدني الاثيم من حمل عاره وشركة آلامه وما يجديني ذلك ليت شعري الاّ العذاب الدايم في النيران الابدية — فلننف اخويَّ الخوف والجبانة من قلوبنا ولا نرهبنَّ الموت لاجل اسم من قد مات عنا ولنتقدم باسم الله الى المسير في الطريق التي مِلنا عنها وقتاً قليلا والذي غفر للجاحد بطرس يغفر لنا . فان عشنا من ثم نعيش له وان قضي علينا كما قُضيَ على اخينا فيكون عجل بنا الى نوال اكاليل المجد والحياة وحسبنا بذلك مماثلة سيدنا وربنا الكريم . فهلم ياسيدي ولا نتباطأ في اجراء هذا الواجب والجدير برجال حاذقين انتبهوا الى الخطر الذي باتو فيه ففرُّوا منه متوقين . وان كنتما لا تريان ذلك الان فها انا اذهب الى الحكومة واعترف لديها بايماني المسيحي نقيض انكاري اياه امامها ا فنظر اليه ذينك الرجلان بكل دهشة وتعجب لمّا سمعا منه ذلك ومما رأيا على وجهه من لوائح الحماسة وشديد الحمية . ا فان قضت عليَّ فياحبذا وان سمح الله ببقائي وانضمامي الى اخواني المأسورين يكون ذلك سروراً لقلبي وابتهاجاً لضميري . فسيأن عندي الحياة والموت بازاء راحة ضميري وسلام الله في باطني . ومن العجب العجاب اذا كنتما لا تفضلان الموت في سبيل الحق على الحياة بقلق الضمير والحس بالبعد عن الله . فما فكركما ياسيدي وما تريان . اجاباه حقاً انك ياسيد مصطفى لمسيحي شجاع واما نحن فلا . صلِّ لاجلنا . ثم افترقوا عن بعضهم اما هو فذهب كئيباً حزيناً على

حالة صاحبيه المذكورين · وفي الغد ذهب نحو الساعة الرابعة الى الحكومة ودخل بجراءة الى امام حضرة الوالي والمجلس ولما نظروا اليه سأله المفتي مالك ياسيد مصطفى · قال التمس من حضرة افندينا ان يسمعني بحلمه · قال الوالي تكلم قال انا عبدكم احد الرجال الثلثة الذين ارتدوا ظاهراً عن الدين المسيحي امام دولتكم في هذا المجلس منذ نحو عشرة ايام فمن ذلك الوقت للآن لم يرتح قط ضميري ولا اطمأن قلبي بل انا كمن هو في اليم العذاب من جرى تونيب الضمير الذي لا يطاق كون ارتدادي لم يكن عن اقتناع ببطل الدين المسيحي بل فقط من قبيل الحياء والجزع فالموت عندي افضل من حياة شقيّة كهذه · فعبدكم هذا رجل مسيحي مؤمن بالمسيح ابن الله سيد البشر وفادي الخطاة حسبما جاء في كتابه تعالى · واني لنادم ومتأسف على انكاري هذا الحق المبين امام دولتكم والمجلس ومقابلة لذلك الجحود حضرت الآن لديكم لاعترف بخطائي واقر بايماني فافعلوا بي ما يحسن في عينيكم افندم

فلما سمع الوالي والمجلس هذا الكلام المدهش من الحقاني ورأُوا شجاعته واقدامه الغريبين دُهشوا واي اندهاش فنظر من ثمَّ اليهِ الوالي بغضب وزجره قائلاً اي خنزير منافق اتكذب اذاً على حكومة السلطان — فاي قصاص تستوجب ياخبيث · فاجاب برزانة وشجاعة نعم لقد نافقت وكذبت ليس على افندينا والمجلس فقط بل ايضاً على المولى سبحانه وتعالى · ولكنني تبت اليه وهو الغفور الرحيم · فان كنت لذلك استحق الموت فلا استعفي من الموت بل اقبل اليه بسرور وراحة فازداد الحاضرون تعجباً واندهالاً من جرى هذا الكلام · اما الحقاني فكان لدى الوالي والمجلس كصخرة ثابتة راسخة في وسط البحر تلطمها

الامواج من كل جهة وترجع عنها خائبة اذ لم يكن لغضب الوالي وتهديداته ادنى تاثير في لون وجهه او حدوث اضطراب في كلامه او جسمه . بل كان واقفاً ثابتاً هادياً برزانة وشجاعة مدهشتين . ثم اخرج خارج المجلس وغب المداولة في امره قر القرار على ضمه الى رفاقه المسجونين اذ لم يروا ثمرة من صارم القصاص بل بالعكس ان اعدام عمر انتج مثل هذه النتيجة غير المنتظرة . عقيب ذلك الاجراء فادخل ايضاً وغب مثوله لدى الوالي وتكرار النصائح له عبثاً بالعدول عن هذا السبيل قال له الوالي اذاً نضعك الآن مع صحبك الاشقياء وننظر في امرك فيما بعد فامر بانزاله واخذه اليهم . اما ما كان من اولئك المساكين فاذ كانوا قد انفعلوا جداً من قتل اخيهم عمر وذلك المنظر المؤثر رجعوا الى مكانهم بحزنٍ وانكسار قلب لا مزيد عليهما وكانوا لا يفترون عن ذكره واللهج بخطابه الوداعي الاخير وصلاته الروحيّة الحارّة وهم يثنون على صبره وثباته حتى الموت لكن لما علموا ان السيد مصطفى مثل امام الوالي والمجلس يعترف بايمانه المسيحي نادماً على انكاره ذلك فرحوا وتعزوا نوعاً وعندما ادخل اليهم نهضوا اليه بوجوهٍ متهللة مترحبين به ومسلّمين عليهِ بقبلات المحبة والشوق فاختلطت من ثمّ دموع الفرح بدموع الحزن وعزّى بعضهم بعضاً بكلمات الرجا والحيوة . ثم حدثهم المذكور بكل ما جرى له ولصاحبيه المذكورين الذين لم يذعنا لرأيه ولا لضميرهما وكيف اتى الحكومة وما جرى له في المجلس فتعجبوا واثنوا عليه وحمدوا الله على ارجاعه الى طريق الحياة وتأسفوا على جبانة المذكورين ومقاومتهما لكلمة الله وصوت الضمير . ثم اخذوا يتحدثون كجاري عادتهم في اكثر الاوقات بمحبة الله بالمسيح وجوده غير المتناهي وبالشرف الفايق الذي

خوّله الانسان اذ صار ابنه الوحيد ابن الانسان ايضاً فغاصوا في حمد الله وشكره ثم جثوا وصلّوا

اما ما كان من الوالي والمجلس فبعد ايداع الحقاني السجن اخذوا يتحدثون في امره · فقال الوالي عجباً ان اعدام ابن الحارس انتج رجوع هذا التقي ايضا الى النصرانيَّة رافضاً هكذا الدين الاسلامي في وسط هذا المجلس بجراءة غريبة عكس املنا وانتظارنا · قال القاضي اني منذ البداية لم استحسن اعدام بعضهم ظنًّا مني ان ذلك لا يأتي بالمطلوب ولكن قط ما داخل فكري ان اعدام احدهم ينتج ما قد انتج الان من رجوع هذا الانسان الى النصرانية واستخفافه هكذا بكل تهديد ووعيد حتى بالموت نفسه · حقًّا اني لمتعجب جدا من وقوفه هكذا لدى دولتكم بثبات وهدو مدهشين و بطلاقة وجه ولسان عزَّ مثالها حال كون وجه دولتكم نحوه باعظم هيبة الزجر والغضب · فقال بعض المجلس ان هذا الأمر من ابليس الرجيم فانه خزاه الله يدخل قلوب ذوي الكبر والعجب فيملأ صدورهم من الاوهام والوساوس حتى يتخيّلون الحق بطلاً والبطل حقًّا و يجرئهم على احتمال الذل وخوف المكاره بسبيل ذلك طمعا بما يتوهمون نواله باطلاً · وكثيرًا ما هذه الاوهام لا يؤثر في ازالتها القصاص والتهديد · فقال آخر نعم ولكن كما هو معلوم ان هولاء المتنصرين لم يكونوا من اهل الكبر والعجب بل هم وآ اسفاه من اجلّ اهل بلدنا واوفرهم دعة وتواضعاً وحكمةً فكيف داخلهم هذا الوسواس واعتراهم هذا الوهم لا اعلم

قال المفتي لا يظن افندينا ان تأثير اعدام عمر بن الحارس قد ارجع فقط هذ الرجل الى ما كان قد رفضه سابقًا بل أؤكد لافندينا ان ذلك قد

أثَّر في قلوب كثيرين من المسلمين تأثيرًا جعلهم يحسنون الظن نوعًا في الديانة النصرانية وقد قال كثيرون بسمعي من شيوخ وشبان ان بن الحارس قُتل ظلمًا وان الشهود لا محالة قد شهدوا عليه زورًا وانه كان واجب محاولة اقناعهم بالدليل والبرهان لا بالسيف الذي حد ما يستطيعه ازالة الحياة لا ازالة اليقين. وان استعمال السيف لازالة باطل العقيدة ليس هو من شأن هذا العصر عصر الحريَّة والانسانية الى غير ذلك من الكلام الذي لا يسعني ذكره . فقال الوالي ما تقول يامفتي افندي اصحيح هذا الكلام . اجاب نعم وحياة راس افندينا هذا هو الواقع . فاغتاظ الوالي وتكدر جدًا من جرى هذه المسموعات ولبث برهة وافرة لا يتكلم ولوائح الغيظ والحيرة تلوح على وجهه ثم قال ماذا علينا . لم تجر الحكومة شيئًا خارجًا عن الشريعة والنظام فدعونا من هذا الحديث المكدر فسكتوا وداروا الى اعمالهم السياسيَّة

اما ما كان من الشيخ ناصر الدين وصحبه كالشيخ عبد الكريم والسيد عبد القادر ومن شاكلهم من ذوي التعصب والخشونة لما رأوا ان قتل عمر الحارس لم يرو لهم غليلاً وما نتج عنه من التأثيرات الآيلة لخير المتنصرين وراحتهم وان ابن الحقاني قد رجع الى ما كان قد جحده اضطرمت قلوبهم اكثر بنيران الحقد والغيظ وعولوا على بذل الجهد في تهييج الخواطر على المومى اليهم فاخذوا بالافتراء والتشنيع بكل ما يمكن اختلاقه عليهم فكانوا يجولون في الاسواق والشوارع مخبرين كل من صادفوه من رفيع ووضيع ان سبب سجن المتنصرين واعدام احدهم هو تفوههم كثيرًا بكلام ثلب وتجديف لا تحتمله الآذان على القرآن والنبي والصحابة الكرام وما شاكل ذلك من الافتراء والطعن . وانهم مع

كل ما اصابهم لا يزالون على هذا النوع من التقبيح والتشنيع · وقد افرط في ذلك الحاج قدور الطيش المتقدم ذكره فانه كان يدخل الحوانيت والقهاوي والبيوت فاتحاً شدقه الوسيع الكثير الكلام والهذر مشنعاً كل التشنيع باولئك الادباء ناسباً لهم كل ما امكنه نسبهُ من القبائح والاهانة لدين الاسلام ونبيهم وكان في الغالب يمشي بعجلة افلش العمامة دالق العب مرتخي الشفة يلوح على وجهه الاسمر الغليظ لوائح الحمق والطياشة · وكثيراً ما كان يهزّ رأسه ويشرأبُّ واقفاً على رؤوس اصابعه عند ما يتكلم هازراً على اولئك الافاضل معجباً بنفسه كل الاعجاب ومع ان كثيرين كانوا يسرُّون بصنيعه هذا كان ايضاً عدد ليس بقليل من ذوي التعقل والانصاف ينفرون مشمئزّين من ذلك · وكان بعضهم ينصحه بالكف عن هذا الثلب غير المناسب فلم يكن ممن يرعوي او يمتثل بل كان يستمر على هذا الامر بدون مبالاة · واحياناً كان يقف في بعض ساحات المدينة على دكةٍ او حائط ويجهر منادياً بصوته الجاش الخشن الحمد لله قد قطع راس الكافر الفاجر ابن الحارس جزاء شتمه المصطفى وتجديفه على القرآن فهبطت روحه الى دركات جهنم · ولا نعلم لماذا الحكومة ابقت على شركائه في الكفر والقباحة لكن المأمول انها ستلحقهم به قريباً فتسلم الامة من غيّهم وفسادهم · وكانت الحكومة قد نبَّهت مراراً على هذا الطائش بالكف عن هذه الاعمال وملازمة السكينة فكان يمتثل الى ساعة ثم يعود الى عمله هذا الذي هو صفة ملازمة له لا ينفك عنها واذ كان قد سئم الاكثرون من فعله هذا فبينما كان مرة جارياً في السوق كعادته على غير هدى يتمايل ذات اليمين وذات الشمال مترنحاً كالسكران هازراً بحق المشار اليهم يرفع صوته تارة

ويخفضه اخرى مدمدماً مطبطباً كمن قد أُصيب بذي جنّة مرّ بازاء دكان رجل مصري يدعى الحاج ابراهيم سالم وكان هذا الانسان من الظرفاء وعلى جانب عظيم من الحذق والزكاء وقد سئم جدًّا من هذر المذكور وحركاته الجنونية فلما رآه مارًّا على هذه الحالة المنكرة ناداه بنغمة التودد أيوه يا حاك كدُّور ميِّل لهنى لما نشوفك يا خويي — فمال اليه — سلامات ياحاك ايش زي الحال ياخويي — مبسوط احمد لله كيف حالك ياحاج ابراهيم · بسلام الله وانعامه · ثم دار وفرك له نفس تنبك وناوله الاركيلة فاخذ يشرب وهو يبرّم شاربيه ويلعب برجليه · ثم قال له الحاج ابراهيم دي مالي اراك ياحاك بدَمْدَمَة وطبْطبة وانت كاري في السوق ما الكصة ياخويي وخبر أيه — اي يطول عمرك ياحاج ابراهيم ان شاء الله ما بتعرف شو صاير ماتقول لي ما الحكاية ياخويي - الحكاية ان الشيخ علي عمر والشيخ محمود الرافضي والشيخ عبد الرحيم مع ستة رجال اخرين من اهل النفاق والفساد تركوا كما لا خفاك دين الله الاسلام وتبعوا كفر النصارى والحكومة ايَّدها الله قبضت عليهم وسجنتهم ثم قطعت راس اخبثهم وارداهم الكافر ابن الحارس فهبطت روحه الخبيثة الى دركات الجحيم وانا مستجير بالرسول انها تلحقهم به قريباً — بارضه طيب ياصاح وعلى أيه تقلب اساميهم كدى — يَهْ يَهْ يَهْ لانهم انقلبوا من سمو شرف الاسلام الى حفرة الشرك بالله فليسوا بعدا هلاً لهذه الاسامي الشريفة فوجب عليّ قلبها الى اسامي تليق بهم · كدى موش طيّب ياحاك مالك وايّاهم ياخويي الحكومة ابتسربهم انت صاحبي ياحاك كدور مايهنيش عليّ فيك اشور عليك ياخويي بالسكينة والهدو أُمالي كفاك طنطنة بهذه القضيةِ رائح كايي تكدح بحك الركال

على غير ثمرة · ما ادراك يسمعك بمض اقاربهم او ازمتهم وراح لا كطك وحصل من كرى ذلك طوشه او هوشه تكع الدكه براسك وحالك ما يتحماش انت زينا ر كل انكبار صاحب عيال ما تناسبش الامور دي ياخويي· دخلك ياحاج ابراهيم لا تحكي معي ها الحكي مالك مسلم مابتغار لله ولرسوله ما بتعرف شقذها الخبثا افسدوا ونجسوا وافتروا وشنعوا على كتاب الله ورسوله اذا كنت جنابك بارد الطبع فداعيك بخلاف· قلبي شاعل بنار الغيرة الاسلامية وبطني منفوخ لا اقدر على السكوت وان سكتُّ اموت· الله اكبر على الملاعين المجدفين على القرآن وسيد المرسلين والصحابة المشرفين · وصار هكذا يلهط و يلغط و يهتزُّ و يشرأَبُّ ولعابه يسيل على لحيته وصدره كمن قد غاب عن رشده فبهت الحاج ابراهيم منذهلاً من هذا الهيجان الجنوني فقال لا حول ولا قوّة الاّ بالله العلي العظيم · ثم قال له دهدى مهلاً ياحاك بفكري انت راكل طيّب من اصل مليح كدي ماييناسبش مقامك ونسبك · الحلم واللطف احرى بك وانفع والتأنّي خير من العكلة والدعة والهدو من شيم الكرام ·

حاج ياحاج ابراهيم كلامك بيحرّ— شو بتوقع الدقة براسي انا الحاج قدور وما انا جاهل ما قلت ولكن الحلم والتأنيّ لا محل لهما في مثل هذه الحال

اسمع يا حاك ما اكول لك اني احبك وابغي لك الخير تصبر لمّا ترى ما يكون والآن تندم يا خويي · فقهقه الحاج قدور قهْ قهْ قهْ اسمعوا ياناس شو بيقول الحاج ابراهيم قال بندم ملاًّ كلام ملاًّ رأي الحق على لحية الحاج قدور الذي ميّل على دكانك واندفع وهو يقول المصاوري بلا نخوة ولا حماسه ولا دين يبيعون الدين بزنبيل تين وقصعة فول مدمّس عندهم خير من الدين واهله ·—

من يدي ليد الكرد كانت النصيحة تشترى بكمِل اما اليوم لايكبلوها بلاش — ما اكون الحاك ابراهيم ان كان هذا الطيش لايعمل طوشه يركع و بالما على راسه اليوم او غدا ها لحيتي « قال ذلك وهو قابض على لحيته »المصري بلا دين اما الشامي فالدين يزرب من ذيله كأن الدين بالسفه على الناس والكدح في اعراضهم — ما يضرنا اذا تنصر مسلم او مايه او عشرة من يؤمن فلنفسه ومن يكفر يركع و باله عليه وربُّ الخلق يدين خلقه والانسان حر يفتكر و يعتقد زَيي ما يريد — وكان للحاج ابراهيم المصري جار رقيق الطبع يدعى الحاج علي زهره وكان سامعاً كل ما جرى بينه و بين الطيش فلما انصرف المذكور جاء اليه وقال مالك يا جار والحاج قدور الا تعلم ان من شبَّ على خلق شاب عليه مامن نصيحة الاحمق احسن من النكبة · فهذا الانسان متصف بالحمق والطيش منذ نعومة اظفاره ففي نفس مكة حيث اكتسب لقب حاج اتى بعدة طوشات فسجن مرتين هناك واغرم بعشرين ليره وهكذا اينما توجه هذا دابه رجل ما وف عند كل من يعرفه · وغالبا كما ترى معطل الشغل يتجر بالمذر والقدح باعراض الناس فهو لاشبه بالخنافس التي لا يحلو لها الاَّ اللعب والعمل بالاقذار والاوساخ — قال الحاج ابراهيم صدقت يا صاحبي واحسنت ·

ثم وكان اذ ذاك ان عيال اولئك الاسرى وانسباءهم بحزنٍ وخوف لامزيد عليها من جرى ما قد جرى على عمر المذكور ومما كانوا يرون و يسمعون بحقهم من الافتراآت والاراجيف المستمرة كما ذكر فكانوا لا يفترون قط من اتخاذ الوسائل الممكنة لوقايتهم من سهم الاعدام ولا طلاق سبيلهم ان امكن متوقعين على القاضي والمفتي وحريمهم وعلى كل من في قلبه رحمة بشأن المومى اليهم حتى

رق لهم كل ذي قلب شفوق ورثى لهم كل ذي رأفة . وبينما الحال جارٍ على هذا المنوال والطيش لم يزل بقحته النادرة المثال يجول في المدينة آخذاً في ثرثرة الكلام المهين بحق اولئك الادباء الورعين صدف يوماً ان الشيخ حسن اخا الشيخ علي عمر كان مارًّا تجاه القهوة التي كان فيها حينئذٍ الحاج قدور المذكور آخذاً كعادته بالقذف والافتراء والتشنيع على المذكورين طرق اذنيه كلاماً قبيحاً بحق اخيه الشيخ علي . فمال من ثم الى قرب شباك القهوة ونظر الى داخل فرأى الطيش واقفاً في وسط جماعة اكثرهم من شاكلته يتكلم بصوته الغليظ بحدة وسرعة لا مزيد عليهما مشيرًا بيديه وحاجبيه خابطًا برجليه والزبد يرغي على شدقيه كانه جمل هائج ان لم نقل احمق طائش . وكان الشيخ حسن عمر شابا طويلاً اشقر اللون حسن الطلعة قوي البنية من اشجع رجال بلده . وكان مع ذلك لطيفاً اديباً قليل الكلام عذب اللسان حلو المعشر كريم النفس وكان قد سمع كثيرًا من هذر المذكور وهو ملازم الصبر حتى فرغ صبره فلمَّا رآه المرة على هذه الحال يقذف هكذا بكلام لا يحتمل بحق اخيه واصحابه ثارت حميَّة الصبا بقلبه فصعد الدم الى راسه واحمرت عيناهُ من فرط الغضب حتى كاد لا يتمالك نفسه . فمال من ثم الى الباب وقال اما كفاك يا طيش أَمر امك الثارة فتنة في البلد ابغيتك اعدام الشيخ علي عمر كعمر الحارس — قسماً بالله الحي لا يطير محجم دم من دمه مالم تعدم حياة خمسين كلب مثلك — ان كان الشيخ علي نصرانياً او كافرًا ماذا يعنيك انت يا ردي — فاجابه الطيش انا كلب انا ردي انا الحاج قدور افتح عينك مثلك الكلب والردي ومثل كل من ترك دين محمد وانقاد الى شرك المشركين . فلما سمع الشيخ حسن هذا الكلام صار الضياء

في عينيه كالظلام ورأى ان مجرد الكلام مع اللئام لا يأتي بالمرام فانقض عليه من ثم كالعقاب وخبطه الى الارض وبدأ يربزه ويرفسه واما الحاضرون فاخذهم الانذهال والرعب فلم يبدو لا سلباً ولا ايجاباً وذلك يصرخ من تحت رجليه ويصيح آه يا امة محمد قتلني يا مسلمين هذا النصراني اللعين فغارت الناس وهاجت الاوباش فقويت الضوضاء وعلت الهيجاء واشتدت الفتنة بين القوم وكان كثيرون منهم وهم الاشد بأساً من حزب الشيخ حسن ذلك لميل اكثر العامة الى الشيخ علي لرسوخ محبته في قلوبهم منذ امد طويل التي لم يمكن اقتلاعها منها بوقت وجيز كهذا ولان الشيخ حسن ايضاً كان محبوباً ولا سيما من الشبان لعذوبة معشره وعلو همته ووفرة سخائه بخلاف قدور الطيش الذي لفرط طيشه وحمقه كان مذموماً مأوفاً من كل ذي تعقل وحشمة (لُقّبَ بهذا اللقب منذ الحداثة من رفاقه صبيان المكاتب لما رأوا من صفاته وحركاته ما يدعو الى ذلك) فوقعت من ثم الكسرة على حزب الطيش فولوا الادبار واما الطيش فاذا كانت قد انتهكت قواه مما قاسى من الشيخ حسن وغيره اثناء المعركة لم يستطع الفرار مع صحبه فلجأ الى بعض الجوامع ريثما يرتاح قليلاً ولكن لم يكن الاّ برهة حتى اجتمع ايضاً الى هذا المكان الكهول والفتيان من باب توما الى الميدان فعادت الفتنة واشتد النزاع والخصام حتى اوشك ان يبلغ الخطب معظمه . ولولم تبادر الحكومة السنية الى اطفاء نار الفتنة بانزالها الى محل المعركة طابوراً من العسكر النظامي وفرقة من الدراغون مع الضابطة الذين حالاً فصلوا بين الفئتين وبددوا شملها لكان بلغ الحال الى شر حال . ثم غب ذلك جرى الفحص عن مسببي الفتنة والمشتركين الاولين فيها فقبض على الحاج قدور والشيخ حسن

وعلى عشرين رجلاً اخرين واودعوا السجن ولدى الاستنطاق وتقديم البينات وجد اكثر الحق على الطيش ولم يتبرأ الشيخ حسن فحكم عليهما بالسجن مدة سنة وان يدفع كل منهما خمسين ليره جزءا نقديا وعلى ثمانية رجال من المشتركين بالفتنة حبس شهرين ودفع كل منهم عشر ليرات ولكن مراعاة للظروف واستنادًا على تقارير بعض عقلاء البلد اطلقوا من السجن في اليوم العاشر من حبسهم بعد ان دفعوا الجزاء النقدي (ان الشيخ حسن كان من الاغنياء فلم يؤثر فيه شيئاً دفع خمسين ليرة بخلاف الطيش المسكين الذي كان مديونا واستقرض هذا المبلغ ايضاً فأثر ذلك في حالته كل التاثير) وعب اخراجهم من السجن مثلو امام الوالي الذي غب ان تهددهم ونصحهم وانذارهم امر فتصالحوا لديه ونبه بصرامة على الحاج قدور ان لا يفتح فمه بعد بثلب الاسرى المذكورين ولا يثلب دين النصارى ويوم يسمع من فمه ذلك يقاص باشد القصاص . فاجاب امر افندينا مطاع انا ما تكلمت بشيء يوجب علي كل هذه الاهانة من حسن عمر ومن الحكومة ماهو ذنبي وجريمتي حتى آكل كل هذا الضرب من المذكور وزمرته وتجنحني الحكومة وتغرمني بجزاء نقدي كبير جدا على فقير مثلي مديون معيل . فقال له الوالي ان طياشتك وعدم انسانيتك كبدتك هذه الخسارة وجلبت لك هذه الحقارة فاذهب وتعلم الحشمة والادب تربح ودر بالك من الآن على شغلك ولا تتعرض لما لا يعنيك . ثم انصرفوا من لدن دولته وذهب الشيخ حسن مع صحبه الاربعة الرجال فاولم لهم وليمة فاخرة وبعد الوليمة دفع لكل منهم العشر الليرات التي أُغرم بها مع هدية حسنة فذهبوا من عنده طيبي القلوب يثنون عليه كل الثناء واما الطيش فاذ كان بعيد عن فطرته المدو

والسكينة وقد اجبر على ذلك من الحكومة تحت اشد الوعيد والتهديد ذهب منكادًا ومقهورًا جدا من هذا الامر وكان دأبه يقول اوَّاه قُلبت الاحوال وخلت من التقوى صدور المسلمين — قتلةٌ منكرة وحبس عشرة ايام ودفع خمسين ليرة جزاء غيرتي الدين وتكلي الحق على المتنصرين — هذا هو ذنبي يا امَّة محمد وهذا جرمي ياويلاه ويا اسفاه على الدين. وكان دائمًا يتأوّه وينفخ متنفسًا الصعداء من قلبه. واذ انفعل كثيرًا من جرى ذلك وتضايق اكثر فاكثر من حجز حريّة لسانه مرض مرضًا ثقيلاً انهى حياته بعد مضي شهرين من مرضه— اما ما كان من الوالي فانه اذ قد خامره الخوف والاحتساب من حدوث فتنة اعظم فبعد ان استشار اخصاءه والمجلس استدعى اعيان الامَّة في البلد وعلماءها ورغب ان مثلوا لديه في قاعة الاستقبال وجلسوا عن يمينه ويساره نهض كاتب الوالي الخاص وقال

ان حضرة دولة افندينا الافخم متأثر ومتكدر للغاية مما جرى من تنصر اولئك الرجال وما نشأ عن تنصرهم من القلاقل والتشويش المزعج الذي كاد يقضي الى فتنة دموية كما قد رأى يتم. ولذلك حسن لدى دولته ان يستدعي حضراتكم ليخبركم الواقع رسميًا ويقدم لكم النصح الواجب — لابد جميعكم علمتم ما عامل به دولته اولئك المذكورين من الملاطفة وما قدم لهم سدًى من النصائح المؤثرة بكل امارات الحب والرأفة كالاب لاولاده. فانصاع من ثمَّ ثلاثة منهم ورجعوا الى دين آبائهم وهم السيد حسين ابي النصر وحسن افندي قباواتي ومصطفى ابن ابراهيم الحقاني الذي من غريب امره رجوعه بعد اعدام ابن الحارس الى غيّه وضلاله واقراره بذلك لدينا في المجلس بوقاحة لا مزيد

عليها فلزم ارجاعه الى سجنه· واما البقية فقابلوا ملاطفة دولته ونصائحه بالمكابرة والعناد· ولما رأى منهم ذلك حسن لديه ان يقدم الافادة عنهم تلغرافياً الى الباب العالي ففعل ثم امر بحجزهم في السرايا ليثما يرد الامر السامي بشأنهم ولما حدث ما حدث من عمر ابن الحارس من التجديف على كتاب الله ونبيه كما تعلمون قدم ايضاً الافادة الى الباب العالي · وفي ثالث صفر ورد الامر السامي تلغرافياً جواباً لذينيك التلغرافين المتقدمين وهذا هو اتلوه على مسامعكم فتلاه· وهو كما رأيتم فيما تقدم وبموجب ذلك صار اعدام المذكور وسيصير ابعاد الآخرين بناءً على ما قد نشأ بسببهم من الهيجان والاضطراب المزعج وما يخشى حدوثه اذا بقوا في البلد· فيرغب دولته منكم تنظيم مضبطة تعلن وجوب ابعادهم مراعاةً للصالح العام وراحةً الدولة وحيث جميعنا رعايا السلطان امير المؤمنين مولانا وسيدنا الخليفة المعظم وجب علينا الخضوع والطاعة القلبية لارادته الملوكانية العائدة لا ريب لمصلحة الدين والامة ·فيرغب دولته اليكم ان تكونوا جميعاً بقلب واحد ويد واحدة في تأييد عماد الدين حباً بالله ورسوله متكاتفين متعاونين على كل ما به صالح الدولة والامّة ساهرين على الراحة وصيانة السلام العام بنصائحكم المؤثرة وارشاداتكم الصالحة وتصرفكم الحسن بطاعة الله وامير المؤمنين ·وتعلموا الحكومة بكل شخص يرتكب متن البغي ويأتي باسباب الشر والفتن مهما كان مقامه ونسبه كي يجري تأديبه طبقاً للنظام العالي ومراعاة لصالح الامّة والوطن · وينصحكم دولته نصيحة الوالد المشفق ألاَ تلقوا هذا الكلام وراء ظهوركم بل اودعوه اذهانكم وقلوبكم لتسيروا بموجبه لخيركم وخير وطنكم · وان لا سمح الله نبذتموه عنكم وتركتموه في هذه القاعة والقيتم

واجباتكم في زاوية الاهمال والنسيان يعود ذلك بالوبال والهوان عليكم وعلى بلدكم ووطنكم فتندمون من ثم حيث لا ينفع الندم — نصحكم دولته وانذركم تأملوا وتبصروا الهمكم الله وايانا سبيل الخير والصواب

فاجاب الحاضرون بلسان محمد بيك العظم اننا عبيد مطيعون ان شاء الله لله ولولي نعمتنا ومولانا السلطان امير المؤمنين ولحضرة دولتكم العطوفة في كل ما رسمتم وفي كل ما تأمرون · واننا لشاعرون جداً بالفضل الجزيل وحسن الالتفات اللذين تعطفت به حضرة مولانا المعظم بتوليتها زمام عبيدها هؤلاء ذاتاً كريمة غاية في الحكمة والعدالة والغيرة على القيام بمصلحة الدين والامة كحضرة دولتكم · وان نحن صمتنا عن الاعتراف بذلك فلسان حال مكاتبنا المتقنة ومستشفياتنا ونظام بلدنا وطرق ولايتنا واتساع دائرة مزروعاتنا والراحة والامنية والعدالة التي جعلت لوطننا في وجود دولتكم قصب السبق على كل ولايات السلطنة يشهد لفضل وصلاح دولة افندينا وحبه الوطيد لنا ولبلادنا · فليس اعتبارنا دولتكم كحاكم فقط بل كأب رؤوف كريم فها نحن بين الايادي صاغين راضخين لكلما تأمرون وبكلما يسر سركم · ورجاؤنا بالله وبهمم دولتكم انه لا تعود بعد آذانكم الكريمة تصدع بصوت تشويش ما يعتد به في هذه البلدة — ومن خصوص الرجال المتنصرين الذين امرهم هذا قد المَّ بنا وكدر صفو عيشنا كل التكدير فبالنظر الى ما قد حدث بسببهم وما يخشى ايضاً حدوثه حال وجودهم في البلدة نرى كما ترى حكمة افندينا وجوب ابعادهم عن الولاية مراعاةً للصالح وحسماً للمشاكل وحسب اشارة دولته فها نحن نبني مضبطة بذلك تمهر من جميعنا ونسأله تعالى ان يلهمهم الرجوع الى دين آبائهم

قريباً فتتلاشى اسباب الكدر وتدور على الجميع بوجود افندينا كأس الهناء والسرور (اه)

فاثنى من ثم الوالي عليهم مظهراً سروره وانشراحه بما بدى منهم ثم بعد ان تحرّرت المضبطة بوجوب ابعاد المتنصرين وامهروها وقدموها لدولته امر لهم بالقهوة فشربوا وانصرفوا كل الى مكانه .

اما ما كان من اولئك العلماء المأسورين فانهم لما بلغهم ما جرى في المدينة بسببهم بين الحاج قدور الطيش ابن الحاج صالح عمر و بين الشيخ حسن اخي الشيخ علي تكدروا جداً واختشوا من تعاظم الفتنة وسوء العاقبة لا سيما الشيخ علي فانه لم يظهر عليه منذ البداءة غيظ ووجل كهذه المرَّة فلبث يومين صائماً لم يذق شيئاً · ولكن لما انتهت المسألة على الوجه المتقدم ذكره ارتاح نوعاً وحمد الله ولما حضر لديه اخوه بعد تلك الحادثة وبخه كثيراً على عدم صبره وعلى اضرامه نار تلك الفتنة وانذره ونهاه عن الاتيان بمثل ذلك مرة اخرى لاية علة كانت قائلاً · الله يرضى عنك يا اخي لا تعد تفعل شيئاً كهذا لزيادة كدر اخيك وضيق روحه دع الطيش وغيره يقولون ما يقولون ويفترون ما يفترون والله ناظر عليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل · وهكذا الآخرون اوصوا اولادهم واخوانهم ان يلزموا جانب الهدوّ والسكينة ويصبروا ان الله لا يضيع اجر الصابرين · فاجابوا بالامتثال والطاعة — هذا ومنذ يوم دخلوا السجن للآن لم يفتر القاضي الكريم والمفتي مع كثيرين من علماء البلد واعيانها ذوي الرقة والحنوّ عن التردد عليهم وتقديم النصائح سدًى لهم وخصوصاً بعد اعدام عمر الحارس وناهيك عن حريمهم واولادهم واخوانهم واخواتهم الذين يومياً كانوا

يأتونهم نائحين باكين متوسلين اليهم ان يرجعوا الى دينهم ولو ظاهرًا فقط بحيث يبقون في بيوتهم و بلدهم مستأمنين على حياتهم فكان ذلك اعظم داعٍ لألم قلوبهم وضيق صدورهم ولا يعرف مقدار الآلام الداخلية الناشئة من توسلات الاهل والاحباب ودموعهم الاَّ من ذاق ذلك في نفسه . فكان اولئك المساكين من جرى فرطٍ اضطرام حاسياتهم وصغر نفوسهم وذبول قلوبهم من جرى ذلك كثيرًا ما يتمنون الابعاد او الالحاق باخيهم عمر تخلصاً من مثل هذا العذاب الذي لا يطاق

فقال السيد ابراهيم — شتان ما بين دموع المرء واهله فان دموعه تطفي نيران قلبه ودموع اهله تصليها

قال الشيخ سليمان — لعمري ان دموع الوالدة والاهل المصاحبة لتوسلاتهم هي لاقوى الجبال لجذب القلوب وادنائها ولكن النعمة في القلب هي كسلسلة ذهبية رابطتهُ بالله فلا تستطيع ان تفعل بها شيئًا تلك الجبال

قال الشيخ محمود — ان دموع الوالدين والانسباء المصاحبة لتوسلاتهم لرد المرء عن سبيل الله هي لاعظم الاسلحة وامضاها فمن لم يُغلَب بهذهِ لا يقدر السيف ان يغلبه . قال الشيخ علي — لا اظن ان شيئًا اثر في قلب فادينا الكريم وهو معلق على الصليب كرؤيتهِ امه تهيل الدمع المدرار الَمًا عليه ولكن جسامة رغبته بخلاص نفوسنا هوَّنت عليه شرب تلك الكاس العلقمية كذا تلاميذه وهم سائرون وراءه تلهبهم دموع الوالدين والاهل غير ان حبهم اياه يمكنهم من الجلد على احتمالها

قال الشيخ عبد الحليم قد تقرّحت اجفاني من فرط البكاء والنحيب على

فقد وحيدي · فكما ان دموع الوالدين لا ترد الى الحياة من مات من اولادهم كذا دموع الاهل والاخوان لا تقدر ابداً ان ترد للعالم من قدمات بالمسيح عن العالم · ونحن يا اخوان قدمتنا بالمسيح للخطية والعالم فلسنا من العالم ولا للعالم حق السيادة علينا بل نحن تحت سيادة ابن الانسان الذي مات وقام ليسود على الاحياء والاموات · فعلينا ان نعيش للرب ونموت في الرب ناظرين دائماً الى يسوع الذي لاجلنا احتمل الموت · فلنتعزَّ اخواني في الرب ومواعيده ولا نبالينَّ بشيء من امور الحياة الفانية ولنتجلد بثبات على احتمال كل شيء لاجل مجد اسمه ننال اخيراً من يده الكريمة إكليل المجد والحياة «آه»

وهكذا عزّى بعضهم بعضاً بمثل هذا الكلام و بعد خروج المضبطة كما تقدم لابعادهم عن اهلهم و بلدهم اجتمع القاضي والمفتي بالشيخ اسماعيل صالح رئيس البلدية وحسن افندي العطار احد نواب المدينة وعبد الرحيم افندي رئيس الجزاء والشيخ عبدالحميد امام الجامع الكبير · وعب ان تداولوا طويلاً بامر العلماء المذكورين اجمع رأيهم على ان يضربوا الضربة الاخيرة علها تأتي ببعض المقصود وعب ان طلبوا توفيقه تعالى اتوا اليهم وعب دخولهم عليهم واداء السلام ومبادلة التحيَّات رفع القاضي نظره وقال

طالما تسنح لنا الفرصة يا اخواننا لمشاهدتكم ومحادثتكم بما نراه خيراً لكم لا يمكننا التوقف عن ذلك فنرجوكم احتمالنا بحلمكم—لابد علمتم بخروج المضبطة بابعادكم عن بلدكم واهلكم الامر الذي ساءنا كثيرا جدًّا — كيف لا نتكدر ونتأسف بل كيف تبخل عيوننا بالدمع ونحن نرى افضل اخواننا وأعزّ خلاننا عمد بلدتنا ومصابيحها ينفردون واأسفاه بعيداً عنا في الدين والجسد» وغص

بالبكاء فتوقف هنيهة عن التكلم ثم عاد فقال » فلذا جئناكم بكل اخلاص الحب والوداد مكررين توسلاتنا وابتهالاتنا اليكم ان ترجعوا معنا ان حسن في اعينكم تبديد ظلمات اكدارنا واحزاننا الى دين آبائكم واجدادكم الكرام فتبقوا متمتعين بروئية اهلكم واولادكم كما نحن واياكم بلذيذ الصحبة وطيب الالفة رقوا لنا يا احباب وارثوا لاصحاب لا يطيب لهم العيش بعدكم وبالأحرى رقوا وارثوا لدموع حريكم واولادكم البائسين عهدي بكم مثالاً في الحنوّ والاشفاق فماذا جرى لكم كيف قست قلوبكم الى هذا الحد . اكراماً لله اقبلوا توسلات اخوانكم هؤلاء وابدلوا ضيقنا بالفرج واكدارنا بالسرور واجعلوا هذا اليوم يوماً طيباً يذكر مدى حياتنا — الله يرضى عنكم لا تخيبوا شيبة اخيكم هذا المحترق الفؤاد بسببكم واجهش بالبكاء فبكى حينئذٍ الاكثرون . وزاد في ذلك الشيخ محمود فانه كان غاية في رقة القلب ولطف الخاطر ثم اخذ بقية اولئك الزائرين يتكلمون على هذا المنهج الواحد بعد الآخر واولئك صامتون عابسين يلوح على وجوههم الانحصار وصغر النفس و بعد ان افرغ القاضي وصحبه جعبة توسلاتهم وانذارهم اجاب الشيخ علي . ياسادتي الكرام اسمعوني بحلمكم يسمع لكم الله — لا يلزمني محاولة التعبير عما يقصر دونه لساني من اظهار حاسيات الامتنان والشكر لافضالكم ومكارم اخلاقكم الغريبة اذ خولتمونا ما لا نستحقه من شرف تنازلكم لزيارتنا ومكالمتنا هكذا باسمى امارات الحب واللطف فكما تذيب النار الشمع هكذا لقد اذبتم قلوبنا بكلمات ومدامع نار حبكم فماذا نقول جزاكم الله جزاء الخير وقاكم من كل شرّ وويل — اوّاه يا اسيادي ربما تستغربون ان قلنا لكم انه ليس في استطاعتنا اجابة طلبكم لسبب فنتوسل اليكم ان تسمعونا بطول

الاناة و بعد ذلك احكموا تعلموا يا كرام ان محل الاقتناع واليقين هو القلب كما قلنا غيرة مرة والواسطة لإدخال ذلك اليه هي الدليل والبرهان · فلا خفى حضراتكم انه لدى وقوفنا على تلك الرسالة التي بلغكم امرها ورأينا انها ذات ادلّة و براهين لا يجدر بذي العقل الاغضاء عنها آثرنا البحث فيها باخلاص وجد · والقضايا التي اتخذناها مواضيع ابحاثنا هي اولاً هل التوراة والانجيل الموجودان الآن بيد اليهود والنصارى هما نفس اللذين كانا في عصر الحواريين وعصر محمد ايضاً · ثانياً هل التوراة العبرانية الكائنة بيد اليهود هي ذات التي بيد النصارى بلغاتهم المتنوعة · ثالثاً هل تطابق التوراة الانجيل وهل مفاد الانجيل هو غاية التوراة · رابعاً هل توجد مطابقة جوهرية بين نسخ الكتاب العديدة وتراجمه المتنوّعة التي هي بيد طوائف النصارى وفرقهم · خامساً هل في القرآن ما يسند من بعض الاوجه مفاد الانجيل بخصوص لاهوت المسيح وموته بالجسد · فعب افراغ الجد والجهد في البحث بهذه القضايا اتضح لنا ولله الحمد صحتها كما يقول صاحب تلك الرسالة وذلك باقطع الادلة وارهن البينات التي لاتبقي محلاً للريب بصحتها · ولذا تقرر في اذهاننا ورسخ في اعماق قلوبنا الايقان التام بصحة كل ما جاء في الانجيل الكائن بيد النصارى واذلم يمكنا والحالة هذه مقاومة صوت الضمير الذي كان يدعونا للاعتراف بالحق الذي اتضح لنا هكذا التزمنا التصريح غيرمبالين بما ربما يصيبنا من جرى ذلك · وتعلمون حضراتكم ان اليقين المتأصل في القلب بواسطة الدليل والبرهان محال استئصاله منه بدون ادلة و براهين اقطع فلا شيء في العالم مهما كان و يكون يستطيع نزع ما قد تأصل في قلوبنا ومحو ما قد نقش عليها من الاعتقاد والايقان بلاهوت

المسيح وموته بالجسد فداء الانسان الاَّ على فرض تبيان بطلان ذلك بالطريقة المذكورة وهذا نراه محالاً فان كان ذلك يا سادتي في امكانكم فلا تبخلوا به والاَّ فاعذروا من يحق لهُ الاعذار من كرام افاضل نظير حضرتكم — نعم ليس من الهين مبارحة الوطن والاهل والخلان واحتمال العار والموت ولكنه اهون علينا واسهل من رفض الحق ومقاومة صوت الضمير. واذا على فرض اجبنا طلبكم وارتددنا الى الاسلام لا يكون منا ذلك الاَّ رياء وكذباً والموت أَحب الينا من عيشة كهذه فبالحري ارقوا انتم وارثوا لنا وكفى تلحوا علينا سدى بالرجوع الى ما لا محل لهُ في قلوبنا واذهاننا التي قد اصطيدت بشبكة الانجيل وليس في امكاننا تخليصها منها فان تعذرونا فذا من فضلكم وان تحسبونا متوسوسين متعنتين فلكم — والله اعلم بالحال ورجاؤنا عدم المواخذة وما حيينا لا نقدر ان ننسى افضال حبكم اما نحن فبعونه تعالى مستعدون لاحتمال كل مكروه واذى يلحق بنا بسبب هذه الطريق والامر والارادة للعزيز الرحمن وهو حسبنا ونعم النصير (اه)

فقال المفتي اننا نتأَسف كل الاسف على ضيعان اجتهادنا بما لخيركم وليس لنا من قصد ان نناز لكم يا احباء في ميدان المحاورة والمناظرة لأَنكم تعلمون ما نعلمه من الاعتراضات والتنكيتات على النصرانية بل نظن انكم محنكون في هذه الامور اكثر منا فلا مطمع ان ذلك يؤَثر فيكم شيئاً. وعليه فاننا نذهب من عندكم كاسفي البال والخاطر راجين ممن هو على كل شيء قدير ان ينظر اليكم ويردكم من سبيل الضلال الى صراط الحق والهدى (اه)

ثم قاموا وانصرفوا وكان القاضي وهو آخذ في طريقه يناجي نفسه هكذا

ما اشجع هؤلاء الرجال ما اشد عزيمتهم ما اقوى كلام الشيخ علي هل من عاقل يرى طلبه هذا غير عادل لا لعمري لا — هو لطلب عادل وحق — بيداني لا ارى عندنا من الادلة والبراهين على صحة الاسلامية كالتي نوّهعنها على صحة النصرانية وانّى السبيل لدحضها فماذا يا ترى ان كان هؤلاء الرجال مصيبين في ما يزعمون كما يلوح لي فطو باهم ٠ماذا اذًا ايجدر بي الاغضاء عن ذلك كلاّ ولا ٠

اما اولئك المساكين فاذا كانوا قد سئموا جدًّا وضجروا من كثرة توارد الناس عليهم واتعابهم بمجرد الالحاح الفارغ غير المنقطع تمّنوا ابعادهم حالاً الى مكان ريثما يرتاخون قليلاً من هذه الحال المكربة — ثم قال بعضهم لبعض هل يا ترى تيقن اولئك الاصحاب عدم وجود ما يدحض البينات المسيحية فأْ بوا الذلك منازلتنا ونبهوا على العامة ان لا يفاتحونا بشيء من ذلك خوف الفضيحة والاقتناع ٠ فان كان ذلك كذلك فهو من العجب العجاب ان علماء البآء افاضل كهؤلاء لا يسعون وراء ما يخال لهم انه حق — هل الشرف الارضي والرتب وحب الدنيا يمنعهم من ذلك ولكن هذا ليس من شان اهل التعقل والحزم — قال آخرون يرى ان تمنعهم من الدخول معنا في البحث والمناظرة دليل انهم ما رأوا ان لهم من الاسلحة المناسبة لهذه المنازلة فرأوا من الحكمة عدم اصلاء نارها كما يشف كلام مفتي افندي ٠ فكانت هكذا ملاحظات تزيدهم تمكنًا في الديانه المسيحية ونموًّا في فهم حقائقها الالهية

الفصل العاشر

ثم ان القاضي واصحابه المذكورين اجتمعوا في غد ذلك اليوم وتداولوا ملياً فيما كان بينهم و بين العلماء المتنصرين · واخيرًا قال حسن افندي العطار لا ارى يا اخوان طلب اولئك الرجال الاَّ طلباً عادلاً فمن الظلم ان يثلبوا او يلاموا بدون ان يبين لهم بطلان ما قد تقرر في عقولهم وهل يليق بنا كعلماء مسلمين اباءَة اجابة هكذا طلب عادل · أَلا يعد ذلك دليل العجز وضعف الراس المال الامر الآيل لا محالة الى ثلم ديننا اذ كما لا يخفى ان امتناع ائمة دين ما عن مناظرة من يدعوهم الى ذلك من ائمة دين آخر هو عبارة عن الاقرار بضعف حجتهم وسقامة دينهم فهل نرتضي والحالة هذه ان نتحمل وديننا هكذا عارًا مهيناً — لا لا ياخوان علينا ان نكون على استعداد دائم لدحض كل تعليم ومعتقد يقاوم ديننا بسلاح الدليل والبرهان والاَّ فأَي محل للفاخرة بما لا نقدر ان نبين حقيقته واي حق لنا بملامة من يجنح من امتِنا الى النصرانية او خلافها · فعندي من الواجب منازلة هؤُلاء الرجال في ميدان المناظرة بكل جدّ وثبات واخلاص ووداعة علَّنا نستطيع ان نبين لهم غلطهم وسوء ضلالهم هذا و بذلك نكون حافظنا على شرف الدين والامَّة وارحنا الضمير وابرأنا الذمة · فاستصوب الجميع هذا الرأْي وعولوا عليه وعينوا للذهاب اليهم ليلة الاربعاء ثامن صفر فابلغوا ذلك المتنصرين فسرّوا سرورًا عظيماً على ان بعضهم اختشى لئلا يكون ذلك كالمكيدة التي دُبّرت على المرحوم عمر فتوكلوا على الله واستعدوا الى ذلك اليوم

بالصوم والصلاة ولما كانت تلك الليلة اجتمع العلماء المذكورون في قاعة أعدت لهم في السرايا ودعوا اليهم المتنصرين المذكورين فحضروا وغب ان اجلسوا وحيا بعضهم بعضاً بامارات الحب المخلص قال القاضي لما رأينا ايها الاحباء ايجاب طلبكم واجباً حضرنا الآن بذات الاخلاص الذي تعهدونه منا للقيام بذلك فاصرح الآن بحرية هذا الاجتماع اي انه لكل من الفريقين المتناظرين الحرية التامة بابداء رأيه والمحاماة عنه ما امكن حسب حق المناظرة وله ان يعترض او يسأل او ينكت انما مع مراعاة حرمة الادب والحشمة —ومن الواجب ايضاً في هذا الاجتماع غض الطرف عن كل هفوة تحدث اثناء المناظرة مما ينتظر وقوعه من قبيل الضعف الانساني غب الاعتراف بها والاستسماح عنها — فتفضلوا ان شئتم يا اخوان قولوا ما بدا لكم

فاجاب الشيخ علي بعدان شكر حضرات العلماء على ايجاب التماسهم وحضرة قاضي افندي على ما فاه به من درر الالطاف وما خوّله من الحرية لهذا الاجتماع بما اننا نحن المعتزلين الدين الاسلامي وحضراتكم الساعون وراءنا لردنا اليه فيكون لحضراتكم ان تسألونا عن علة ذلك وسببه

فقال القاضي حسناً فلتختر كل من الفئتين شخصاً ليتناظر فيما يريدان من المسائل بشرط ان يكون البقية في سكوت ما داما في ميدان المناظرة الى ان يستعفيا او يبدلا او احدهما فاختارت الفئة الاولى قاضي افندي والاخرى الشيخ علي

فقال القاضي اما علة هجركم الاسلامية الى النصرانية فهذا قد سمعناه منكم اكثر من مرّة فلا حاجة بعد للسؤال عنه غير اني اسألك يا شيخ هل لا يستطيع

الرحمن خلاص البشر الاّ بارساله ابنه هذا على فرض ان الله ابناً كما تزعمون ليتخذ جسدنا ويعيش عيشتنا ويُقتَل بأيدي الاشرار الاثمة

اجاب الشيخ علي — كل شيء يستطاع لديه تعالى الاّ مناقضة صفاته وخرق كماله

(القاضي) — نعم ولكن ما تعني بذلك

(علي) — اعني من كونه سبحانه وتعالى عادلاً كما هو قدير فقدرته لا تخرق عدله فاذا رحم يرحم بالحق والعدل

(القاضي) — وهل يُسأَل الله عماَّ يفعل — اذا جرى امرًا فمن يقول له لِمَا وماذا تفعل او هذا عدل او غير عدل او هذا ينافي صفاتك

(علي) — نعم لا يسأَل سبحانه عماَّ يفعل ولكن اعماله لا تتكدّ على كمال صفاته ولكون العدل من صفاته كالرحمة والقدرة لا يمكن ان يجري مرحمة ما الاّ بموجب الحق والعدل — أليس الامر كذا يامولاي

(القاضي) من كل بد وعلى كل حال

(علي) — اذ قد سلمتم حضرتكم بان الله غير المسؤل عما يفعل لا يسبغ مراحمه الا بالحق والعدل فعليه اقول لا يبرر الله الاثيم ولا يخلص الانسان المجرم لديه تعالى الاّ بطريقة الحق والعدل — وما السبيل الى معرفة هذه الطريقة وما الوسيلة اليها

(القاضي) وما حاجتنا الى معرفة هذه الطريقة فسواء عرفناها ام لا يجري الله اعماله بموجب كماله ومطلق سلطانه

(علي) — ان احتياج الانسان الى معرفة طريق خلاصه أبيْن من ان

يبيّن . اولاً ليعرف جود الله الفائق وحبه له ليستطيع ان يحبّه و يشكره كما ينبغي ثانياً لينقدم اليه تعالى بذات الطريقة التي اعدّها له و يدخل الباب الذي فتحه له والاّ فما الداعي لانزاله تعالى كتابه العزيز تماماً على التي هي احسن وهدى ونوراً الاَ ان نفس الكتاب هو اعلان طريقة رحمة الله وعفوه فالقول ما حاجتنا الى معرفة طريق الخلاص هو لعمري كالقول ما حاجتنا الى كتاب منزل من لدنه تعالى

(قاضي) حسنا ان الله سبحانه من حيثية العدل يقاصُّ الخاطئ في هذه الدنيا بالتجاريب والبلايا وان لم يفِ ذلك حق العدل يقاصه زمناً محدوداً في جهنم وفاء لحق العدل ثم يسبغ عليه رحمته فينقذه و يدخله جنات الخلد والنعيم

(علي)— ان ما اتيتم به حضرتكم لا ينطبق على عدله تعالى ولا يوافق حالة الانسان كما سترون وهنا اسأل حضرتكم ما يستوجب الانسان المتعدي دائماً على شريعة الله غير المحدود ولا متناهٍ في العظمة والقداسة

(قاضي)— يستوجب النيران الجهنمية حتى يوفي حق العدل و يحصل ثمَّ على العفو والرحمة

(علي)— قد قلت فيما تقدم ان ذلك لا يطبق على عدله تعالى ووعدت بالبيّنات وهـا اسأل حضرتكم ألا يستوجب المجرم الى الحضرة غير المتناهية قصاصاً غير متناهٍ

(قاضي)— اتعني حضرتكم خلود الخاطئ في جهنم مؤمناً كان او كافراً

(علي)— اعني من حيثيّة استحقاق المجرم لا من حيثيّة كونه مؤمن او كافر

فقل لي حضرتكم هل لا يستوجب قصاصاً غير متناهٍ وهو مجرم بحق الله غير المتناهي

(قاضي) — لا افتكر ان الجرم الى الله سبحانه غير المتناهي يستوجب قصاصاً بلا نهاية بل قصاصاً شديدا مديداً مقدار جرائمه وآثامه والاَّ فاين الرحمة

(علي) — ارجو سيدي امعان البصيرة في هذه المسئلة الدقيقة — الرحمة في عرف اهل اللغة ما هي الاَّ الصفح عن الذنب والعفو من القصاص فاذا عفت الحكومة عن مجرم نقول ذلك رحمة منها ولكن اذا قاصته بالحبس لاجل ما واكمل مدة سجنه ومن ثم اخرج لا نقول انه اخرج من سجنه رحمة او عفواً كلاَّ وعليه لا محل للقول برحمة الله على من قام بقصاص خطاياه وفاءً لعدله تعالى . فاذاً لم نزل في حاجة الى معرفة ينبوع الرحمة الالهية القائمة لا محالة بالعفو لا بالقصاص ولنرجع الى النظر بقول حضرتكم ان الخاطئ بحق الله غير المتناهي لا يستوجب قصاصاً غير متناهٍ فاقول حضرتكم قاضي نقضي على المجرمين فهل في شرعكم يامولاي ان جزاءَ جرمٍ من نوعٍ واحدٍ ضد اشخاص متفاوتي القدر والمقام ينبغي ان يكون متساوياً بالنسبة والمقدار — هل جزاء من يشتم الوالي كجزاء من يشتم السلطان وجزاء من يشتم السلطان كجزاء من يشتم نبي الاسلام

(قاضي) — كلاَّ من يشتم النبي يُقتل ومن يشتم السلطان يجازى جزاءً صارماً دون ذلك ومن يشتم الوالي جزاؤهُ اقل وهلمَّ جرًّا

(علي) — لقد لزمتكم الحجة يامولاي وسقطت دعواكم سقوطاً لانهوض لها منه (قال المفتي همساً نعم واي سقوط) و بيانه اذا كان قصاص الجرم الواحد بحق المخلوقات متفاوتاً بنسبة تفاوتهم في القدر والمقام فعليه يكون قصاص الجرم بحق الذات الالهية غير المحدودة ولا متناهية في الشرف والعظمة بلاحد ولا نهاية ثم اذا كان القصاص واجباً عدلاً عند ولاة العالم المقامين من لدنه تعالى فكم بالحري لدى ملك الملوك وحاكم الحكام · نعم هو رحيم وعادل فكما انه ارحم الراحمين هكذا هو اعدل العادلين واذ ذاك اين الطريقة مولاي لانفجار ينبوع الرحمة مع بقاء العدل غير مثلوم

(قاضي) وحمرة الخجل قد علت وجهه لا يعلم تلك الطريقة سوى ربك الذي يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء

(علي) — لا يؤاخذني سيدي ان قلت ان قولكم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء مباين جداً لقولكم السالف ان الخاطيء بعد ما يقوم بقصاص ذنوبه في جهنم وفاء للعدل يرحمه الله و ينقذه الى آخر القول لان المغفرة ماهي الا المسامحة بالذنب والعفو عما يستوجبه المذنب من القصاص · اما تلك الطريقة اي طريقة اتفاق العدل والرحمة في الله سبحانه فمن المعلوم ليس في وسع العقل الانساني استكشافها ولذلك سبحانه من فرط لطفه اعلنها لخلقه المذنبين في كتاب مبين

(قاضي) — هات بيان ذلك ان استطعت

(علي) — لاخفى سيدي ان التوراة تنبيء جلياً وتشير الى هذه الطريقة

الالهية العجيبة والانجيل يخبر بكل جلاء ووضوح عن صيرورتها ولانه ليس في وسعي الآن سرد ما جاء في التوراة بهذا الخصوص اجتزئ بان اقول انها تنبئ كثيراً عن هذه الطريقة التي هي المسيح الفادي للبر لكل من يؤمن بجلاء وصراحة مدهشتين لا سيما ما جاء في نبوَّة اشعيا في الاصحاح التاسع والاصحاح الثالث والخمسين ففي الاوَّل تصفهُ وصفاً عجيباً ولداً وابناً ورئيساً مشيراً عجيباً الهاً قديراً ابًا ابدياً رئيس السلام وفي الآخر انه ضرب لاجل ذنب شعبه وانه مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا والرب وضع عليه اثم جميعنا . الى ان يقول جعل نفسه ذبيحة اثم بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . وتعين زمان مجيئه وطريقة ولادته ومكانها ونسبه واعماله والمقاومة التي سيصادفها من شعبه ونوع موته وغايته ونتيجته كما تقدم . وتشير اليه بانواع الرموز والكنايات الامور التي لو نزعت من التوراة لكانت حرفاً بلا معنى كبيدر قش خالٍ من الحنطة

(قاضي)—لا جرم انك متيقن سلامة التوراة من التحريف والتغيير ولذا نترك الآن البحث بهذا الشأن واقول ما الرموز في التوراة الى عيسى المسيح كفادي الخطاة

(علي)—هي كثيرة ومتسعة اجتزئ منها بذكر ما اجلُّها وهو رسم الذبائح الدموية ضحايا لله ككفارة عن الخطيَّة وكون هذه العادة جارية من عهد ابينا آدم وقد تداولها كل الآباء الصالحين حتى موسى كما لا يخفى الذي أُنزل عليه في التوراة رسوم تلك الضحايا المتنوعة والتعليم بكون وضعها انما هو كفارة عن الخطيَّة وكلها ولا سيما ذبيحة يوم الكفارة عاشر تشرين اوَّل وخروف الفصح تشير الى حمل الله رافع خطية العالم الذي كان عتيداً ان يأتي ويسفك دمه قرباناً لله فداء الانسان كما انبأ انبياء الله القديسون . والآن هل يسرّ

الله بسفك دم الحيوانات واحراقها و يرتضي بها كفدية عن نفس الانسان وهل من العدل ان يقاص الحيوان عن الانسان والبهيم عن العاقل والزائل عن الخالد · هذا ولدى اختبار عوائد الامم في كل الاقطار نرى ان اجل واهم انواع العبادة عندهم تقديم الضحايا الدموية لآلهتهم الباطلة حتى من فرط اعتبارهم ذلك آل الامر بهم الى تقديم الضحايا البشرية لتلك المعبودات الباطلة · وبما ان ذلك خارج كما لايخفى عن دائرة الاستنباط البشري يُستَدل به عن اتصال هذه العادة اليهم بالتداول من السلف الى الخلف وكونها في الاصل وضع الهي · ثم وكيف يعلل عن تعميم هذه العادة عند ام العالم مع اختلاف لغاتهم وعوائدهم وعن غاية المولى سبحانه في اعطاء هذه الرسوم الاَّ وانها تشير الى ما هو اهم واسمى بما لايقاس ولدى مقابلتها مع نبوَّات الله واعلانه في التوراة والانجيل تجلى لنا غايتها وهي الاشارة الى فادي الخطاة والى دم كريم كان عتيداً ان يسفك فداء العالم

فاومأ من ثمَّ القاضي الى الشيخ عبد الحميد ان يأخذ عنهُ قليلاً في المناظرة فقال ذالك من ينكر قدمية هذه العادة وكونها في الاصل وضعٌ الهي ولكنني ارى من الجسارة البحث عن علة وسبب اعطاء الله هذا الرسم للانسان

(علي) — لمّا كان سبحانهُ لا يأتي امرًا ولا يشرع شرعاً بدون سببٍ وغاية وكان حق للعقل الموهوب من لدنه تعالى للانسان البحث عن سبب وغاية كلما يعرض لهُ من المحسوسات ساغ لهُ لامحالة محاولة الاستطلاع على سبب وغاية اعطاء الله هذا الرسم للانسان

(عبد الحميد) — حسناً وكيف يمكننا ان نفسّر تلك الرسوم على نحو ما ذكرت لانه ربما كان السبب والغاية فيها لديهِ تعالى خلاف مايفتكر زيد و يفسّر عمرو

(علي) -- نعم ليس في امكان العقل البشري ان يدرك بذاته العلة لاعطاء المولى جلّ شانه رسم الضحايا الدموية ولا المراد بها كما توّهت قبلاً وانما ذلك لا يقيّد العقل عن التفكر به والجزم بانهُ لابدّ له من غاية كبرى عند الله واضعه ومحاولة التوصُّل الى الاطلاع على تلك الغاية · واذ لابد ان يدركه العجز عن بلوغ المنى يلتمس الارشاد من علة العلل الذي لما كان قصده بتلك الرسوم تدريب العقل واعداده الي المسيح لم يتركها بدون سند لتبيان المراد بها بل اعلن كما تقدم ذكره في كتابٍ مبين العلة الموجبة لاعطائها والغاية المحوية فيها · فبأي مسوّغ شرعي يحق الاغضاء عنها والاكتفاء بالقشر دون اللُّب و بالعرض دون الجوهر الاَّ ان ذلك من الحماقة التي لا تليق بالعاقل البصير

قال القاضي دعونا الآن من هذا الحديث واسمحوا لي ان اسأَل الشيخ علي هذا السؤَال · ياشيخ ان الله واحدٌ احدٌ فردٌ صمدٌ فمالكم تقولون آب وابن — أَيلد الله· حاشا وانى يمكن التوفيق بين التعداد والوحدة ذلك لعمري من ضروب المحال

(علي) — أيعلم ذات الله سبحانه سواه

(قاضي) كلاَّ لا يعلم بذاته سبحانه الاَّ هو منزَّهٌ عن الكيف والكم ولماذا ولم _ اسمى عن ان يتصوَّر في الاذهان وابعد عن ان تدركه الافهام او تكيّفه الالباب

(علي) — حسناً فاذا كان لا يعلم ذاته سبحانه سوى ذاته ولا يعرف ما هو الاَّ هو فانّى يحق لنا انكار ما قد اعانه لنا عن ذاته بداعي عدم صلاحية تلك النسبة لجلاله تعالى · وما ادراك ان ما عقله الانسان عن ذاته تعالى هو ناقص لامحالة و يحتاج الى تكميل باعلان خاص من لدنه جلّ وعلا

(قاضي) — اين اعان الله انه واحد في ثلثة وثلثة في واحد وهل الحكيم

الرحمن يعلن للانسان ما يضاد قوى عقله

(علي) —ليس يامولاي في تعليم التوحيد والتثليث في الله عز وجل ما يضادالعقل وليس من المحال ان الله العجيب الفائق ادراكنا والبعيد عن تصوُّراتنا يكون جوهرًا واحدًا في ثلثة اقانيم فعدم امكان العقل ادراك كيفية واحد في ثلثة وثلثة في واحد لا يجعل ذلك محالاً كيانه فمن قد تعالى وسمى عن خالقه سموًّا بلا حد ولا قياس · هذا وانَّا نرى في بعض مخلوقاته ما يقرب الى عقولنا فهم هذه الحقيقة الالهية من ذلك الشمس · فالشمس واحد في ثلثة اي جرمٌ وشعاع وحرارة وليست هي ثلاث شموس بل شمس واحدة · والانسان ذو نفس وجسد وهو واحد لا اثنان ومع كون الامر فينا واقعاً تحت حواسنا لا نستطيع ادراك كيفيته فكيف نستطيع ان ندرك كيفية من قد تفرَّد عن براياه سبحانه ماعلى شانه — وقولك اين اعلن الله انه واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد · فاجيب لم يعلن ذلك حرفياً على هذا النسق غير ان اعلان التثليث والتوحيد في التوراة والانجيل على طرق وانواع شتى ابين من ان يبين · واظن اكثرها لا تخفى فضيلتكم لاسيما قول المسيح لتلاميذه «وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس» «آه» فلما انتهى من ذلك كان سكوت بضع دقائق والقاضي قابض على لحيته وقد علا وجههُ اللطيف حمرة الانحصار

قال المفتي التمس من حضرة قاضي افندي الرخصة بالتكلم قليلا مع الشيخ علي قال تفضل — لاخفي حضرتكم قوله تعالى في القرآن الشريف «قُلْ هوَ اللهُ أَحدٌ أَللهُ الصمَدُ لَمْ يلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لهُ كُفُوءًا أحدٌ» ومعشر النصارى تعتقد ان الاب والد والابن مولود ولذلك قالوا اب وابن

وهذا يقضي بالحدثية كما لا يخفى لان القول بالولادة يستلزم حدوثها في وقت ما وعليه لا يكون عيسى المسيح سوى مجرد مخلوق حادث لا الهاً ازلياً كما يزعمون . والقول انه اله من اله وجوهر منه تعالى هو من غريب الخبط والخلط مناف لقوله تعالى ولذوق العقل . بناء عليه لا أُصدق ان هذا التعليم جاء في كتابه تعالى بل هو لا جرم مدخل عليه من ذوي الاوهام والوساوس

(علي) — اما الزعم بان تعليم التثليث في الله مناف للعقل فهذا قد دحضته في جوابي السالف فلا حاجة الى مراجعته وقولكم انه مدخل على الكتاب فهل في مقدرة انسان ما اثبات هذه الدعوى . ومطالع الكتاب بوقار واخلاص يرى ان هذا التعليم حقيقة راهنة فيه وراسخة بهذا المقدار حتى لا يمكن دحضها الا بدحضه ان امكن وهو محال ولا خفي ان هذه الحقيقة ترى من اوّل وهلة في الكتاب وفي اول فصل فيه بقوله تعالى نعمل الانسان كشبهنا وان قلتم ذلك من قبيل التعظيم دُحض قولكم بقوله تعالى « هو دا الانسان قد صار كواحدمنا عارفا الخير والشر » ففي ذلك كما لا يخفى دليل على وجود اقانيم في ذاته تعالى — واسفار الانبياء تصف المسيح على انواع شتى كرب وملاك العهد وملك الملوك وعلى الخصوص النبي اشعيا فانه يصفه وصفاً غريباً قاطعاً كل ريب بالوهيته ومطلق سلطانه بقوله « لانه يولد لنا ولدٌ ونعطي ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً ابًا ابدياً رئيس السلام لنموّ رئاسته والسلام لانهاية (اش ۹ : ٦ و٧) فلو كانت التوراة يا افندي توراة النصارى ربما كان لزعمكم رواجٌ ما ولكنها لحسن الحظ توراة امة تنكر ليس فقط الوهية المسيح بل ارساليته من الله واي ارب لليهود بادخال تعليم غريب كهذا على توراتهم

فقد اتضح ان هذا التعليم هو اعلان الله لا ريب فيه وما الانجيل الاخبر اتمام الله اقوال انبيائه القديسين بخصوص ابنه الوحيد الذي جاء وكمل كل شيء بسكبه للموت نفسه فداء نفوس المؤمنين · والتسمية اب وابن وان دلّت على الولادة هي على خلاف عادة المخلوقات وخلاف ما يخطر في بال الانسان غير قابلة التكييف والتنويع · والقول انه كان مولوداً قبل كل الدهور لا يدل على حدوث ذلك في زمن ما بل يراد به كما لا يخفى ازليّة الابن كالاب ولا محل للقول كيف وكيف وهو مثل قولنا الحرارة مولودة او متولدة من الشمس والكتاب والعلم يفيد اننا انه حين وجدت الشمس وجدت حرارتها في آن واحد ولا يبعد ان الله سبحانه سمّى لنا اقانيمه هكذا لنفهم على وجه قياسي الحب والالفة والوحدة الكائنة في ذاته تعالى · نعم ان هذا التعليم الالهي عسر قبوله وهضمه لمن قد ربي ونشأ على تعليم آخر ولمن لم يتدرب جيداً بكتابه تعالى غير انهُ لحسن الحظ ايضاً يوجد على نوع ما اتحاد يعتبر بين الكتاب والقرآن في مسئلة التثليث والتوحيد

(المفتي) — عجباً لقولك هذا أَفي القرآن مثل هذا التعليم

(علي) — نعم موجود

(المفتي) — هات ارنا ذلك ولك الفضل

(علي) — انظر ما جاء في سورة آل عمران (آية ٤٠) إِذْ قالتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمَ إِنَّ ٱللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينْ » فلا خفى حضرتكم ان

القول يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح يبين لا محالة شخصية الكلمة وذاتيتها وكلمة منه دليل راهن ان المولود من مريم ذات من الله عزّ وجلّ . وهذه التسمية والنسبة هي نفس ما جاء في الانجيل ان المسيح كلمة الله كما ترى في انجيل يوحنا « ١ : ١ و١٤ » وفي سفر الرؤيا « ١٩ : ١٣ » حيث يقال « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا — وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله والمراد من ذلك ان الكلمة المتجسدة من مريم هي ازلية جوهر من جوهره تعالى والقول كان عند الله وكان الكلمة الله يدل في الاول كونه اقنوماً في الله وفي الثاني انه جوهر من جوهره وذاته تعالى . وما يستحق الاعتبار هو مع ان لفظة كلمة هي من صيغة التأنيث تذكر في كل من الانجيل والقرآن لدى الكلام عن التجسد بصيغة المذكر دلالة على الشخصية الجوهرية لا العرضية فما الفرق اذاً ليت شعري روحياً بين القولين (اه)

حينئذٍ تعدل في الجلوس الشيخ عبد الحميد وقال التمس من حضرة مفتي افندي ان يسمح لي ان اقول شيئاً لجناب الشيخ علي — تفضل — الا تعلم حضرتكم انه لا يستطيع تأويل القرآن الا الله والراسخون في العلم واذ ذاك فلا يسوغ لنا اقتحام هذا الامر الخطير بل الاجدر بنا الاعتماد على تفاسير اشهر الائمة كالامام البيضاوي والرازي رضي الله عنهما . والاحرى بنا الاقتصار على ما انزل فيه بخصوص عيسى عليه السلام « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » اي هو انسان وليس الهاً كما يزعم النصارى

وايضاً كما ترى في سورة المائدة «وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» الى آخر الآية ١١٧ ·

(علي) — لا خفي سيدي ما خلق الانسان عاقلاً الاّ ليعقل مالديه ويفرق بين الحق والباطل والجيد والردي وحاشا لله ان ينزل وحياً لا يفهم الا من افراد من انزل اليهم · اذا كان الانسان لا يرسل لانسان آخر كتاباً ما الا ويستطيع فهمه قصد العمل بموجبه · فكم بالحري الرحمن عزَّ شأنه لا يوحي الى خلقه الاّ ما امكنهم فهمه والاّ كيف يمتثلون ويطيعون ما لا يفهمون المراد به· وتفسير بعض العلماء لكتاب موحى به من الله لا يكون وحياً واذ ذاك فلا يعتمد عليه لانه ربما اخطأوا بتفسيره في امور كثيرة فالمرجع اذاً الى الكتاب الموحي به والمعتقد بانزاله وعايهِ لا تغنينا تلك التفاسير مهما كانت جيدة عن استعمال عقولنا السليمة في فهم وادراك المراد بذلك الكتاب · ولا نقدر ان نحمل المفسر مسأوليتنا لله تعالى في كف العقل وعجزه عن تفهم كلامه اذ الغاية الكبرى في منحنا اياه هي ادراك وجود واجب الوجود ومعرفة مشيئته وقصده تعالى في ما اوحاه الينا — نعم يلزم الانسان معرفة قواعد اللغة المكتوب فيها ذلك الكتاب ليفهم كلامه من حيثية الاعراب والفصاحة التي لا ينكر انها تساعد على ادراك معنى الكلام · غير ان معظم الحاجة اليها في ما هو اوفر اشكالاً واكثر ابهاماً وهو نادر ويمكن الاستغناء عنه انما اكثر سور القرآن وآياته مفهومة لدى العاقل الفطن واي كلام اجلى وابين من الآيات

التي نحن بصددها في ما يختص بالمسيح ابن مريم وهي تحاكي مثلاً قولي لابني الصغير اللبن من الشاة والثمر من الشجر فهل يحتاج لفهم كلامي علماء راسخون يفسرون له كلامي حسب قواعد اللغة . لا لعمري وهكذا القول ان عيسى المسيح بدون اب بشري وانه كلمة من الله وروح منه يستطيع فهم المراد به كل مسلم سالم العقل حرّ الفكر . وهل يجدر بالعاقل الاكتفاء بالهمهمة والدمدمة في تلاوة القرآن بدون مراعاة قوى عقله في فهم غايته ومعناه منزلاً نفسه منزلة الببغاء التي تتكلم ولا تفهم ما تقول . وكيف اذاً يؤمن المسلمون في هذه البلاد الايمان الصحيح بالله واليوم الآخر وهم لا يفهمون القرآن كون اكثرهم ليس فقط غير راسخين في العلم بل اميون لا علم لهم — هذا واقول من قبيل الجسارة اننا ايها الفاضل ذوو علم ودراية وافية في كنه اللغة وآدابها وعندنا تفاسير الامامين اللذين ذكرتهما ولكن نغض النظر عن تفاسير ذينك العالمين ونقول لماذا لا يجوز لي ولك مثلاً استعمال عقولنا في فهم القرآن وتفسيره كاولئك الغابرين — ثم ان نسخ في بعض آيات القرآن الوهية عيسى المسيح فذلك لا يسلبنا حقنا التمسك او بالاقل محاولة الوقوف على مفاد هذه الآيات الثمينة المنطبقة على مفاد التوراة والانجيل دون تلك (اه) حينئذٍ قال المفتي للشيخ عبد الحميد ا- رجاكم سيدي اسمحوا لي بالرجوع الى المناظرة مع الشيخ علي . ارى ياشيخ قد تجاوزت الحد في تأويل قوله تعالى حتى طبقته على مفاد انجيل النصارى من خصوص قوله بالوهية عيسى والحال بيان ان مراده تعالى بالآية خلاف ذلك لانه وان يكن الضمير (في منه) راجعاً لله لا يفيد كون ذلك على سبيل الحصر ان الكلمة عيسى المسيح ذات من ذاته بل موجد منه لا

جوهر من جوهره ولا ذات من ذاتيته · كيف ترى

(علي)— لو كان المراد بالآية كما قلتم لما اقتضى لكيانها على هذا النسق بل كانت على نسق ما بشر الله ابراهيم بابنه اسحق وما بشر بهِ الملاك زكريا « إِذْ قَالَ ضَيْفُ إِبْرَاهِيمَ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ » سورة الحجر (آية ٥١) ولزكريا « فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينْ » سورة آل عمران (آية ٣٧) وانما اذ كان المبشر به لمريم ذات من ذات الله سبحانه وجوهر من جوهره قيل في القرآن يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه لا بغلام عليم ولا نبي من الصالحين كما بشر زكريا وابراهيم فما اسمى الفرق بين هذه البشرى وتلك وما يؤيد ذلك ايضاً ما جاء في سورة النساء إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ » اي رسول يا ترى نُسب هذا النسب ولم تكتفِ الآية بنعته بالرسالة بل ابانت لما انه كلمة الله ولكي لا نوهم خلاف المقصود بلفظة كلمة الله اتبعتها بما يزيل كل اشكال وهو « روح منه » لكي نفهم ان عيسى المسيح ليس هو كرسول اعتيادي بل كابن مرسل من لدن ابيه الى عالم الدنيا · هذا هومفهوم هذه الآيات القرآنية طبقاًلمفاد الانجيل قُصد بها ذلك اولم يقصد · فما الفرق ليت شعري بين القول جوهر من جوهر الله او روح منه او روح الله كما ورد في الحديث في كتاب الامام الغزالي « جزء ٣ وجه ١٦٦ الا ان ذلك شيءٌ واحد وما يزيد ذلك تأييداً ولادته على خلاف مجرى الطبيعة دون كل البشر

فمن كان هكذا بلا اب بشري وله هذه النسبة السامية الى الله دون كل الانبياء والمرسلين الا يحق ان يقال له ابن الله كما جاء في الانجيل — واسمحوا لي ان ابدي لديكم ما قاله لي مرّة احد علماء المسيحيين منذ نحو اربع سنوات في اثناء محاورة جرت بيننا بينما انا اتكلم في فضل محمد على سائر الانبياء والمرسلين وانه سيد ولد آدم كما جاء في كتاب الامام الغزالي جزء اول وجه ٣٥٥ وجزء ثالث وجه ١٦٢ ضحك فقلت ما اضحكك قال لا شيء قلت لا بالله تخبرني السبب قال اضحكني الغرض الاعمى الذي لا يدع صاحبهُ يبصر الاَّ ما كان لجهتهِ قلت اتنسب لي الغرض يا ذمي . فما تغرضي قال تفضيلك محمد على سائر انبياء الله وجعله سيد البشر خلافًا لمفاد قرآنكم وحديثكم اللذين يرفعان عيسى المسيح درجات فوق سائر الانبياء والمرسلين قلت هات بيان ذلك ان كنت من الصادقين قال ان لذلك ست بينات اربع من القرآن وثنتان في الحديث — جيد اورِد لنا ذلك قال اما القرآنية فهي

(الاولى) انه يدعو عيسى المسيح كلمة الله وروح منه ومحمدًا رسولاً من الله وعلى كل روح الشخص افضل من رسوله بما لا يقاس

(الثانية) ولادته على خلاف ناموس الطبيعة الامر الذي يجذب فكر الحاذق البصير الى القول بانه لو لم يكن هذا الشخص عجيب النسبة لله وفائق الشرف البشري لما حُبِل به على هذا النوع العجيب

(الثالثة) اجتراحه معجزات لم يسبقه ولا خلفه فيها نبي او مرسل

(الرابعة) عدم التصريح والتلميح بان عيسى المسيح أَثِمَ في شيء ما ومع ان القرآن يذكر استغفار اعاظم الاباء والانبياء كنوح وابراهيم وموسى وداود

وسليمان وغفران الله لهم وغفرانهُ لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووضعه عنه وِزْرَهُ الذي انقض ظهرهُ سورة الفتح (آية ٢) وسورة الم نشرح (آية ٢و٣) ولم يذكر قط ان عيسى المسيح استغفر ربه استغفارًا ما او ان ربه غفر له فيتضح من ذلك ان عيسى المسيح شخص منفرد لا محالة عن كافة الانبياء بالذات والكمال وافضلهم جميعاً

واما الحديثيَّة (الاولى) ما جاء في كتاب الحديث للامام مسلم في الجزء الخامس وجه ١٢٦ عن محمد انه قال يوماً لعائشة « ما من مولود يولد لابن آدم الا نخسه الشيطان عند ولادته فيستهلُّ صارخاً من نخسة الشيطان الا ابن مريم وامه » فعليه يكون الشيطان نخس جميع الانبياء عند ولادتهم ومن الجملة محمد الا المسيح وامه . فعلى كل يكون عدم تجاسر ابليس الرجيم من مسه دليل سموّه الفائق على كافة الملا اخيارًا واشرارًا

(الثانية) ما روي في كتاب الامام الغزالي جزء ثالث وجه ١٣٧ لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت قد اصبحت الاصنام منكَّسة الرؤوس فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى اتى خافقي الارض فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافّين به فرجع اليهم فقال ان نبيًّا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الَّا انا حاضرها الَّا هذا . فأَيسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفَّة . فهذه القضايا الست في صحفكم الدينية جديرٌ بها ان ترفع منزلة المسيح في قلوبكم درجات فوق محمد . بل ايضاً ان توجّه افكار كل مسلم عاقل نظير حضرتكم الى التأمل بهذه الامتيازات الغريبة العجيبة

التي امتاز بها المسيح عيسى عن كل بني آدم وتجذبه من ثمّ للسؤال العادل لماذا يا ترى خصّ ابن مريم بهذه الامتيازات الغريبة وما السرّ في تسميته كلمة الله وروحه وما هذه النسبة الالهية وما علة ولادته من دون اب بشري واحفافه بجيش من ملائكة الله كي لا يدنو منه الرجيم وما سبب عصمته من الخطاء والاثم دون جميع البشر . هل يسلّم العقل ان هذه الامور بلا طائل لا لعمري . نعم يا سيدي لا تجدون في القرآن بيانًا لعلة هذه الامتيازات العجيبة غير انه يدلكم على الكتاب التوراة والانجيل اللذين انزلهما الله نورًا وهدًى على طائفتي اليهود والنصارى الكتاب هو ولا سواه يتكفّل باعطاء الجواب الشافي لهذا السؤال . فنحن ممنونون لمحمد على هذه الشهادة الثمينة والحق اقول لك ياسيدي الشيخ لو كنت مسلمًا نظيرك لما كنت اقدر ان اجد بداً عن هذا السؤال لدى اطلاعي على هذه القضايا المهمة ولا كنت اجد راحة افكري الاّ واحصل على جواب له يروي الغليل . والعجب كيف ان كثيرين من علمائكم يتغاضون عن مثل هذه القضايا الكليّة الاهمية ملقينها وراء ظهورهم كأن الاغضاء عنها هو الجواب الفاصل لها . قلت يكفي ياذمي وأعدك اني سأنظر في ذلك ان شاء الله . ثم افترقنا وقلبي ملتهب من جراء متانة تلك الحجج التي حقًّا قد اثّرت فيّ تأثيرًا كليًّا وشغلت عقلي زمانًا وكأني بصوت مستمر يناديني ما ترى يا علي ما فكرك في هذه القضايا ما سرها وعلتها

قال حسن افندي العطار استرخص من حضرة مفتي افندي ان شاء اتكلم شيئًا . اجابه تفضل — قد استوعبنا مقالتك يا سيدي الشيخ فاقول نعم ان القضايا المشار اليها لا تخلو من علة وسر مجهولين لا يعلمها الاّ الله وحيث لم

يعلن ذلك في القرآن فالأسلم ترك الامر لله واما ان نعتمد في ذلك على الكتاب بنـاء على شهادة الرسول له فهذا لايسوغ بعد ما لعبت به ايادي المحرفين والمفسدين · قال الشيخ احمد عبد الهادي لا ريب ان الشيخ علي قد تعب فليته يسمح لي ان اجاوب عنه جناب حسن افندي · قال ذلك اليك · قال قد برهن الشيخ علي في مناظرته مع حضرة مفتي افندي بوجيز العبارة عدم تحريف التوراة وعدم تحريفها يقضي بعدم تحريف الانجيل لاتفاقهما معاً في القصد والغاية كما لا يخفى المدقق النبيه ومع ذلك لا بأس من الجولان ايضاً قليلا في هذا الباب كون بالاعادة افادة و بتكرار جر الحبل زيادة التأثير فقل ان شئت ما دليل تحريف الكتاب — قال ان لتحريفه عدة ادلة منها (اولا) قوله بالوهية عيسى عليه السلام حال كونه انساناً تحت الآلام نظيرنا جاع وعطش وتعب وحزن وتألم واستغاث ومات حسب زعمه ·

(ثانياً) انكار اليهود ذلك حال كونهم اهل الكتاب فلو اخبرهم اياه كتابهم لما وسعهم انكارهم اياه

(ثالثاً) وجود تناقض عديد فيه فانك كثيرًا ما ترى قصة تناقض قصة وآية تناقض آية

(عبد الهادي) ارجوكم ان تذكروا ما شئتم من هذه المناقضات وفيما بعد اقدم ان شاء الله لجنابكم الجواب عن هذه الادلة الثلث

(حسن) اقتصر على ذكر بعض مناقضات الانجيل منها — ان متى يذكر اعميين عند اريحا سألا يسوع البصر ومرقص ولوقا يذكران اعمى فقط ومتى يقول ان المسيح لما قرب من بيت فاجي ارسل تلميذين من تلاميذه

ليأتياه باتانٍ وجحش معها وانهما فعلا ذلك وركب عليهما يسوع — وفي مرقص ولوقا جحشاً فقط وفي سفر الاعمال في فصل ٩:٧ يقال عن بولس رسول المسيح في تجلي الرؤيا عليه على طريق دمشق «واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احداً» وفي فصل ٢٢ : ٩ يقول، عن فم بولس والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني · ويقول في رسائل بولس ان التبرير بالايمان فقط لا بالاعمال وانه باعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرَّر امامه وان ابراهيم وراحاب تبرَّرا بالايمان وفي رسالة يعقوب يقال« ترون اذاً انه بالاعمال يتبرَّر الانسان لا بالايمان وحده وان ابراهيم ابانا تبرَّر بالاعمال وكذا راحاب »وهذا يكفي للبصير ليرى ماقد اعترى الكتاب المقدس من التحريف والتغيير حتى اضحى هكذا يناقض بعضه بعضاً فكيف سأَل المسيح اعميان بل اعمى واحد · وكيف ركب حيوانين بل حيواناً واحداً وكيف سمع اولئك الرجال الصوت ولم يسمعوه ونظروا ولم ينظروا وان البرّ بالايمان فقط لا بالاعمال وبالاعمال والايمان — لعمري ان هذا الخلط الغريب من اعظم الادلة على تحريف الكتاب

(عبد الهادي) اما قول الانجيل بالوهية عيسى فهذا قد استوفى الكلام بشانه فيما قد جرى من الحديث بين حضرة المفتي والشيخ علي واستبان ان التوراة والقرآن يشهدان له بهذه النسبة الالهية شهادتين مستوفيتين الواحدة سابقة والاخرى لاحقة كتابي امتين لا تعتقدان بشيءٍ من الوهيته فلا حاجة لمراجعة ما قد بدى ووضح · فقط عليَّ ان اجيب جنابكم على مسئلة كونه كانسان كان تحت الآلام نظيرنا جاع وعطش وتعب الى آخر القول — فلا خفاكم

سيدي ضرورة ظهور هذه الأَعراض فيه برهاناً لتمام انسانيتهِ كمان معجزاته الخارقة وكماله وسموّ طهارتهِ وصلاحهِ وعلمهُ الماضي والحاضر والمستقبل هو برهان لاهوتهِ . وهذا كما لايخفى ممكن لدى مَنْ كل شيءٍ ممكن لديهِ وهل من اعتراض على الله عزَّ وجل اذا شاء ان يتخذ بابنهِ الوحيدصورة عبد لاجراء امر خطير لم ترَ حكمتهُ الالهية اجراءهُ بدون ذلك— اما نكران اليهود الوهية المسيح الذي اعتبرتموه حضرتكم دليلاً على تحريف الكتاب فهو كما لا يخفى من الادلة الراهنة على عدم تحريفهِ كما قد المع الى ذلك الشيخ علي فيما سلف لانهُ لو سمح للبشر بتحريف الكتاب حسب اهوائهم لكان اليهود لا ريب حرَّفوا وغيروا الآيات النبوية التي تنبي عن المسيح كالهٍ وانسان واصفة اياه وناسبتهُ ذات الصفات والنسبة المعلنة في الانجيل لا سيما ما كان بخصوص رفضهم اياه و بيعهِ بثلاثين من الفضة واماتته . و بالاقل كانوا اعتمدواذلك بعد انتموا كل شيءٍ من جهة رفضه وصلبه . ولكن لحسن الحظ لم يمدوا يدهم قط لمحووتحريف اصغر نبوَّة بخصوصه بل لم تزل في توراتهم كما أُنزلت شاهدة على شر كفرهم به و برهاناً للامم انها محفوظة بقدرة من انزلها رغماً عن اهواء الانسان وفساده فمن بعد كل هذا من يقول بتحريف التوراة ولا يأْثم الى منزلها تعالى

اما القضايا التي اعتبرتموها حضرتكم مناقضات ومن ثم اتخذتموها دليلاً لتحريف الانجيل فاقول

(اولاً) ان هذه المذكورات ليست هي في الامور الاوليَّة التي عليها مدار الايمان المسيحي

(ثانياً) لدى التدقيق فيها لا تُرى البتة مناقضات كما سترى فالاعميان

في متى لا ينفيها اعمى مرقص ولوقا ولا احدهما · وانما ذكر البشير الاول اثنين والبشيرين الآخرين واحداً · فكما يتحصل من العقل ان احدهما كان اكثر شهرة او ربما هو المتكلم فقط فاكتفى كل من مرقص ولوقا بذكر الاشهر وهذا لا ينفي انه كان معه آخر · ومثل ذلك الاتان بالجحش فان المقصود الجحش انما يرجح لكونه كان رخصاً غير مروّض لزم احضار امهُ معه وان المسيح تارةً كان على الاتان واخرى على ابنها · ولما اشرف على اورشليم كان راكباً على الجحش فاكتفى البشيران مرقص ولوقا بذكر ما هو اكثر اهمية وقصداً وهو الجحش بخلاف متى فانهُ رأى التدقيق في هذه القضية ولا مناقضة بينهم — ومسئلة رؤيا بولس فهي خلاف ما يوهم الانسان بها من اوّل وهلة لان في القضية الاولى يقول يسمعون الصوت ولا ينظرون احداً وفي الاخرى نظروا النور ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني · فيظهر لدى التمعن في هاتين القضيتين انهم في الاولى سمعوا صوتاً مبهماً كالصوت الذي جاء من السماء جواباً للمسيح في اورشليم فسمعه الحاضرون ولم يفهموه و بعضهم لم يميّزهُ عن الرعد (لاحظ يوحنا ١٢ : ٢٨ و٢٩) ولم يسمعوا صوت الذي كلمني في الثانية اي لم يسمعوا الكلام ولم يفهموا كلمة ما من هذا الصوت · فكأنه بالنظر الى ذلك هو عدم سماع « ولم ينظروا احداً » ونظروا النور فلا يرى في ذلك شبه التناقض كون النور مادةً لا شخصاً «والاحد» هنا يدل على الشخصية لا على المادية — هذا وهب ان بياني هذا غير مروٍ اسأل حضرتكم هل ترون في شبه المناقضات هذا ما يدل على تحريفه من اصله او على قصد لهم في جعل الآيات المتنوعة على هذه الكيفية

(حسن) كلاً لأنه لو قصد منهم ذلك لكانوا بالاولى ازالوا مثل هذا الاشكال

(عبد الهادي) دمت سالمًا سيدي واذا كان اهل الكتاب ما قصدوا تحريفه هكذا على نوع يجلب لهم هكذا متعوبية فيكون ما يوجد فيه من شبه التناقض دليل بقائه على ما أُوحي به وما كتبه الرسل الملهمون · وعن مسئلة الخلاف الظاهر بين بولس ويعقوب اقول لاخفي ان هذا الخلاف هو ظاهري فقط لا معنوي وهو ناشٍ عن اختلاف افكار المكتوب اليهم منهما فكما يرى من فحوى رسائل بولس الى رومية وغلاطية ان افكار المؤمنين في هاتين البلدتين ان الانسان يتبرر لدى الله باعماله لا سيما الاعمال الناموسية حسب التوراة او بالايمان والاعمال معاً · فكتب لهم الرسول ما كتب بياناً ان الانسان فاسد بالطبع ومجرم الى الله واذ ذاك كان محكوماً عليه من الناموس وكيف الناموس يبرره من ذنوبه وجرائمه المكتوبة في دفتر علمه تعالى وان الخلاص من الخطية ونتائجها هو فقط بعفو الله ورحمته لا باستحقاق الانسان الاثيم · وان التبرير من دين العدل انما هو بالوفاء وهذا الوفاء قد حصل بالفداء الشرعي بدم حمل الله الذي قُدّم لله بلا عيب لاجلنا لكي يبرر كل من يؤمن به · فقال لهم ان الانسان يتبرر بالايمان لا بالاعمال بخلاف الذين كتب اليهم يعقوب اذ كان قد شاع بينهم ان الانسان يخلص ويتبرر من جرائمه بمجرد الايمان بدون لزوم الى التقوى والطهارة وانه لا حرج على المؤمن مهما فعل وارتكب من اعمال الفظاعة والقساوة ناسين ان ايماناً كهذا هو ميت في ذاته وليس هو بالحقيقة ايماناً · فكتب اليهم الرسول مبيناً شر غلطهم هذا وموضحاً لهم ان التقوى

بحفظ وصايا الله هي دليل الايمان بالله بقوله « ارني ايمانك بدون اعمالك (اي ان ذلك غير ممكن) وانا اريك باعمالي ايماني (يع ٢: ١٨) اي ان الاعمال شاهد الايمان ودليله فالايمان بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب ما هو الا التصديق القلبي والتأكيد اليقيني بهذه الحقائق . والاعمال الصالحة هي ما قاد اليه هذا الايمان فالايمان بالله ينشيء حب الله ومخافته وهذه تجعل من كانت فيه تقياً لا محالة . وعليه كتب ما ترون ان الانسان يتبرر بالاعمال لا بالايمان وحده اي بالايمان الحيّ العامل بالمحبة كما يقول بولس فيكون الايمان هو الاصل والاعمال هي الاثمار ومامن ثمر بدون اصل . فالله يبرر من كان مؤمناً ايماناً حياً منشئاً في قلب ذلك المؤمن حب الله . فمؤمن كهذا ان مات دقيقة ايمانه بدون عمل صالح في سالف حياته يخلص بايمانه وان عاش في الدنيا يسير مع الله بايمانه . فترون لا خلاف حقيقي بين القولين بل الخلاف الظاهري ناشِ كما قلت من خلاف رأي كل من المكتوب اليهم وهذه الحقيقة تزداد وضوحاً وبهاءً لعيني قاريء كتاب الله بالاحترام والوقار الواجبين له (اه)

قال القاضي — ان ما قد اتيت به جنابك ياشيخ احمد لا يُرى انه حلٌ مستوفٍ لهذه الاعتراضات ما خلا انكار اليهود الوهية المسيح وارساليته من الله وارى اننا لم نصب في اتخاذ ذلك دليلاً على تحريف الكتاب فان كان عندك بعد اوفى مما ذكرت فاتِ به والا لزمك الاذعان بتحريف بعضه على الاقل

فتبسم الشيخ احمد وقال لقد سلم مناظري الكريم توًّا فيما تقدم ان اهل الكتاب لو قصدوا تحريف كتابهم لكانوا بالاولى ازالوا مثل هذا الاشكال

وكل عاقل يرى ان بقاء هكذا شبه تناقض في بعض آياته دليل بقائه كما كتب من الملهمين بكتابته · ولا ارتاب بكون حضرتكم رأيتم سداد هذه الحجة غير انه يلوح لي انكم ترغبون افراغ قوّة الدفاع عن ثلم سلامة كتابه العزيز فلا بأس · وعليه اطرح لديكم هذا السؤال اذا كان على زعم المسلمين ان الكتاب تحرَّف فهل تحرَّف قبل محمد او بعده

فتوقف القاضي برهة عن الجواب ثم قال ألا تعدل الآن ياشيخ عن هذا السؤال · اجاب كلاًّ ياسيدي لا يمكنني العدول عنه لكن اذا شئتم قفل باب المناظرة الآن فالامر لكم

فاحمرَّ وجه القاضي خجلاً وانحصارًا حتى سال العرق من جبينه والتفت الى اصحابه كأنه يريد امداده برأيهم فهمس اليهِ عبد الرحيم افندي ان يقول بعد محمد · فاجابه لا اقدر الآن على مجاوبة هذا السؤال بوجهٍ ما · هو سؤال لا كالاسئلة فان شئت جنابك ان تجاوب عليه فالامر اليك · فقال المذكور لا غرو انه قد تحرَّف بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم

(عبد الهادي) من المعلوم ان محمداً نبي الاسلام نبغ في القرن السادس للتاريخ المسيحي حيث كان اعظم قضيب السياسة في العالم بيد المسيحيين وكان اذ ذاك المسيحيون مؤلفين من قبائل شتى مختلفي اللغات والالسنة والكتاب موجود بايدي كل قبيلة منهم بلغتها الخاصة وقبل ذلك العصر بكثير بعد القرن الاول اخذت الامة المسيحية تتشعب الى فرق وطوائف مختلفة بعضها عن بعض مذهبًا وطقساً كالاريوسيين والنساطرة والبولسيين سكان ارمينيا وما شاكلهم وثارت بينهم شُرر العدوان والشحناء حتى بلغت اعظم مبلغ وكان

طبيعياً وجود الكتاب بيد كل فريق منهم يناظر بعضهم بعضاً بقضاياه وآياته ولم يشبه تغيير ولا تحريف ما مدة تلك الاجيال كما اقررتم وكما يتضح من شهادة القرآن له فاذا كانوا لم يحرّفوه قبل محمد حال كونهم كما ذكرت متضادين متباعدين رأياً ومذهباً وطقساً فهل ممكن والحالة هذه اجماعهم فيما بعد على تحريفه

(عبد الرحيم) قد يمكن ذلك ·

(عبد الهادي) ما كنت انتظر من ذكائكم هذا الجواب · ما دليل اتفاقهم على تحريف الكتاب وهم منذ انشقاقهم لم يزالوا في التضاد والخلاف الديني بل ان الخرق كان على توالي السنين والاجيال في حال الاتساع والتعاظم · فاجماعهم بالفرض على تحريفه يقضي لا محالة بعدولهم عن الخلاف ورجوعهم طائفة واحدة ذات رأي واحد وطقس واحد بموجب ذلك الكتاب المحرَّف منهم · ولكن بقاؤهم على ما هم عليه من الخلاف والمباينة مع وجود الكتاب عند جميعهم بلغاتهم المختلفة منذ افتراقهم بدون ادنى فرق دليل راهن على عدم تحريفه وعلى عدم القصد بذلك فلا جرم ان الاقرار بعدم تحريف الكتاب قبل محمد يستلزم كما لا يخفى الاقرار بعدم تحريفه فيما بعد — واسأل حضرتكم هل يشرع الانسان في عمل ما بدون غاية ما ·

(عبد الرحيم) كلاً ما من عاقل يباشر امراً بدون غاية

(عبد الهادي) فهل اذاً يقدم محرفو الكتاب على تحريفه بدون غاية خيرية لهم

(عبد الرحيم) كلاً لابد لهم من غاية عظيمة

(عبد الهادي) حسناً ما هي تلك الغاية

(عبد الرحيم) لا اعلمها . هل من الضرورة ان تُعرف غاية كل امر يباشرهُ الناس

(عبد الهادي) كلاَّ وانما لا يخفاكم اذا أُدعي على جماعة ما بكونهم محرفين كتاباً منزلاً اليهم بالنظر الى قضايا كذا وكذا ثم لدى النظر الى تلك القضايا وجد عدم موافقتها اياهم بل بالعكس تضاد آرائهم واعمالهم لزم من ثمَّ المدعي بيان غاية لهم فيما ادعى والاَّ سقطت دعواه — اليس كذا يا قاضي افندي — قال بلى انما بالنيابة عن عبد الرحيم افندي اقول هل عندك بيان عدم وجود غاية في الكتاب لاهله بتحريفهِ المزعوم

(عبد الهادي) اذا اتيت بذلك هل تسلمون حضرتكم بسلامة الكتاب من التحريف

(قاضي) لا نقدر على هذا الوعد ولكن نرى حينئذٍ فيما يجب

(عبد الهادي) طيّب وايّ غاية ترى في الكتاب لتحريفه ممن كثير من تعاليمهم وطقوسهم وضروب عبادتهم منافٍ للكتاب على خط مستقيم . وهل لا يرى البصير انه اوخطر على بال اهل الكتاب تحريف كتابهم بعد تشعبهم وافتراقهم كما يزعم سيدي عبد الرحيم لكان لا غرو ان كل فريق منهم حرَّفه على نوع يسند مدعاه ورأْيه وشكل عبادته . و بالاقل كانوا نزعوا منه الوصايا والنواهي الشديدة على اتخاذ الصور والتماثيل وعبادة المخلوقات الغائص فيها اكثر واعظم الفرق النصرانية . ولكن الحمد لله لم يمدوا ايديهم اليه قصد افساد كهذا بل هو باقٍ في ايديهم ومعابدهم شاهداً على انحرافهم عنه كما تشهد

التوراة بيد اليهود على انكارهم مسيح الله المبارك · ومن يرى وقوف كل من الفرق النصرانية في المرصاد لزملائه منذ افتراقهم ينجلي له سبب عظيم من الاسباب المانعة لتحريف الكتاب — فقد اتضح اذاً عدم تحريف الكتاب وعدم السبيل الى تحريفه وعدم الغاية فيهِ بذلك — فهذه الامور الثالث نكران اليهود اتيان المسيح عيسى من الله حال كون توراتهم تشهد له كما تقدم وعدم تحريف الكتاب قبل محمد ووجود ما يدل فيه على عدم مداخلة الحكمة البشرية في امره هي من اقطع الادلة على سلامته من شائبة التغيير والتحريف · ولا يبقى للانسان سبيلٌ ان يطعن فيه بوجهٍ من الوجوه · فما اشبه الكتاب بابرة الحك كيفما قلبتها ترى طرفيها متجهين نحو القطبين هكذا كيفما قلّبت الكتاب وادرته لا تراه الاّ كعمود للحق طرفه الواحد في الارض والآخر في السماء لا يستطاع تحويلهما الى جهة اخرى (اه)

حينئذٍ قال القاضي كفى الآن يا اخوان قد اطلنا الوقت جداً الآن نحو الساعة السابعة ونصف فلننصرف اذ بيان ان لا فائدة من الحديث مع هؤلاء الاحباب فما اجمل ما جاء في كتابه تعالى « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ إِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » ثم قاموا وانصرفوا — وفيما هم ذاهبون في طريقهم قال الشيخ عبد الحميد افتكر يا اخوان انه كان غلط منا القول ان تحريف الكتاب كان بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه مسلم اذا كان حتى ظهور النبي ما تحرّف فلا يمكن ان يحرّف فيما بعد لعلل شتى · كان الاوفق ان نقول انه تحرّف قبل زمان الرسول

اجابه حسن افندي — هنا البلاء الادهم وباي غطاء نغطي يامولاي

الآيات القرآنية المبينة صحة الكتاب الموجود يومئذٍ بيد اليهود والنصارى واين نخفيها عن عيونهم — عن عيون علماء مسلمين متنصرين فكيف عنّ لك هذا الفكر ياسيدي الامام

(عبد الحميد) — عنّ لي مما جاء في قوله تعالى في سورة المائدة (آية ٤٥) « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يحزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ الى آخر الآية » فمن هؤلاء المحرّفون الاّ اهل الكتاب

(اجابه المفتي) — اليك ياسيدي عن هذه الآية فانها بعيدة عن المطلوب وان الامام الفخر الرازي بتفسير هذه الآية يبين كون هذا التحريف المشار اليه من النبي صلى الله عليه وسلم هو انكارهم بعض مافي كتابهم لا تغييرهم اياه منه «بقوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه» اي من بعد ان وضعه الله واضعه اي فرض فروضه واحلّ حلاله وحرم حرامه — قال المفسرون ان رجلاً وامرأةً من اشراف خيبر زنيا وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فأرسلوا قوماً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن حكمه في الزانيين اذا أُحصنا وقالوا ان آمركم بالجلد فاقبلوا وان آمركم بالرجم فاحذروا ولا تقبلوا . فلما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك نزل جبرئيل بالرجم فأبوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال الرسول هل تعرفون شاباً امرد ابيض اعور يسكن فدك

يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض فرضوا به حكماً. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أُحصن» — قال ابن صوريا نعم (اه) فمذهب الرازي بمراد الآية اذاً هو تحريف اليهود بعض الكلم من الكتاب بافواههم لا بذات التوراة كما ترى ايضاً في تاويل (آية ٤٨) من سورة النساء وهي « مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ » الى آخر الآية اذ يقول في كيفية هذا التحريف وجوه (احدها) انهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم اسم « ربعة » عن موضعه في التوراة بوضعهم « طويل » مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الجلد له ونظيره قوله تعالى « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ» فان قيل كيف يمكن هذا في الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب قلنا لعله يقال ان القوم كانوا قليلين والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة فقدروا على هذا التحريف « والثاني » ان المراد بالتحريف ابقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ من معنى الحق الى معنى الباطل بوجوه الحيل اللفظيَّة كما يفعله اهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا هو الاصح «الثالث» انهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه عن امر فيخبرهم ليأخذوا به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه (كتاب الامام الرازي وجه ٣٣٨ و٥٩٨)

فيتضح من ذلك ان هذا التحريف في الآيتين المذكورتين هو لفظي شفاهي لا كتابي فلا يسوغ لمسلم بعد القول بتحريف الكتاب قبل محمد والآيات البيّنة على صحة سلامة الكتاب في عصر القرآن عديدة وقط لم يتّهم القرآن اهل الكتاب بتحريفه · فقط بكتم ما فيه اعني ما كان لجهة النبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى في سورة البقرة (آية ١٤١)« اَلَّذِيْنَ آَتَيْنَاهُمُ اَلْكِتَابَ يعرِفُونَهُ كَمَا يعرِفُوْنَ أَبْنَائهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا منهمْ ليكْتُمُوْنَ اَلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ» وما جاء ايضاً في سورة آل عمران (آية ٦٤) «يَا أهْلَ اَلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُوْنَ اَلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوْنَ اَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ» فانظروا حفظكم الله ما ابين هاتين الآيتين لبراءة اهل الكتاب من تهمة التغيير والتحريف في كتابهم — هذا ولم يتهم القرآن جميعهم بكتمان ما يعلمون انه في كتابهم اي ما كان لجهته صلى الله عليه وسلم بل فريقاً منهم فاي محل اذا للقول ان الكتاب تحرّف قبل محمد وما المرب من ذلك القول الى هذا الآ كمن يهرب من العقرب الى الافعى فخجل من ثم الشيخ المذكور واقرّ بخطاء فكره هذا ثم افترقوا كل الى حال سبيله

الفصل الحادي عشر

اما القاضي فاذ كان قد كلّ وتعب من دفاع وحجج الشيخ علي وصحبه دخل وجلس في مخدع منفرد واخذ يراجع تلك المناظرة فكان يذهل ويعجب

من قوّة الادلة والبراهين التي حامى بها المذكورون عن الكتاب المقدس ويستحمق اعتراضاته واعتراضات رفاقه فقال قد هجمنا عليهم واي هجوم ولكن كنا بالقصب والحصى فدفعونا دفع الابطال باسلحتهم العديمة النظير فماذا يا ترى — يتراءى لي ان هؤلاء الرجال لمصيبون والحق بيدهم وارى من البعيد ان لم اقل من المحال ان علماء الاسلام يستطيعون الثبات في ميدان نزال اهل الكتاب — كيف الجنود تحارب بدون اسلحة اعداء مدججين بها وهل يغلب محارب بدون سلاح من هو شاكي السلاح بمجرد التنكيت على سيفه انه اعوج او غير ماض او رمحه قصيرا وضعيف السنان — فلا ارى لمعشر علماء الاسلام من الاسلحة لمقارعة اهل الكتاب سوى سهام التنكيت والاعتراض على الكتاب بدعوى انه محرف حال كون له من الادلة والبينات على عدم تحريفه ما يرد بالخيبة كل تنكيت واعتراض عليه حتى كما رأينا ان بعض القضايا التي يحسبها علماؤنا دليل تحريفه فيه هي حقاً بالعكس من الدلائل على عدم تحريفه فما العمل وما الراي (اه) — وكان قد طار نومه من جرى استغراقه في الافكار والتأمل. فبقي على هذه الحال الى ان لاح الفجر فاضطجع على فراشه ورقد حتى الساعة الثالثة من النهار ولما استيقظ من نومه رجع الى التأمل في ذلك الموضوع ثم قال في باله " الا ان محمد القريشي نبي الله ورسوله واما جاهر بوحدانية الله عزّ وجلّ ودعى الجاهلية من عبادة المخلوق الى عبادة الخالق الحيّ وكيف وهو لا يقرأ ولا يكتب جاء بقرآن تعجز الانس والجن عن الاتيان بمثله وحال كونه يتيماً فقيراً فقد نجح بنصر الله وعونه نجاحاً هذا مقداره بتغلبه على كفار قريش ونموّ وازدياد امته ازدياداً حتى يومنا هذا هو من العجائب بحيث نحو سدس

سكان اسيا متدينون بدينه رافعين شأن نبوته وارساليته · الا ان ذلك من الادلة القاطعة كل ريب على صحة دعواه انه نبي الله ورسوله فلابدَّ لي اذًا ان شاء الله من الاجتماع مرة اخرى بالشيخ علي والاخذ معه بالبحث بشان هذا الامر الخطير عسى ان ذلك يضحي وسيلة اقناعه وارتداده — ثم ارسل واخبر المذكور بذلك وعين الوقت الساعة الثانية ليلاً في قاعة مجلس البلدية

اما ما كان من المتنصرين فانهم قد سرُّوا سرورًا عظيماً مما جرى وكان في تلك المناظرة وأَملُّوا منها خير نتيجة · ولما بلغت ايضًا دعوة القاضي للشيخ علي للاجتماع واياه مرة اخرى في الاجل المذكور ازدادوا سرورًا والتمسوا من لدنه تعالى حسن العاقبة ولما كان الوقت دعي الشيخ علي الى المحل المذكور فلقَاهُ القاضي بالبشاشة والانس · و بعد ان جلسا قال القاضي ان الباعث لاجتماعي بحضرتك الليلة هو لنتحدث معاً بشأن امور خطرت لي هذا الصباح فأرجوك ان ترعني سمعك · اجاب حباً وكرامة يا مولاي تفضَّل فاني صاغٍ لما تقول — قال تذكَّر يا صاحبي ادلة و براهين نبوَّة وارسالية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكن من المكابرين · انظر كيف نادى بوحدانية الله داعياً الجاهلية من عبادة المخلوق الى عبادة الخالق ماذا يا ترى دعاهُ الى ذلك وهو ابن قبيلة وعشيرة وثنيَّة تعبد اللاَّت والعزَّى · من اين جاءَ بهذا التعليم الغريب بين اقوام ذوي آلهة عديدة · وكيف وهو رجل أُميٌّ لا يقرأُ ولا يكتب جاء بقرآنٍ عجيب لو اجتمعت الانس والجن لما اتت بمثله وحال كونه يتيماً فقيرًا فريدًا في رأْيهِ نجح بنصر الله وعونه نجاحا يكاد يكون معجزة على كفار قريش وخلافهم من العرب جاهلية و يهودًا وتابعوهُ

وانصـــاره يزدادون دون توقف ازدياداً غريباً حتى بزمن قصير غدا السواد الاعظم في بلاد العرب والشام من امته رافعين شان نبوّته وارساليته — أليس يا شيخ هذه الغرائب لا تدع محلاً للريب بنبوّة وارسالية السيد الاعظم صلى الله عليه وسلم · وأليس انكار الشمس في رابعة نهارها ليس باعظم من انكار كون هذه الامور ادلة قاطعة كل ريب بنبوّته وارساليته من لدنه تعـالى نذيراً و بشيراً للناس كافة

(اجاب الشيخ علي) حقّاً اني يامولاي اكره ان ادقر حاساَّتكم بتفوُّهي لديكم ما ينفي دعوى محمد وارساليته من لدن المولى عزّ وجلّ غير ان الحال يلزمني ان اقول اني لست بناسٍ ما ذكرتموه حضرتكم وقد طالما سردت مثل ذلك امام علماء المسيحيين ولم اكن دونكم بالتفاخر في مثل هذه الامور التي كنت اظنها كما حضرتكم الآن حصوناً منيعة لهذه الدعوى حتى كشف لي الغطاء فرأيت نفسي في خطاء ووهم مبينين

(قاضي) وكيف ذلك تكلم بالحرّية يا صديقي لا تخف ولا تخجل

(علي) اشكركم مولاي — لا خفي حضرتكم ان اعتقاد محمد بوحدانية الله سبحانه ليس هو دليل النبوّة بل دليل حذقهِ وحدّة عقلهِ لان كل عاقل حاذق يمكنهُ ان يميز وحدانية الله تعالى · هذا ولم تكن العرب خالية من التعليم بوحدانية الله لان اليهود من جهة وهم من اكابر العرب والنصارى من جهة اخرى كنصارى نجران و بني كندة وغيرهم كانوا ينادون بتعليم الوحدانية الالهية · و بما ان محمداً كان كثيراً ما يتجر من الحجاز الى الشام و يمر في طريقه على بعض اديرة النصارى فلا يبعد انه استنار بتعليم الوحدانية من بعض اليهود

اورهبان المسيحيين كما يلوح لنا ذلك من الحديث والسيرة بل من نفس القرآن الذي به يثني على بعض قسس ورهبان النصارى شاهداً بتقواهم وحرارة عبادتهم — واما نجاحه فلا يمكن ان يؤخذ دليلاً على صحة دعواه وهو منكر ما جاء فيه كتاب الله سيما ان نجاحه كان بواسطة السيف خلافاً لنجاح المسيح الذي لا يقاس به نجاح محمد الذي كان لا بسيف ولا رمح بل بقوة الله ٠ ومن البين ان دين محمد بحال التوقف والتقهقر ودين المسيح لا يزال بنموّ وتقدم عجيب في كل الامصار والاقطار — هذا وليس خافٍ حضرتكم ان برهان الارسالية من الله اجتراح الآيات والمعجزات باسم الله ٠ ومن المعلوم ان محمداً لم يأتِ بآيةٍ ما برهاناً على صحة دعواه كموسى الذي لما ارسلهُ تعالى الى بني اسرائيل اعطاه آيتين لتكونا له برهاناً على صحة دعواه ان الله ارسلهُ لاخراجهم من مصر

(القاضي) لقد جئت ياشيخ بامرين فريين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ الاوّل قولك انه منكر ما جاء في كتاب الله ٠ الثاني انه لم يأتِ بآية ما برهاناً على صحة دعواه بالارسالية من قبل الله فعلى الاوّل اقول ٠ لا يخفى ان الرسول جاء مصدقاً لما مع اليهود والنصارى اي التوراة والانجيل كما ترى في سورة البقرة آية ٩٥ «ولمَّا جاءهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» وفي سورة آل عمران آية ٢ «نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وأَنْزَلَ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ» الى آخر

الآية و« ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ...»
فترى حضرتك ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاء مصدقاً لما بين يديهِ مع اليهود والنصارى من التوراة والانجيل فمن اين جازلك ان تقول بحقه ماقلت

وعلى الثاني اقول أنسيت حضرتك ان الرسول اتى بآياتٍ ومعجزات عديدة من ذلك شقه القمر نصفين نصف على ابي قبيس جبل في مكة والنصف الآخر على قينقاع كما اقترح عليه المشركون. واحيائهِ ابويهِ بعد موتهما بزمان طويل فآمنا به ثم ارجعا الى الموت وآية اخراجه الماء في محل يدعى المجاز واحيائهِ ابن امرأة من الانصار واشباعه عدداً عديداً من طعام قليل جداً راجع السيرة النبوية صفحة ٣٧ و٥٥ و١٤٠ جزء اوّل وغير ذلك مما لا يسعني ذكرهُ. فعجباً كيف يسعك انكار مثل هذه المعجزات التي قد شهد بها جمٌّ غفير من الثقاة الصادقين

(علي) وهو يتبسم ضاحكاً حاشا لي يا سيدي من الافتراء على نبي الاسلام او خلافه ولكنني انطق بكلمات استطيع بيان صدقها — نعم وردعدة آيات في القرآن مفادها ان محمداً جاء مصدقاً لما مع اليهود والنصارى من من التوراة والانجيل. وانما لدى النظر في ذلك بتدقيق وامعان يرى ان ذلك دعوى تحتاج الى الاثبات — امرٌ لا يستطاع انكاره ان جل تعليم الكتاب المقدس التوراة والانجيل هو تجسد ابن الله الازلي وصلبه وموته فداءً الخطاة. وقد اتضح لديكم مما كان في الجلسة السالفة عدم تحريف الكتاب وفوق ذلك اقول انه لمن المعلوم المحقق انه قبل ظهور محمد بنحو قرنين عقد مجمع في مدينة نيقية بامر اول سلطان مسيحي مؤلف من جمٍّ غفير من اساقفة العالم المسيحي

لاجل فحص عقيدة آريوس منكر ازلية الابن ومساواته للآب في الجوهر والكرامة وبعد مجادلات ومفاوضات مستطيلة حكم المجمع حسب الكتاب على ضلالة وهرطقة اريوس هذه ٠ وحيثما وجدت نسخة في العالم من نسخ الكتاب المقدس قديمة وحديثة وفي اي لغة كانت يرى من اول وهلة ان غايتها ومفادها هي المسيح الهاً وانساناً معاً مماتاً في الجسد فداء البشر ٠ ونكران الشمس في رابعة نهارها ليس باصعب من انكار هذه الحقيقة التي هي غاية في الشهرة والبيان ٠ وقد استوفينا الكلام على هذا الموضوع فيما سلف من البحث فلا حاجة لمراجعة الاسهاب به ٠ فما وجه تصديق محمد لما مع اليهود والنصارى وهو ينكر الوهية المسيح وصلبه بالجسد غاية التوراة ومفاد الانجيل وخلاصته — ماذا تظنون حضرتكم لو سلبنا من الانجيل كل آية فيه عن المسيح كاله وكمصلوب عن البشر ماذا يبقى فيه ٠ لاشيء يذكر و بلا فائدة ولامعنى وكلمة انجيل معناها بشارة و بأي شيء يبشرنا هذا الكتاب لو خلا من تعليم الفداء بمحبة الله الفائقة ٠ فقل لي حضرتكم على اي كيفية صدق محمد التوراة والانجيل وهو ينكر جل ما جاء فيهما اني لمستغرب جداً ومتعجب كيف قال هكذا لا سيما في عصر فيه مئات من الالوف من نسخ هذا الكتاب الثمين تنطق كلها بصوت واحد بالوهية المسيح ابن مريم وارساليته من الله ابيه ليبذل للموت نفسه فداء العالم ٠ وانه هكذا تم مشيئة الآب بتقديمه نفسه للموت وان المؤمنين بهذه المشيئة مقدسون بموت يسوع المسيح مرة واحدة ٠ فحقاً يامولاي لو صدق محمد ما بيد اليهود والنصارى في كتابهم الالهي لكان لا محالة مسيحياً — اذاً دعواه هذه دعوى بلا برهان لا تعار جانب الالتفات ممن له المام بمعرفة كلام الله في التوراة والانجيل وما

لها من البينات الجلية على سلامتهما من كل شائبة منذ بدايتهما حتى اليوم ٠ اما تذكيركم اياي بما نسب لمحمد من الآيات والمعجزات كما في كتب الحديث والسيرة لست بناسيها غير اني الحق اقول لسيادتكم اني وانا في حال الاسلامية وبأوج فخري وشغفي بمحمد كنت اتحاشى ذكر شيء منها امام ائمة النصارى وكنت اخجل كل الخجل عند ما اسأل عنها او عن بعضها لتيقني عدم صحتها بناءً على ما قد جاء في القرآن والعجب كيف حضرتكم تتخذونها على محمل الصدق والقرآن في يدكم

(القاضي) — واين ذكر في القرآن عدم اتيان الرسول بالمعجزات والآيات

(علي) — لا يؤاخذني مولاي ان قلت أتجهل حضرتكم ذلك ام تتجاهل ٠ فانقبض حينئذٍ القاضي من هذا التنكيت المحق واحمرَّ خجلا فقال ليس في بالي مثل ذلك ياشيخ علي فرد لي ما تعني من القرآن ولك الاجر والثواب

(علي) حباً وكرامة — لا خفي مولاي ان الآيات القرآنية التي يتبين منها جلياً عدم اتيان نبي الاسلام بآية ما كثيرة اجتزئُ بذكر ثلث منها

(الاولى) ما جاء في سورة الرعد ايتي ٢٧ و٢٨ « وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ — وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَاتٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ» الى آخر الآية

(الثانية) في سورة العنكبوت آية ٤٩ « قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ

رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ·

(الثالثة) سورة بني اسرائيل آية ٦١ « وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ » ·

ألا ان هذا الكلام يقطع بعدم اتيان محمد بآيات كموسى ويسوع المسيح وغيرهم من انبياء الله — واني يسوغ للمسلمين ان يصدقوا الرواة بان نبيهم اتى بآيات ومعجزات كذا وكذا حال كون القرآن المعتبر لديهم ككتاب الله يصرح ان محمداً لم يرسل بالآيات ويقدم له جواب اعتذار لدى المنكتين عليه بعدم اتيانه بآية ما « قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ » فلعمري ان الايقان بان محمداً اتى بآيات ومعجزات اهانة كبرى بمنطوق القرآن — أليس الامر كذا ياسيدي · فتوقف القاضي برهة عن الكلام مطرقاً عابساً تلوح على وجهه لوائح الحيرة والتعجب — ثم قال بصوت منخفض يلزمنا الوقوف على تأويل هذه الايات لا سيما الاخيرة في تفسير البيضاوي

(علي) حسناً ولكن الآية غنية عن تفسير المفسرين معناها واضح كوضوح احرفها · وليس لنا الآن الوصول حالاً الى البيضاوي غير اني ان شئت اسرد لك حرفياً كلامه بشأن هذه وفيما بعد تنظر ذلك على مهل في محله ·

(القاضي) — قل ·

(علي) — قال وما منعنا ان نرسل بالآيات الاّ ان كذب بها الاوّلون أي ما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش الاّ تكذيب الأولين

الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا . وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن (اه) بيضاوي مجلد اول صفحة ٧٠٢ فهل من بيان اجلى من هذا على كون محمد لم يأت بالآيات كانبياء الله السالفين الاَّ ان العلة المذكورة هنا تبين قطعاً عدم اتيانه بآيةٍ ما

فلما رأى القاضي ذلك قال نعم ذلك حجة الله لعدم ارسال الرسول بالآيات فعليه يكون النبي ما اتى بالمعجزات والآيات وما روي عن آيات اتى بها هو محض كذب لا ينبغي الالتفات اليه واشكر همتك ياشيخ علي على تنبيهك اياي على حقيقة لا اعذر على عدم انتباهي اليها — وانما اسألك الا ان القرآن معجزة عظيمة دائمة لسموّ بلاغته وغريب فصاحته وما حوى من عجائب الآيات السماوية على نوع مدهش لم يسبق له نظير ولا يمكن الاتيان بمثله

(علي) لا يخفى مولاي ما المعجزة الاَّ حادث يحدث خلاف مجرى الطبيعة وناموسها فاماتة حيّ بطريقة ما لا يعد معجزة لحدوثه وفق ناموس الطبيعة . ولكن احياء الميت بواسطة دعاء او امر يحسب معجزة لحدوثه خلاف ناموس الطبيعة . وعليه فتأليف او تصنيف كتاب ما نهاية في البلاغة والفصاحة لا يعد معجزة بل من نوادر وغرائب اعمال الانسان وان حسبنا القرآن بناء على سموّ بلاغته وفصاحته معجزة يلزمنا ان نحسب كثيراً من اشعار العرب وخطبهم معجزات لما هي عليه من نهاية البلاغة والفصاحة كقصيدة امرء القيس المشهورة التي مطلعها

قفانبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

التي كان ولم يزل يضرب المثل بهالشهرتها حتى صار يقال اشهر من قفانبك وكقصائد المتنبي والفارض والحريري وخطب قس الفصاحة ولقمان وغيرهم التي كما هو معلوم ومسلَّم انها في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فمن هذا القبيل يكون القرآن خارجاً عن كونه معجزة — بقي علينا النظر فيه من حيثية الحقائق الموجودة فيه فاقول · ان اكثر واجل القضايا الشرعية فيه مقتبسة من كتاب التوراة وكافة القصص فيه ما عدا قصتي صالح وهود هي مأخوذة عن التوراة ومسبوكة بقالب الفصاحة العربية بتصرُّفٍ قليل ومكرَّرة فيه مراراً عديدة حتى ملأت صفحاته كما ترى — فقصة خلق الله آدم وامرهِ تعالى الملائكة بالسجود له حسب القرآن الى آخر الحديث مكرَّرة في خمس سور وحديث نوح والطوفان مكرَّر عشر مرات في عشر سور وحديث ابراهيم بانذاره عبثاً قومه وتبشيره باسحق مكرَّر في ثماني سور وحديث لوط بانذاره عبثاً قومه وهلاك سدوم مكرَّر في تسع سور وقصة يوسف سورة برمتها وحديث موسى بارساله من لدنه تعالى الى فرعون لاخراج بني اسرائيل من مصر مكرَّر في اثنتي عشرة سورة — فاذا نسخنا من القرآن كلما هو مقتبس من التوراة ومأخوذ عنها من الشرائع والسير لا يبقى فيه كما لا يخفى نباهتكم الاَّ ما لا يستحق الذكر فبأيّ نوع اذاً هو معجزة وما دليل ذلك ·

(قاضي) اذاً بزعمك هذا يا شيخ ان القرآن من غرائب الاعمال ونوادر التآليف لكنه ليس بمعجزة ربما زعمك هذا قرين الصواب · غير ان اتيان رجل

امّي به يرى من باب المعجزة كما لا يخفى فطانتكم

(علي) -- على فرض ان محمداً اتى باجمعه لا يدخل ذلك ضمن دائرة المعجزة كما لا يخفى بل لا يزال في دائرة امكانية القوى العقلية طالما يرى انه مجموع ومؤلف من شرائع واحاديث قديمة مدوّن اكثرها في كتابه تعالى -- هذا وان الوحي بالتوراة والانجيل مع كونه فعلاً الهياً لا يقال عنه معجزة بل وحياً اقتضى وقوع المعجزات لإثبات كونه وحي الله — ولكن حضرتكم وانا وكل من له المام في مسئلة القرآن يعرف كيف ومن اين جمعت سوره وآياته والطرق التي اتخذت لاثبات تلك الآيات بوجهٍ شرعي كون محمد نطق بها - وهذا لاغرو يوقع الريب بان محمداً اتى بكل القرآن .

(قاضي) — نعم صحيح ما اشرتم اليه بخصوص الكيفية التي بها جمع القرآن واني اصادق جنابكم بان القرآن ليس بمعجزة غير انه يدل على سموّ التقوى وفضل قائلهِ وارتفاع قوى عقله فوق جميع بني عصره -- الا ترى ذلك .

(علي) — لاريب ان محمداً كان من اول طبقة في العقل والذكاء وهنا ارجو مولاي ان حسن لديكم نرجع قليلاً الى مسئلة تصديق محمد لمابين يديه من التوراة والانجيل فما هو يا سيدي وجه تصديقه لكتاب الله هذا

قاضي — ان وجه تصديقه للتوراة والانجيل هو تصديقه ما جاء فيهما من قصة خلق الله آدم وحواء وعصيانهما وطردهما من الجنّة وقتل قايين اخاه الى كافة القصص التي ذكرتها جنابك وحديث مريم وزكريا واعتبار الختان

والوضوء وغير ذلك من الاوامر والنواهي كما لا يخفى

(علي) — نعم ان محمداً صدق الكتاب في جل هذه الاحاديث واهمل او بالحري انكر ما هو اهم واولى بالتصديق

(قاضي) — وما هو

(علي) — قد تقدم بيان بعض ذلك لجنابكم ولاستيفاء الفائدة اقول ان محمدا صدق التوراة في مسئلة اغواء ابوينا الاولين وطردهما من الجنة متكلماً عنهما بغاية الايجاز و بترك بعض اجزائها الجوهرية (انظر سورة البقرة والاعراف) واهمل مسئلة طريقة العفو عنهما وعن الخطاة من نسلهما او رجاعهم الى حال البرارة والقداسة وادخالهم غب ارتحالهم من الدنيا فردوساً اسمى وامجد خالدين فيها . المسئلة المشحون كتاب الله بالتكلم والايماء عنها بطريق وانواع شتى لا سيما في الانجيل كما قد سلف بيانه — وذكر محمد قصة ابراهيم وتبشير الملئكة اياه بغلام حليم وتقديمه ابنه لله وافتداء الله اياه بذبح عظيم (اي كبش عظيم) واهمل منها ما هو اكثر اهمية وهو وعد الرحمن لابراهيم ان بنسله تتبارك جميع قبائل الارض ومن المؤكد انه سبحانه اراد بذلك اسحق

(قاضي) وما دليل ذلك

(علي) — ان لذلك ثلثة ادلة الدليل الاول ان اعطاء الله هذا الوعد الثمين لابراهيم كان غب تقديمه ابنه اسحق اطاعة لامره تعالى (انظر تك ص ٢٢) و يؤيد ذلك الدليل الثاني وهو قوله تعالى لابراهيم عندما همّت

ساره امرأتهُ بطرد هاجر وابنها اسماعيل «في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لانه باسحق يدعى لك نسل» (تك ٢١ : ٢١) الدليل الثالث هو تكرار هذا الوعد لاسحق ويعقوب ابنه (انظر تك ٢٦ : ٤ و٢٨ :١٤) اذ يقول تعالى لاسحق بعد موت ابيه «وأكثر نسلك كنجوم السما واعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع امم الارض» وليعقوب لما كان هارباً من وجه اخيه عيسو ويكون نسلك كتراب الارض وتمتدّ غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الارض الا ترون سيادتكم اذاً ان وعد الله لابراهيم ان بنسله تتبارك جميع امم الارض يريد بهِ نسل اسحق ويعقوب

(قاضي) — بلى بناء على تكرار ذلك لاسحق ويعقوب وعلى الآية المذكورة في الدليل الثاني

(علي) — بناء عليه اذاً تباركت قبائل العرب انما تتبارك بنسل اسحق ويعقوب اي بالمسيح ابن الله وابن مريم الذي جاء من ذرية يعقوب حسب وعده تعالى لا بنسل اسمعيل الذي ما لهُ شيء من هذا الوعد المقدس

(قاضي) — قد غاليت في الكلام وتطرّفت جدّاً ياشيخ علي حتى جرّدت ابينا اسمعيل من كل بركة واذا كان اسمعيل عليه السلام قد طرد وامه من بيت ابيه كما تقول التوراة وربي معتزلاً غريباً كيف نمي كل هذا النموّ وخرج من صلبه اعظم قبائل العرب وامراؤها بدون بركة الله عليه

(علي) — لم اقل ان الله سبحانه ما بارك اسمعيل قط نعم وعد الله ابراهيم وهاجر بانه تكثيراً يكثر نسل اسمعيل و يجعله امةً عظيمة لكن البركة العظمى

والوعد المقدس كان لإسحق ويعقوب كما ترون · ولندع الآن التوراة جانباً ولنلتفت الى ما جاءَ في القرآن بهذا الصدد فنرى في سورة العنكبوت (آية ٢٦) قولاً جميلاً بهذا الخصوص وهو « وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ الْكِتَابَ » الى آخر الآية فارجوكم سيدي أَجل النظر في هده الآية الجوهرية لماذا لم يذكر بها اسمعيل مع كونه بكر ابراهيم بل أُهمل منها كأَنه لم يكن حاسبةً الابن والحفيد · فقط هبةً لهُ من الله ما السرّ في ذلك على كلٍ ان هذه الآية ترفع قدر اسحق ويعقوب على اسمعيل وتبين لنا جلياً ان ذريتهما لا ذرية اسمعيل هي درية ابراهيم التي جعل الله فيها النبوَّة والكتاب ·

(قاضي)—لا صحة لدعوى بدون دليل وقوله تعالى في الآية وجعلنا في ذريته النبوَّة والكتاب لا يحصر دلك في نسل اسحق ويعقوب بل ممكن ان يعم نسل غيرهما من بني ابراهيم فحصر ذلك في ذرية بعضهم دون بعض يحتاج الى دليل فما دليل ذلك

علي — الا تكتفون يا مولاي بالدليل الذي اقمتهُ من التوراة كما قد رأَيت

(قاضي)— ان دليل التوراة لما في التوراة وجنابك وضعت التوراة وعمدت الى القرآن لتبين منه ما يوافق نص التوراة بشان ما نحن بصدده وعليه ارى يحق لي ان اطلب منكم الدليل على ما قد ادعيتموه من القرآن ·

اعلي)—عليّ بذلك فانظر سيدي ماجاء في سورة الجاثية اية ١٥ « وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » الا ان ذلك دليل راهن على ان القول عن لسانه تعالى عن ابراهيم « وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يراد بتلك الذرية بني اسرائيل نسل اسحق ويعقوب والا ينطبق ذلك كل الانطباق على قوله تعالى في التوراة لكل من ابراهيم واسحق ويعقوب» وبنسلك تتبارك جميع امم الارض ». عند ذلك توقف القاضي عن الكلام نحو ربع ساعة ثم رفع راسه وقال ونعم الدليل ياشيخ والان قد اطلنا الوقت فيكفي الليلة ما جرى بيننا دعنا نتصرف ثم ان عشنا نجتمع الليلة الثالثة لتتمة البحث والمناظرة — اجاب الامر اليكم سيدي غير اني ارجوكم ان حسن لديكم تسمحوا الي ان اقول شيئاً كآخر كلام لي مع حضرتكم ثم ننصرف لانه ربما ما سمحت الظروف ان نجتمع ايضاً كهذا الاجتماع الحلو الذي به قد اوليتموني فضلاً جزيلاً — احتملتموني بطول الاناة واخلاص المحبة ·

(قاضي) — قل ما بدالك يا صديقي العزيز ·

(علي) ارى حضرتكم اعتبرتم حق الاعتبار الادلة التي اقمتها لديكم من التوراة والقرآن على ان الله عزّ شانه جعل البركة لكل الامم بنسل اسحق ويعقوب النسل الذي جُعل فيه النبوة والكتاب وعليه لا يسوغ لنا ان ننتظر البركة الاّ بالمسيح النسل المبارك الشخص العجيب الكامل الذي يفوق كافة الانبياء والمرسلين بما لا يقاس من كل وجه كما تبرهن ذلك لحضرتكم في جلسة امس وما دام الله يقول « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والنبوة » ولدى التدقيق

يرى ان كافة الانبياء والمرسلين الذين قالوا وكتبوا التوراة والانجيل هم من بني اسرائيل وفقاً لقوله تعالى فمن اين اذاً يحق لنا ان نطلب الارشاد والهدى الى معرفة حق الله وقصده الصالح من جهتنا معشر البشر الاَّ من هذا الكتاب الالهي الذي يقال عنه في القرآن « انه نورٌ وهدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِين » سورة المائدة آية ٤٧ و٤٨ « انه تَمَامًا عَلَى ٱلَّتِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ » سورة الانعام اية ١٥٣ واي حاجة لخلافهِ ما دام هكذا كافياً وافياً كيف لا وهو كتاب الله كتابٌ يعلن لنا سر المسيح العجيب ويحلُّ لنا المشكل العظيم الذي يراه كل مسلم لبيب لدى اطّلاعه جيداً على وصفه ونسبه في القرآن — فاتوسل الى سيدي ان لا تنسوا هذه الحقائق العظمى ولا تلقوها الى الوراء فان بها الخير والحياة و بدونها فلا

(قاضي) ممنونٌ ياصديقي وأَعدك اني سأَتروَّى هذه القضايا وارجو ان لا مانع يمنعنا من الاجتماع الليلة التالية ان شاء الله ثم قاما وانصرفا — اما القاضي فغب وصولهِ الى منزله انفرد في مخدعه واخذ بيده القرآن وفتح الايتين المتقدم ذكرها وقرأَ الاولى « ووهبنا له اسحق و يعقوب الخ » ووضع اصبعه على الآية و بدأَ يكررها بحيرةٍ وغيظ ... ووهبنا له اسحق ويعقوب ... اسحق و يعقوب ... اسحق ويعقوب ... حسناً اين اسمعيل اذاً — أَخرَجَ عن كونه ابناً لابراهيم . التوراة والقرآن يعلنان انه ابنه بكره لماذا اذاً اخرجه الله من نوع الهبة لابراهيم مخصصاً بذلك اسحق وابنه يعقوب . هل ذلك بدون معنى ولا قصد لا لعمري الامر الطبيعي ان يقال ووهبنا له اسمعيل واسحق ومديان وشوحا الى آخر اولاد ابراهيم او بالاقل اسمعيل واسحق فما علَّة العدول ليت شعري

عمّا هو طبيعي من هذا القبيل الى ما ليس بطبيعي اذ يعدل من ذكر الاقرب الى الابعد اي من الابن الى ابن الابن آلاَ وهي الموافقة والمصادقة لنص التوراة انه باسحق يدعى لك نسل لا باسماعيل بلَى ولا ريب هذا نص قرا تنا ـ هذا ما نطق به نبيُّنا فانى لنا المهرب من هذه الحجة الدامغة المعلنة لنا في كتابنا الداكّة الى الحضيض افتخارنا وعجبنا في اسمعيل ونسله

ثم نقل اصبعه الى السطر الثاني من الاية « وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ » . . . النبوة والكتاب . . . حسناً في ايّ ذريةٍ من نسل بنيه . أَفي الكل ام في البعض . ماذا تقول ايها المصحف الشريف — اقول عن فمه تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ »» طيّب هذا فصل خطاب ان الكتاب والنبوة اتاهما الله ذرية ابني الموعد اسحق ويعقوب لا اسماعيل ولا غيره من اولاد ابراهيم — وهل ايها المصحف الشريف بهذا الكتاب الكفاية للهدى والرشاد — نعم هو نورٌ وهدًى وموعظة للمتقين تماماً علي التي احسن وتفصيلاً لكل شيءٍ وهدى ورحمة (اه) اذًا ما حاجتنا اليك الاَّ لتؤدي لنا هذه الشهادة حسناً ثم اخذ يناجي نفسه . ماذا يا احمد انتبه الى نفسك ان كان هكذا اسحق و يعقوب ابني الموعد دون اخوتهما وان كان الكتاب الكافي الوافي التام أُوتي ذريتهما لا ذرية غيرهما وان بنسلهما حسب التوراة تتبارك جميع امم الارض لا بنسل اسماعيل ولا بنسل مديان ولا بنسل احد على الارض دونهما فكيف يحق لنا ان ندّعي بكتاب اخر قاله رجل اجنبي عن اسرائيل وليس فقط آخر منافٍ لكتاب بني اسرائيل في اعظم الامور واهمها ونؤمن بنبي ليس منهم — ما اقوى حجج المسيحيين وما اوهى حجتنا

— يكفيهم حجنا في قرآننا فكيف وكتابهم ذو البينات الراهنة والادلة القاطعة على سلامته من شائبة التحريف والتعويج—فلا حول ولا — ماذا اذاً أأستعفى من مناظرة الشيخ علي ايضاً — لماذا وما ذا يضرني ذلك وان كان الحق معه كما ارى لماذا اقاومه—قد وعدته بالاجتماع الليلة التالية فلا يليق بي النكث بوعدي — ثم سكت واضعاً يده على خده برهة طويلة — ثم قال كمن انتبه الى امر جديد — آي — ألم تقل التوراة عن لسان الكليم موسى « ان نبياً مثلي سيقيم لك الرب الهك من اخوتك له تسمعون » فيبان من الاية ان هذا النبي ليس هومن بني اسرائيل لان الخطاب لعموم الشعب بصيغة الفرد فلا بد اذاً ان هذا النبي المراد بالآية من قبيلة اخرى وبما انه لم يظهر نبيٌّ من اقارب بني اسرائيل الاَّ من ذرية اسماعيل اخي جدهم اسحق فيكون الارجح بهذه الا ية هو محمد — حسناً ولكن هل هذا النبي يدحض حقائق كليَّة من كتاب الله و يصدّ قومه عن درس ذلك الكتاب والتدين بحسبه وهو يشهد بكفايته للهدى والرشاد الى غير ذلك من صفات الكمال كما لا يخفى ما هي راكبة المسألة — وانَّى التخلص من مفاد الايتين المار ذكرها · لا سبيل الى ذلك — غيراني سأمسك الشيخ علي بهذه الا ية وارى هل يمكنه التخلص منها ام لا — ثم قام واضطجع للنوم

ولما كانت الليلة التالية حضر حسب الوعد الى محل المناظرة ودعى الشيخ علي فحضروغب جلوسهما قال القاضي قد اتممت وعدي لك باني تروَّيت جيداً في القضايا التي كان عليها مدار حديثنا ليلة امس غيراني في اثناء ذلك خطر

على بالي ما قاله الكليم موسى في التوراة لشعب اسرائيل وهو « يقيم لك الرب الملك نبياً من اخوتك مثلي له تسمعون » الى ان يقول عن فمه تعالى « اقيم لهم نبياً من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكلما اوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي فانا اطالبه تث ١٨: ١٥ و ١٨ و١٩ » فلا غرو ان هذا الانباء هو عن نبينا صلى الله عليه وسلم

(علي) — ان الدعوى تفتقر الى الدليل فما الدليل ان انباء موسى هذا هو عن محمد العربي

(قاضي) — الدليل قائم من نفس الانباء وذلك اولاً انه قال نبياً من اخوتك وهذا لا يصح قط ان يكون عن نبيٍ من بني اسرائيل كون الخطاب هو الشعب اسرائيل بصيغة الفرد فتحت هذه الصيغة داخل عموم بني اسرائيل وعليه يكون النبي المنبأ عنه في هذه الجملة من اخوة اسرائيل لا منهم وثانياً انه يكون كموسى متولياً امر امته مشترعاً ذا بطش ونقمة من الكفار اذ قال « نبياً مثلي » وهذا محال انطباقه على عيسى المسيح الذي كان نبياً وديعاً مهاناً كما يصف الانجيل . وبما انه لم يقم نبي من اخوة بني اسرائيل سوى محمد القريشي الاسمعيلي المتشح بالصفات المذكورة فيكون طبعاً هو المراد بذلك الانباء

(علي) ان دليل حضرتكم هذا هو كنفس الذي ذكره صاحب السيرة النبوية (جزء اول صفحة ٨٧ ونعم الدليل لو ثبت — ان الانباء عن هذا النبي موجود في الاصل العبراني عند الاسرائيليين كما في الترجمة العربية عنه الكائنة هنا معي فان حسن ننظر ذلك في محله ونرى هل مفاد الآية هو كما

يزعم ائمة الاسلام — حسناً افتح التوراة ففتحها وقرأ الاية يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون » وحينئذٍ قال له انظر مولاي الفرق العظيم فان الاية تبين كون ذلك النبي سيكون من بني اسرائيل لا من غيرهم بكلمة « من وسطك » نبياً من وسطك من اخوتك فيبان ان كلمة من وسطك كانت لرفع الالتباس والريب بكون ذلك النبي من بني اسرائيل — اليس هو هكذا يامولاي ٠

(قاضي) اذا كانت كلمة « من وسطك « موجودة في الاصل العبراني كما قلت جنابك فيكون تماماً ان هذا النبي المنبأ عنه يكون بدون ريب من بني اسرائيل

(علي) لاشك بكونها موجودة تماماً كما في هذه النسخة وعليك بالسؤال وما يزيد الحقيقة وضوحاً هو ما جاء في الاصحاح الذي قبل هذا « تث ١٧: ١٤ الخ » « متى اتيت الى الارض ٠٠٠ ٠ فان قلت اجعل عليّ ملكا ٠٠٠ ٠ فانك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب الهك ٠ من وسط اخوتك تجعل عليك ملكاً ٠ لا يحل لك ان تجعل عليك رجلاً اجنبياً ليس هو اخاك ٠٠٠ ٠ وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة ٠٠٠ ٠ لكي يطيل الايام على مملكته هو و بنوه في وسط اسرائيل فماذا ترون سيدي هل كلمة اخوتك واخاك في هذه الجملة تفيد ما هو خارج عن بني اسرائيل

(قاضي) — كلاً فان الامر واضح من قرائن الكلام ان المراد بها من

وسطهم منهم وان ملكهم يكون ولا بد منهم اسرائيلي لا اجنبي ونعلم ان الله سبحانه لما ابتغى بنو اسرائيل ملكاً اختار لهم ملكاً شاؤل ثم داود وسليمان

(علي) — الا ترون مولاي ان كلمة من وسط اخوتك نجعل عليك ملكاً بمعزلٍ عن قراينها وعن واقعة الحال هي من حيثيَّة الفكر الاسلامي بالنبي المراد بانباء موسى اقرب من كلمة من وسطك من اخوتك للزعم ان المراد بذلك الملك هو من اخوة يعقوب لا من ذريته لان كلمة «من وسطك» لا تدع محلاً للفكر بان ذلك النبي ليس هو منهم بخلاف كلمة من وسط اخوتك « التي بالنظر اليها مجردة يستبان ان الملك المراد به اجنبي عن اسرائيل كما تقدم وعليه فما اسقم واوهن الدعوى بان انباء موسى هذا يراد به نبيٌّ من خارج اسرائيل · فيتضح لديكم مولاي ان هذا النبي هو اسرائيلي لا اسمعيلي ولا مدياني وبالتالي ليس هو محمد العربي الاسمعيلي ومعشر المسيحيين تعتقد ان النبي المراد بذلك الانباء هو لا ريب المسيح ابن مريم ولا يسعني ان اذكر وجه الشبه بينه و بين موسى الكليم الاَّ على غاية الايجاز

(اولاً) ان موسى كان كليم الله والمسيح كلمة الله وهو بذلك ارفع واسمى بما لا يقاس وقد اعلن بالانجيل سر الله الازلي الذي لم يبلغ اليه موسى

(ثانياً) ان موسى كان وسيط العهد القديم عهد الطاعة بين الله و بني اسرائيل والمسيح وسيط العهد الجديد عهد النعمة والرحمة والغفران بين الله والناس

(ثالثاً)موسى كان قائد بني اسرائيل في بريَّة سينا ليأْتي بهم ارض موعد اباِئهم· والمسيح قائد امته المؤْمنين به في تيه هذا العالم ليأْتي بهم الى مبعاد النفوس ربوع المجد الفائق الدائم

(رابعاً) موسى اخرج بني اسرائيل من مصر وحررهم من عبودية فرعون— والمسيح حرر المؤْمنين به من عبودية ابليس الرجيم واخرجهم من مصر شقاء الخطية الى طريق الحياة والراحة والسلام الداخلي

(خامساً)موسى حارب اعداءَ الله وشعبه والمسيح سوف يأْتي حسب النبوات ويخضع كل شيء تحت قدميه ويهلك الى الابد اعداءهُ واعداءَ مختاريه

(قاضي)— ان وجه الشبه الذي اتيت به جنابك بين موسى والمسيح ما خلا القضيتين الاوليتين هو محض روحي فلا يعتبر مشابهة حقيقة لدى القاريء المنصف كون امر موسى وصفاته المسطرة في التوراة هي حسيَّة ظاهرة لا روحية مستترة ولذا لم تزل ملتزماً بتطبيق المشابهة على الوجه الانسب والاقرب للعقل

(علي)— لا يخفى حضرتكم انه لا يلزم من تمثيل موسى ذلك النبي به مماثلته في كل شيء محسوس بل من حيثيَّة اقامته كنبي ووسيط ومعلم وقائد وامين الله على شعبه في كلا الامور حسيَّة وروحية — هذا ولا يخفى عليكم البون العظيم في المشابهة بين موسى ومحمد من حيثيَّة اجلّ الامور واهمها

(قاضي) — وما ذلك

(علي) — ان موسى اشتهر جداً بالآيات والمعجزات التي اجراها الله بيده في مصر والبريَّة ومحمد لم يفعل اية واحدة كما قد رأيتم — موسى حرر الاسرائيليين من عبودية فرعون لا بسيف ولا برمح بل بمجرد قوة الله — موسى اقات الاسرائيليين بخبز من السماء اربعين سنة — فيما يتشبه محمد موسى من هذا القبيل — ثم ما دام الله سبحانه حصر الكتاب والنبوة في بني اسرائيل كما يرى جلياً من التوراة والانجيل وكما يصرح القرآن فانَّى يحق لنا ان ننتظر نبياً خارجاً عنهم وان كان الله هكذا حصر البركة لام الارض فيهم كما قد رأيت فانَّى يحق لنا ان نرجوها من دونهم الا يكون ذلك والعياذ بالله مغالطة لكلمة الباري تعالى — هذا عدا عما هو واضح كل الوضوح من نفس انباء موسى عن ذلك النبي كونه من ذات بني اسرائيل كما قد رأيتم وبما ان لا نبي اتى من بعد موسى من بني اسرائيل يماثله (بل يفوقه) في عمل الآيات والمعجزات واعلان اسرار العلي مع باقي الصفات المتقدم ذكرها كالمسيح ابن مريم الذي انبأت عنه بعد موسى كافة انبياء الله بوضوح و بيان لا مزيد عليهما كما قد رأيتم وترون فيكون لا جرم هو ولا سواه النبي المراد بذلك الانباء · وعليه صرت حضرتك ملتزماً بامر من امرين — اما ان تسلم بان محمداً غير مقصود البتة في انباء موسى هذا واما ان تغالط موسى والقرآن فايهما تختار يامولاي

(قاضي) حسناً ما قد اتيت به فقد تأكد عندي انه قط لم يعنِ الكليم بذلك الانباء نبياً اجنبياً عن بني اسرائيل اي ليس منهم — غير اني اسألك اماتنبيء التوراة عن مجيء محمد العربي بعد عيسى المسيح رسولاً من الله الى الناس كافة

(علي) وهو يتنهد آه يامولاي ما كنت افتكران حضرتكم تعتبرون صحة ما قيل من ان التوراة تشهد لمحمد او تنبئ عن مجيئهِ كنبيٍ ومرسل من الله لهداية خلقهِ .

(قاضي) — كيف لا وقد روى في كتاب السيرة النبويَّة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك انه قد جاء ان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض وان الله تعالى قال في التوراة انه باعث من ولد اسمعيل نبياً اسمه احمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤْمن به فهو ملعون ... واسمه في التوراة ايضاً « حمياطا » اي يحمى الحرم « وقدومياً » اي الاول السابق ... و « طاب طاب » اي طيّب وفيها ايضاً ومحمد حبيب الرحمن ومحمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام وفي الانجيل اسمه « المنحمنا » ومعناه بالسريانية محمد وفي الزبور « حاط حاط والفلاح » الذي يمحق الله به الباطل (والفارق) اي يفرق بين الحق والباطل وانه صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعمر بن الخطاب اتدري من انا — انا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل « البار قليط » وفي الزبور « حماط » وفي صحف ابراهيم « طاب طاب » ولا فخر وجاء في الزبور اني انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي — وفي الزبور ايضاً ياداود سيأتي من بعدك نبيٌّ اسمه احمد ومحمد لا اغضب عليه ابداً ولا يعصيني ابداً وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ... « كتاب السيرة النبوية للامام احمد زيني المكاوي جزء اول صفحة ٨٦ و٨٨ »

(علي) — كيف ترى مولاي أَصادقة هذه الروايات عن محمد والصحابة انهم قالوا كذا

(قاضي) — نعم ان كانت هذه غير صادقة فاي حديث صادق

(علي) — اسأل حضرتكم ان تعفيني ان شئتم عن الجواب

(قاضي) — كلاَّ ارجوكم تتكلم بكل حرية اراأيتم مني ما يزعج خاطركم — من بيننا غير الله جاوب كما ترى ولا تخشَ

(علي) — اذًا لا تواخذوني حضرتكم فيما اقول ان لا صحة لدعوى وجود هذه الاقوال في التوراة والزبور واني لمتعجب كل العجب كيف محمد ادَّعى هذه الدعوى ان كان ادعاها او كيف هكذا روى روايات عن كتاب الله لا اصل لها فيه — ان اسم محمد ومكة وطاب لا يعرف قط في كتاب الله فها التوراة عبرانية ويونانية وسريانية ولا تينية وعربية فان تقرأها جميعها لا تجد فيها شيئًا مما روى بخصوص محمد — اين يقال في الزبور عن فمه تعالى محمد رسولي ولداود سيأتي من بعدك نبي اسمه احمد ومحمد الخ القول» — اين جاء في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيًا اسمه احمد .... — ابمجرَّد ماتدَّعي يا انسان هكذا —صح— أهكذا يُثنى عن كتاب الله امورٌ لم تعرف فيه بل عن الله عزَّ وجل ان ذا لعمري غريبٌ عجيب

والانجيل ايضًا لاشيء فيه مما قيل سوى كلمة « بار قليط» وقط لم يعنِ المسيح بها شخصًا بشريًا بل الروح القدس الذي وعد بهِ رسله ان يرسله لهم غب صعوده عنهم ليحل في قلوبهم ويملأَهم قوة وليذكرهم بكلما سمعوه من سيدهم ويؤيدهم بالآيات والمعجزات . برهانًا لصحة الانجيل الذي يكرزون به وختمًا لصحة دعواهم انهم مرسلون من الله لارشاد الناس وهدائهم وذلك ظاهر بيِّن لكل ذي بصيرة من قرائن الكلام في الانجيل — فالادعاء يامولاي سهل ولكن

الاثبات عسر — والقول ان التوراة والانجيل تحرّفا لا يجدي قائله نفعاً بل هو قول ساقط كما قد رأيت وكما قد يرى كل ذي اخلاص وتعقل · ثم ارى ان حضرتك قد نسيت او ربما اهملت عن قصد ماروى ان محمداً قال لعمر قبل الجملة التي ذكرتها وهي — أتدري من انا ياعمر — انا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود — فهذه يامولانا دعوى — من الذي كلّم موسى ان يكتب التوراة كذا وكذا محمد ام الله وموسى كليم من وأليس القرآن يقول عن فمه تعالى انه اتى موسى الكتاب وعيسى الانجيل وانه ايد عيسى بالروح القدس فعليه يكون الروح القدس لقّن المسيح الانجيل لا محمد واذا كانت هذه الدعوى لا تقبل عند اهل التعقل والدراية فاظن انها ليست من محمد بل مختلقة من رواة ارادوا بها رفع شان محمد في عيون اهل السذاجة الى هكذا حد يخلب الالباب والاذهان فما قولكم سيدي في مثل هذه الامور

(قاضي) — أ لهذا الحد ياشيخ علي اتُكذِّب الرسول والصحابة «قال هذا بصوتٍ رائقٍ واطيء اختشاءً لئلا يسمع ذلك احد من الخارج» ·

(علي) — كنت طلبت الاستعفاء من المجاوبة محاشاة مس حاسياتكم فلم تعفني وتعلم الداعي من قبل الآن اني اذا الجئت للتكلم اتكلّم عما في قلبي رضي الاصحاب السامعون اولم يرضوا — هذا وليس غرضي فيما قلت الا بيان الحق فهل ذلك يغيظكم — سامحوني — ·

(قاضي) — كلاّ است مغتاظاً ولا منكاداً البتة من جنابكم انكم ما فهتم بشيءٍ الا في محله وهذا حق المناظرة ولو ارى منكم ما يدل على مراعاة الخاطر

من الاطراء والتمليق لما كنت أُسر بالدخول معكم في هذا الباب · وانما العهدي بحسن طويتكم واخلاصكم واستقامة لسانكم رمت الجولان معكم قليلاً في هذا الميدان قصد الوقوف على ما ينبغي الوقوف عليه مع الامل اني افوز ولو بعض الفوز باقناعكم ولكن يبان ان هذا الامل ذهب ادراج الرياح

(علي)ـ انت تعلم يا مولاي اني كنت من اشد الناس غيرة على الاسلام ومن اوفرهم تعبداً واجهدهم على الدرس والمطالعة لكنني كما أوُكد لحضرتكم وربُّ السرائر يعلم اني ما كنت استطيع ان اقتنع بصحة مثل هذه الروايات ما لم اتاكدها في التوراة والانجيل · وكنت احزن وأَغتمُّ كثيرا لما لم اجد فيهما اثرًا لها وحينما كنت ارى بعض علمائنا وعامتنا يتحدثون بها وبروايات المعجزات بفخر وعُجب هذا مقداره كنت اضحك ضحكة المنكاد الاسيف — ولا يخفى حضرتكم الى اين يؤدي تكذيب مثل هكذا روايات تعتبر من اقوى دعائم الاسلامية · فكثيراً ما كنت ادهب بسببها الى الريب بنبوة محمد وارساليته فكنت من جرى ذلك في جهاد عنيف الزمني الى معاشرة علماء عديدين يهود ومسيحيين وبقيت على هذه الحال الى ان كشف الله عن بصيرتي واراني الصراط القويم في كتابه الثمين · فهل لكم يامولاي العزيز باعتناق هذا الطريق والسير في سبيل الله الحقيقي سبيل البر والحياة بالايمان بالفادي الكريم المعلن في الانجيل والمرفوع الشأن في القرآن على كل الانبياء والمرسلين

اما القاضي فبهت ولم يفه ببنت شفة وبعد نحو ثلث ساعة وقف وقال سبحان الله والحمد لله الهمنا الله الصواب واحسن لنا المآب قد اطلنا الحديث ياصاح اكتفينا اجزل الله ثوابكم واحسن معادكم · فدعنا الان ننصرف وان

سمح الله وفسح في الاجل سنعود الى مثل هذه المعاشرات الطيّبة ثم نهض الشيخ علي وصافح بعضهما بعضاً وانصرف كل الى مكانه

وكان القاضي في اثناء الطريق يحدث نفسه هكذا — كل كلام الشيخ علي في محله نعم القرآن ينفي ان الرسول اتى بالآيات كما اوّل اياته في هذا الباب اشهر ايمة الاسلام فكيف رويَ عن السنة ثقات انهُ اتى بهكذا ايات ومعجزات كشق القمر واحياء الموتي الى غير ذلك . لعمري ان ذلك عديم الصحة فكيف تجرأ الرواة ان يرووا هكذا مالا شبه صحة له — هل راموا تقليده بعيسى — ان ذا ضلال مبين واين الشهادات للرسول والنبي الاساعيلي المكّي في التوراة والانجيل كما يزعم المحدثون لا شيء من ذلك فيهما . لا حول ولا قوة الا بالله — رأف الله بنا وهدانا انه هو الرأوف الرحيم

اما الشيخ علي فانصرف طيب القلب مسروراً وهو يحمد الله ويشكره ولما دخل على رفاقه واخبرهم ما كان بينه وبين القاضي فرحوا فرحاً عظيما وحمدوا الله وسألوه البركة والهدى للمومى اليه

الفصل الثاني عشر

وفي غد ذلك اليوم زار القاضي المفتي وقال له بلغني ان حضرتك اجتمعت بالشيخ علي عمر ليلة امس وما قبلها عسى تكون النتيجة حسنة اجابه وما النتيجة وقصّ عليه ملخص ما جرى بينه وبين المذكور فبهت المفتي برهة . ثم قال الحق اولى ان يقال انه لعار عظيم علينا وجود هكذا روايات فارغة في كتبنا الدينية — اني لمتأكد ان ما روي من الآيات والمعجزات عن النبي وعن الانباء

والشهادات له في التوراة والانجيل عري عن شبه الصحة — اني طالعت التوراة مرارًا بكل تدقيق لعلّي اجد فيها شيئًا مما ذكر فلم اجد فقلت ربما النصارى حذفوا عمدًا مثل هذه الشهادات من ترجمتهم فقصدت الحاخام راوبين المشهور بالصدق والامانة وسألته عن ذلك فأكّد لي بقسم عظيم ان لاشيء من ذلك في توراتهم ولا خفاكم ما كان عليه المرحوم الشيخ عباس اسماعيل احمد من فرط الغرام بالحديث والروايات عن اقوال واعمال الرسول ولفرط غيرته على اشهار الدين وامتداده درس العبراني جيدًا على الحاخام بنيامين شمعون املاً ان يرى بنفسه في الاصل العبراني ما روي وذكر ولما اطلع على التوراة في اللغة التي أُنزلت فيها ولم يجد شيئًا من ذلك فترَ وزهد كل الزهد في الاسلامية حتى لم يبقَ معه منها الاّ الرسم الخارجي · ولما سألته مرة كيف رأيت ياشيخي الشهادات في التوراة عن النبي ضحك · ثم تأوّه وقال تلك الاقاويل اسم بلا مسمّى لا وجود لها البتة ولا رسم في توراة الله — هي ثوب بالٍ لا يرقع ولا يشبّك · وعليه اقول اذا كان حقيقة ادّعى محمد هذه الدعوى يرجح ان ذلك دخل عليه بالغش من بعض منافقي يهود المدينة الذين اسلموا حبًا بالارباح والغنايم ولكون النبي كان رجلاً اميًا اتخذ منهم ذلك على محمل الصدق حال كون لا اصل له كما اتضح و يتضح واذا كان محمد لم يقل هكذا بل رواه عنه بعض الصحابة بغية تشييد الدين وازدياد الغرام بالنبي نقول ولا غرو ان ذلك يوقع الريب في كل حديث عنه حتى ايضًا في نفس القرآن الذي جمع على شهادات الناس وذممهم وهنا الطامة الكبرى — فياليت ممكن لعلمائنا محو هكذا تخرُّصات من كتب الدين · غير ان ذلك بعيد الامكان بعد ما فشت وانتشرت هكذا بين

المسلمين والنصارى

(قاضي) — عجباً يامفتي افندي ايغش النبي هكذا من يهود المدينة — اين النبوة اذاً واذا كان ممكن ان يغش في مثل هذه الامور محتمل وقوع الغش عليه في امور اخرى وعليه يكون من الخطر الاعتماد على القرآن الذي يُرى منافياً كل المنافاة للتوراة والانجيل بخصوص شخصية المسيح وموته

(المفتي) — الحال تماماً كما اعرضت لحضرتكم والله اعلم بحقيقة المصدر والا تعلم ياسيدي ان الريب بصحة الدين الاسلامي قد خامر قلوب كثيرين من علمائنا فتراهم عائشين بزي الدين لا حقيقته

(القاضي) — ما الطريقة اذاً انشا كلهم بالرياء والنفاق ام نطمع بايجاد سبيل لتوطيد الايقان بصحة النبوة والرسالة

(المفتي) — لا يسعنا الان النظر في هذا الامر الخطير دعنا الان نطوي الحديث الى ان نحصل ان شاء الله على وقت موافق لنشره ومن ثم نرى فيما يرى لنا الله — ثم استأذن وانصرف تاركاً القاضي يتقلب على بساط الحيرة واليأس

ثم في غد ذلك اليوم دعى الوالي القاضي والمفتي مع بعض ارباب المجلس وتشاوروا معاً بخصوص المكان الذي ينبغي تعيينه دار منفى لاولئك المتنصرين فقال بعضهم ينبغي نفيهم الي رودس واخرون الى ارمينيا وغيرهم الى كريت — واما القاضي الذي كان من عادته الا يتكلم الاَّ بعد ان يفرغ الحاضرون من الكلام قال له الوالي مالك لم تعطِ رأياً يا قاضي افندي — اي محل ترى مناسباً ان يكون محلاً لابعادهم — اجاب اتجاسر ان اقول ارى ان حسن لدى دولتكم

ان يبعدوا الى احدى قرى لبنان وهو حكومة خارجة عن الولاية · قال الوالي ولكنه مكان قريب من البلدة ولا يعتبر ذلك كمنفى لابناء برّ الشام · ثم التفت الى رئيس الجزاء وقال ماذا تفتكر ياحسن افندي — اجاب ان محلاً كهذا يقربنا ارى قلما يفرق عن بقائهم في بيوتهم — ثم سأل المفتي عن رأيه في ذلك فقال نعم افندينا هو محل قريب ولكنه يعتبر على كل حال منفىً وتعلمون دولتكم ان منطوق الامر السامي لا يجيز قصاصهم بل ابعادهم عن المدينة والولاية حسماً للقلاقل والفتن التي يخشى حدوثها اذا بقوا في البلدة · وقرب مكان ابعادهم توفير على الحكومة وعلى كل نظر دولتكم اوسع فقاوم هذا الراي مدعي العموم قائلاً لا ارى الاَّ حضرة قاضي افندي ومفتي افندي مغرضين جداً مع المتنصرين — نظر افندينا في محله ان لبنان لا يعتبر بوجه مامنفى للمجرمين كم بالحري لمثل هولاء المفسدين الواجب ابعادهم الى اقصى المملكة اجاب رئيس مجلس التمييز لا جرم ان حضرة مدعي العموم اهان بلا سبب حضرة قاضي افندي ومفتي افندي بنسبته لهما الغرض نعم ان حضرتهما كما لا يخفى دولة افندينا على جانب عظيم من رقة القلب وحب السلام ولو تبصر حضرته في المسأَلة لرأى حسن الاصابة في رأيهما ولكن في العجلة الزلل · الا يعلم حضرته ان بعض هولاء الرجال في سن الشيخوخة والهرم فيخشى ان يؤَثر في اجسامهم النحيفة طول المسافة ومشقة السفر على غير عادة لا سيما في هذا الفصل الحار فيموت بعضهم من جرى ذلك فتتهم من ثم الحكومة باماتتهم وفضلاً عماَّ ترشق لذلك من القدح واللوم · من يقدر ان يضمن ان هذه المعاملة لا تأْتي باشأَم الفتن والقلاقل المزعجة — فحينئذ سكت الجميع واخيرا استصوب

الوالي رأي القاضي وعوَّل عليه ولانه كان يعتبره كثيرًا لحسن استقامته وجودة رأيه وذكائه فكان يركن اليه ويعتمده في اكثر الامور واهمها . ثم التفت وقال حسنًا ما ارتأيت ياقاضي افندي » فابدى حينئذٍ القاضي علامة الشكر والامتنان ولكن اي مكان في لبنان ترى يكون اكثر مناسبة -- فقال افكر ان دير القمر يكون انسب محل لذلك كونه ابعدمكان عن حاضرة الولاية . وبعد التأمل في هذا الامر قر الرأي بابعادهم الى المكان المذكور ليلة رابع عشر الشهر بعد نصف الليل وحرَّض الوالي الحاصرين على الكتمان واخفاء الامر بالكلية الى ان يشاء دولته

هذا واذا كان اليوم الثالث عشر من الشهر فهم اولئك الرجال ما جرى من القرار بابعادهم قريباً لكن في اي يوم والى اي مكان لم يعرفوا فظهر على بعضهم ضعف العزم وانكسار القلب غير ان اكثرهم كانت تلوح على وجوههم اللامعة لوائح الشجاعة وعدم المبالاة فعزَّى بعضهم بعضاً وتقووا لا سيما بعد ان طمنهم القاضي بقرب محل ابعادهم وبحسن المعاملة في سفرهم . الاَّ انه لم يخبرهم متى والى اين ولما كانت الليلة الرابعة عشرة من صفر بعد نصف الليل بنحو ساعتين اخرجوا على حين غفلة من سجنهم واركبوهم للحال على دواب معدة لهم وسار معهم خمسون نفرًا من العسكر النظامي وخمسون فارساً من الجاندرمه فتأوّه لوقتهم هولاء المساكين وبكوا بمرارة اذ لم يكن لهم فرصة لتوديع اولادهم واخوانهم ولانهم كانوا قد اطالوا السهر تلك الليلة ولم يرقدوا اكثر من نحو ساعتين . وبما ان بعضهم كانوامتقدمين في السن وقد انضنت اجسامهم من شدة الحزن وكثرة العراك نهضوا من مضاجعهم مثقلين من التعب منحطي القوى

فسار بهم العسكر ليلاً ونهاراً دون توقف ولم يكن لهم من معزٍ في مسيرهم تلك الليلة سوى التأمل بانعام الله والطافه واذ كان ثمة القمر بدراً والجو نقياً قال الشيخ علي - آه هذا البدر المنير والفلك النقي المرصع بدراري الكواكب اللامعة يمثلان لي الطريق الصالحة المنيرة التي اقتادنا الرب اليها وسيّرنا فيها - ما اعظم الفرق بين النور والظلام كذا بين الحق والباطل ما اجمل هذا البدر المضيء لنا في طريق ارتحالنا هذه وما احلى الهدو والسكينة المخيّمين على البلاد ما اجمل الرب يسوع الكامل نور العالم البهي · وما اعظم السلام والهدو الحاصلين في النفس المؤمنة التي قد تلألأ فيها نوره الساطع وهكذا كانوا بمثل هذا الحديث الجيد يسيرون الى ان لاح الفجر · فقال الشيخ محمود هكذا غب السفر الشاق في ليل هذه الحياة سينفجر النهار ويشرق نور صبح المجد والحياة على النفس المؤمنة السائرة بايمانها في سبيل ربها · ولما بزغت الشمس في لمعانها الباهر قال الشيخ عبد الرحيم لا احلى ولا اجمل للعين من رؤية شعاع نور الشمس الذهبي كذا وابلغ منه كثيرا وقوع اشعة شمس البر والحياة على البصيرة المغشاة بدجى الاوهام والاباطيل ها اننا بنورك ياشمس نرى كل شيء حولنا على حقيقته وبنورك ياشمس البر والمجد نرى الآن مالم نره بدونك من الحقائق السموية والاوهام الارضية فضيء لنا يانورنا مادمنا في حماك وابلغنا ياحبيبنا مجد سماك · وكان هؤلاء المساكين قد اعيوا وكلّوا جداً من طول المسير لانهم لم يكونوا معتادين ذلك وهم ضعفاء كما مر فتوسلوا كثيراً الى القائد ان يحلّ بهم وقتاً يسيراً للراحة فابى وغب ان كرروا اليه توسلاتهم ودفعوا له مبلغاً من النقود حوّل بهم مرتين على الطريق قبيل الظهر والعصر ومرة عند

المغرب · ثم سار بهم الى ان ابلغوا البلد المقصود نحو الساعة السادسة من الليل فباتوا خارجاً وفي الصباح دخلوا البلدة ودفع القائد رسالة الوالي الى حاكم البلد فقبلهم بكل ترحاب وانزلهم في محل يليق بشانهم وقابلهم بمزيد الاكرام والاعتبار وفي الغد عاد العسكر راجعاً

اما ما كان من اهل واقارب العلماء المذكورين · فلما قاموا في الصباح وعلموا بابعادهم ليلاً صاحوا بالبكاء والعويل واسرع كثيرون منهم الى السرايا ضاجين بالصراخ يصيحون ياللظلم ياللجور يا لعدم الانصاف الا تدعونهم يرتاحون ليلتهم بالرقاد وانتم ترون اكثرهم شيوخاً ضعافاً هل القصد اماتتهم تعباً واعياء · · · فخرج القاضي وتكلم معهم بما هدأ روعهم وسكن جاشهم · ثم صرفهم فانصرفوا و باطلاً اجتهدوا في استكشاف محل ابعادهم من رجال الحكومة والمأمورين اذ كان امر الوالي بالكتمان مشدداً جداً · ولكن بعد مضي نحو شهرين زمان عرفوا بوسيلة ما اين هم فساروا لوقتهم الى ذاك المكان الشيخ حسن اخو الشيخ علي وابن اخيه محمد وبعض اولاد الاخرين واخوتهم ولما وصلوا ودخلوا اليهم انطرحوا عليهم وهم يبكون وينجبون فوقع اولئك الاسرى على اعناق بنيهم واخوتهم يقبلونهم بكل لهفة · وغب ان سكن روعهم ومسحوا دموعهم وسأل كل منهم عن سلامة اهله واولاده قدموا لهم ما احضروه لاجلهم من الامتعة والنقود ولبثوا عندهم اسبوعين · وكان هؤلاء الرجال يفرغون جهدهم بتبشيرهم وتعليمهم عن المخلص الكريم ويصلون معهم كثيراً فتأثر اكثرهم وعلى الخصوص الشيخ حسن ومحمد افندي عمر فانهما كانا يقبلان بلذة وانشغاف تعليم الانجيل كالارض العطشانة لوابل المطر · ففرح العلماء المذكورون جداً

وتعزوا بهذا الربح الثمين وراوًا بذلك جودة المنفى وربحه فحمدوا الله على ذلك · واذ كان المذكورون قد قبلوا المعمودية منذ قبل في هذه البلد عمّدوا ايضاً اولادهم واخوانهم المؤمنين بمزيد الفرح والسرور وبعد مضي الوقت المذكور صرفوهم الى بيوتهم قائلين ارجعوا الآن يا اولادنا بسلام الله الى بلدكم واهلكم وطمنوهم عن صحتنا وليكن الرب معكم ولا تفتروا عن درس كتاب الله والصلوة وهو يزيدكم نوراً ونعمة لا تخافوا الناس ولا ترهبوا وجوههم بل اتقوا الله الذي خلقكم وبيده نسمتكم وانما ما رسوا اموركم بالهدو والسكينة ونرجو ان نراكم بالخير والنجاح · فرجعوا وكانوا في طريقهم يتحدثون بكل دهشة وسرور بما علموه وامنوا به · ولما وصلوا واخبروا اهلهم واقاربهم عن محل المبعدين وصحة سلامتهم وما هم عليه من حسن المعاملة والمجابرة من حاكم البلاد والاهالي اطمئنوا وتعزوا وهكذا كانوا يترددون عليهم من وقت الى آخر

اما اولئك الرجال فكان قد وقع حبهم في قلوب اهل البلد وما جاورها من رفيع ووضيع فكانوا يتقاطرون لزيارتهم افواجاً افواجاً نهاراً وليلاً وكثيراً ما كانوا يدعونهم الى بيوتهم مضيفينهم بكل اكرام واجلال · لان حسن صفاتهم وغزارة علمهم وفصاحتهم ووفرة تقواهم قد اخذت بمجامع قلوب الجميع فكانوا يتلقونهم في الاسواق والحوانيت والمنازل باحسن ملتقى والروساء الروحيين من كل المذاهب في لبنان وما جاوره كانوا يزورونهم ويبارحونهم بملء السرور · اما هم فكان غالب حديثهم مع زائريهم وعشرائهم فيما يختص بمحبة الله وجوده الفائق بابنه الوحيد فكان سامعوهم يبهتون متحيرين من براعتهم وقوة ادراكهم سمو الحقائق المسيحية بهكذا وقت وجيز وسرعة استحضارهم ايات الكتاب

وجري السنتهم في التكلم بهذه الامور باعمق حاسيات الورع والتقوى بنوع يدهش العقول و يسحر الالباب فاضحوا من جرى ذلك علّة صلاح الحال الروحي والادبي فى تلك البلد الامر الذي سبَّب لهم سروراً لا يقدر بنفاهم هذا وملأ قلوبهم من روح الشكر والحمد حتى قال بعضهم لبعض لولا الحب الطبيعي للوطن والاقارب كنا نفضل البقاء في هذا المكان على الرجوع الى الشام

واذا كان قد شاع امرهم وذاع صيتهم لهجت بهم الجرائد الاوروبيّة فسال من ثم بعض الدول وكلائهم في سوريا عن امرهم فأفادوهم الواقع وغب التوسط سدىً في امر تسريحهم ارسلت بعض الدول المسيحيَّة رقيماً للحضرة السلطانية مآله ان املها بجلالته صدور الامر بارجاع المومى اليهم من منفاهم الى بلدهم واهلهم طبقاً لمبادي الحرية فاجاب حضرة السلطان بما ملخصه

اني لم آمر بابعاد اولئك المتنصرين من قبيل عدم مراعاة الحرية التي ارغب دائماً ان امتّع بها كلاً من رعاياي الامناء — حاشا — غير انه اذ كان هجرهم الاسلام الى النصرانية امراً حديثاً وبكراً في بلد كدمشق سكانها قليلو التمدن كثيرو التعصب فمراعاة للصالح وحسماً لدواعي الفتن المعتاد حدوثها في بعض الانحاء بسبب الانتقال من دين الى آخر ولكونه قد حدث شيء من ذلك بسببهم اثر تظاهرهم بالدين المسيحي كما تقدمت الافادة الينا من طرف حكومتي هناك قد رايت وجوب تنحيهم عن البلد وابعادهم موقتاً الى مكان ما خارج الولاية . واجابةً لالتماس حكومة الولاية صار اقالتهم الى دير القمر في لبنان بلد لا تبعد كثيراً عن بلدهم وكل سكانها على الدين المسيحي . وهذا ما يبرهن لديكم رغبتنا بخير وراحة وسلام كل من رعايانا وشعوبنا وسنستعلم من

طرف الوالي هنالك حتى اذا وجدانه لا يترجح بعد وقوع تشو يش وقلاقل بسببهم تكدر على الراحة العمومية اذا ارجعوا نأمر بارجاعهم حالاً وفقاً لمرغوبنا برفاه وسعادة عموم رعايانا (٠٠٠٠) — ثم ولم يمض شهران من السنة الثانية لابعادهم الاّ وصــدر الامر السامي بارجاعهم الى بلدهم واهلهم وان يخوّلوا مطلق الحرية في ممارسة شعائر الدين كما يرغبون ٠ فارسل من ثم الوالي سرًّا ملازم بنفر من الخيالة لارجاعهم من محل ابعادهم ولما بلغ الدير ودفع الرسالة الى حاكم البلد المعانة الارادة السنية بارجاع المومى اليهم الى وطنهم سرّ كافة الاهالي بذلك وان عزّ عليهم فراقهم وحضر تلك الليلة لوداعهم هيئة الحكومة وكافة اعيان البلد مظهرين لهم سرورهم من وجه اطلاق سبيلهم وتخويلهم الحرية الواجبة وكدرهم واسفهم من جرى فرقتهم والخسارة التي تلحق البلد من قبيل ذلك

فاجابهم الشيخ علي — الحق تقصر السنتنا عن امكان حق التعبير عن جسامة افضال وغزارة المجابرة التي قبلناها من لدن سعادة القائمقام الكريم واعيان البلد بل من كافة اهلها دون استثناء فلا جميل ولا معروف يمكن صنعه الا وقد قبلناه من لدنكم ايها الكرام الاحبا — اننا نرجع الى بلدنا وقلوبنا اسيرة قيود حبكم واعلال الطافكم فليكن مؤكداً لديكم ان لذة ثمار حبكم وافضالكم كادت تنسينا بلدنا واصحابنا فصدورنا من داخل تختلج دائمًا بقوة حاسات الشكر والامتنان لحضرتكم وما حيينا لا ننسى ذلك واذ كنا لا جرم عاجزين عن المكافاة والقيام بالواجب لمن قد اغرقونا ببحر افضالهم نسأله تعالى الذي لا يضيع مثقال ذرة ان يجزيكم عنا خير الجزاء

فاجاب نائب البلد — على كل ان هكذا الطاف منتظرة من كرام ادباء

نظيركم على انا نقول والحق اولى ان يقال انا مقصرون كثيراً عما وجب علينا ذمة لحضرتكم . و بلادنا وضواحيها تعترف بما اوليتموها من خير الفوائد مدة اقامتكم فيها . فجميعنا شاعرون جداً بهذا الفضل الذي يهيج ابداً في قلوبنا روح الشكر والامتنان فشكراً للعناية الالهية التي قد اولتنا ذلك واذ كان مصائب قوم عند قوم فوائد فلا جرم ان مصيبة بعادكم هذه المدة عن بلدكم واهلكم واولادكم كانت علّة فوائد جمة لنا فالله الذي عرفنا بكم ومتّعنا بشهي الطافكم السامية يريكم كافة ذويكم واحبابكم بالخير والسلام و يمتعكم وايانا بروض الحرية والراحة واملنا ان تتعطفوا ببشارة الاطمئنان عن صحتكم ورفاهكم (اه)

فابدى حينئذٍ العلماء المذكورون علامة الشكر والممنونية . ثم ودعهم الحاضرون وانصرفوا . وصباحاً باكراً جداً قاموا من الدير وسار برفقتهم ايضاً ملازم آخر مع بعض الخيالة من قبل الحكومة المحلية اعتباراً اشانهم فكان مسيرهم على مهل و بحرية حيثما شاؤوا حلّوا ومتى شاؤوا ساروا . وفي اليوم التالي نحو الساعة الثالثة ليلاً بلغوا الشام فادخلوا على الوالي فقابلهم بشيء من الاكرام وامر فتلي عليهم الامر السامي بارجاعهم . ثم صرفهم الى بيوتهم محرضاً اياهم على ملازمة الهدو والسكينة وعدم التكلم مع المسلمين بامر الدين — و بينما كان اولاد واخوة المذكورين باهتمام عظيم في مسألة ترجيعهم من منفاهم وكانوا سدًى قد اتخذوا كل الوسائل الممكنة وصاروا في حالة الارتباك والحيرة لايدرون ما يعملون وكان اذ ذاك الشيخ حسن عمر مع بعض من اولاد واخوة المشايخ الآخرين مجتمعين في بيت الشيخ علي يتحدثون في هذا الموضوع المهم واذا بالباب يقرع فاجفل الشيخ حسن وخفق فؤاده ثم وقف على قدميه وقال

ان هذه القرعة اشبه بقرعة اخي و بادر حالاً الى الباب ونادى من يقرع الباب فاجابه افتح ياحسن فصرخ من ثم البشارة البشارة يا اخوان وفتح الباب واذا باخيه الشيخ علي داخلاً فوقع على عنقه وقبله وذاك يقبل يديه مبللهما بدموع الفرح . فبادر الجميع وسلموا عليه ولما اخبرهم برجوع الجميع ذهب كل الى بيته على اجنحة السرور والابتهاج وكان يا لها من ليلة حظ وسرور لا يُقدَّر ولا يوصَف في تلك المنازل التي قد ضاءت بدخول اربابها اليها عقب ذلك البعاد والهوان . ولما عُلم في الغد امر رجوعهم ابتدأ الناس يتواردون عليهم للسلام ما خلا ناصر الدين وصحبه المعلومين ثم اخذوا برد الزيارات للجميع وكانوا يسيرون هكذا باتضاع واحتشام غريبين منعكفين على اعمال البر والاحسان فاثَّر منظرهم هذا وحسن سلوكهم في الجميع وزاد اعتبارهم وارتفع شأنهم عند الاكثرين غير انه على كل حال كان لهم مناظرون وحسَّاد كثيرون كالمتقدم ذكرهم لا يفترون عن القدح بهم والتنقيب عليهم والتهييج ضدهم ولكن قلما كان يُلتفَت الى مقالهم او يعبأ بافترائهم . وفي اثناء ذلك اشهر احمد افندي القوتلي السالف ذكره ايمانه بالمسيح حسب الانجيل وكان مواظبًا على الشيخ علي والشيخ محمود وسماع حديثهما عمَّا جرى لهما ولاصحابهما منذ اطلاعهم على تلك الرسالة التي اضحت وسيلة انارتهم واهتدائهم . وقال لهم مرة كم من الثواب والاجر لذلك المسيحي الفاضل الذي اتحفكم بهذه الهدية الكريمة — هلا ارسلتم له تحرير الشكر والمحبة . قال الشيخ احمد عبد الهادي كنا عزمنا على ذلك ونحن في دير القمر ولكن غب الاستعلام عنه وعن محل اقامته بلغنا من مصدر يركن اليه انه قد نقل من هذا العالم منذ نحو ثمانية اشهر فتأسفنا اننا لم نكتب له من قبل

ذلك — فصفق القوتلي بيديه وقال آه لوعاش ورأى ثمرة عمله . قال نعم ولكنه سيراها على نوعٍ اجلّ في حضرة ربه — يموت الصديقون ولا تموت اغراسهم سيحصدون غلاّت مازرعوا في يوم لا يضيع فيه اجر مثقال ذرة من الفضل

الفصل الثالث عشر

ثم بعد مضي نحو خمس سنين من رجوعهم الى بلدهم مرض الشيخ علي مرض الموت فكان جسمه يزداد نحولا وقواه انحطاطاً يوماً فيوماً والشيخ محمود والشيخ احمد عبد الهادي واحمد افندي القوتلي مع باقي الاصحاب قلما كانوا يبرحون من جانب سريره وكان لا يودّ ان يقرأ له الاّ في الكتاب المقدس ولا يريد ذكرا الاّ ذكر يسوع المسيح وكثيرا ما كان يردد في فمه هذه الكلمات لاسيما عند مالا يكون احد بقربه — مات لاجلي — وفى ديني — وفى الكل — مات عني لاحيا به — ماأقوى حبه ما اسمى لطفه ما أعمق من ان يفحص وابعد من ان يقاس — قدفداني قد فداني ماأجمله ما ابهاه متى أراه أرى ذلك قريباً نعم قريباً ماأسعد وامجد ساعة انصرافي اليه و رؤيتي وجهه الكريم آه . ولم يكن يدع احداً من زائريه يخرج من عنده بدون ان يكلمه شيئاً عن محبة المسيح ولما كان يوم وفاته اجتمع حول سريره جماعة من علماء المسلمين وايمتهم التقاة وكان اذ ذاك على غاية ما يكون من الانتباه فبعد ان جلسوا قليلا قال الشيخ عبد الحميد امام الجامع الاموي — ياشيخ علي ياصديقي القديم وعشيري العزيز ارغب ان اقول لك شيئاً على رجاء ان تحتمل من محبك هذا ما سابديه بوجيز العبارة لحضرتك قال تكلم ياسيدي الكريم — اوّاه وآسفاه ياعزيز اني باعظم

لذة اتذكر تلك الاوقات الثمينة التي كنا نصرفها معاً في المساجد والمكاتب بالمطالعة والمفاوضات الروحيّة والادبية . فها قد مضى يا صاحبي سبع سنين وانت موحشنا مبتعد عنا في الدين والعبادة والالفة الامر الذي كما تعلم قدساءنا جداً ونغّص عيشنا كل هذه الايام . والآن يظهر لي يا عزيز انك على اهبة الارتحال من عالم الزوال فاذكر القرآن الشريف وماانزل به الينا من ربنا وارجع الآن يا صاحبي عن سبيل الغي والضلال التي همتَ فيها كل هذه السنين الى دين الله القويم وادِّ الشهادة لله ولرسوله يتجاوز عن سيّئاتك و يغفر ذنبك انه الغفور الرحيم . فتدخل بشفاعة سيد المرسلين جنّات الراحة والنعيم اتوسل اليك بحق اولياء الله ورسله الاّ ترفض نصح من يحبك كنفسه وكن خير قدوة لرجوع الاخرين تربح الاجر العظيم وابدل هداك الله كدر صاحبك هذا بسرور وتعبه براحةٍ وهناء « اه »

وكان في اثناء هذا الكلام الفضولي ان الشيخ علي تارةً يتبسَّم واخرى يعبس ويكمد اما رفاقه فانزعجوا للغاية وكان بعضهم يود ان يجاوب الامام المذكور نيابةً عن المريض غير انهم لم يروا ذلك لايقاً مناسباً فجاس الشيخ علي واجابه

نعم يا سيدي العزيز ارى نفسي قد بلغت اليوم الذي فيه ارتحل من ديار الدنيا فاحمد الله الذي ارسلك اليَّ الساعة لاودعك الوداع الاخير بكلمات طالما كنت اتوقع فرصةً مناسبة لا خاطب بها احبائي نظير حضرتكم فرجاي بحلمكم احتمالي بطول الاناة كما هو من شيمكم الكريمة — فياسيدي الشيخ لايخفى ان اسفي عليكم ليس هو دون اسفكم عليَّ ان لم اقل اكثر ولايسعني الان ان

اراجع على مسامعكم تلك الامور الخطيرة التي بنعمة الله قد صيرتني مسيحياً التي ارجح احاطة ذهنكم بها لا سيما حين تفضلتم بزيارتنا المرة الاخيرة في السرايا فاكتفي بان اقول لكم على سبيل التذكرة لكم في القرآن شهادات عظيمة بان التوراة والانجيل المنزلين على طائفتي اليهود والنصارى هما كتاب الله على التي احسن نوراً وهدى وموعظة للمتقين. فتأملوا ما اعظم هذه الشهادات لعمري ما القرآن بذلك الا كالدليل الامين يدلكم على اليهود والنصارى لتطلبوا منهم كتاب الله. والدعوى انهم حرّفوه هي يا مولاي لدعوى صبيانة معتّة لا تستطيع قط القيام بازاء الدلائل والبينات الراهنة على بقائه منذ انزاله لليوم محفوظاً من ذلك يد منزله القدير عزّ وجل. فاذا طالعتم هذا الكتاب العزيز بروح الاعتبار والوقار رأيتم ولا بد ان غايته الوحيدة هي المسيح للبر والخلاص لكل من يؤمن — ما اوضح النبوات فيه عن مجيء هذا الفادي الكريم من عذراء من سبط يهوذا من اسرائيل وعن وصف حياته واعماله والامه وموته فداء عن البشر وعروجه الى عرش الله ابيه وعن مجيئه الثاني وما الانجيل يا مولاي الا بشارة الله يبشرنا بمجيء هذا المخلص السماوي وعمله الخلاص بموته طبقاً لما انبأت عنه التوراة فنور المسيح يا عزيز ساطع ببهاء كلي في الكتاب لا يحتاج لرؤيته سوى رفع عصابة التعصب وازاحة برقع الغرض فليتكم سيدي تفتشون جيداً كتاب الله بروح الاخلاص والوقار لعلكم ترون فيه كما رأيت مسيح الله الفادي كلمة الله الوحيد — هذا كلام صديقكم ومحبكم المخلص في آخر يوم من حياته الدنيا اذكروا اني ما كنت دونكم في الغيرة على دين الاسلام وجهدي بالقيام بفروض العبادة والنوافل تعرفونه فكنت بذلك افتكر كما انتم اليوم تفتكرون ان هذه

الامور تجعلني سعيداً وتخولني رضى الرحمن وبركاته وتكفر عن سيئاتي وآثامي ولما فتح لي الجواد المنعم السبيل لمعرفة نفسي وطريق خلاصها وحياتها كما ترون ان شئتم في الكتاب لم ارفضه مكابراً بمذهبي وقومي · ولما قيل لي ان الكتاب ما تحرّف قط ولا تغيّر وامتحن تجد صدق المقال لم استنكف من ذلك ولا حسبت الدعوى كذباً قبل امتحانها قانونياً فشرعت من ثم في ذلك مع بعض الاصحاب فوجدنا ولله الحمد صحة الدعوى وصدقها — وجدنا المخلص يسوع مرسوماً لدينا في الكتاب بوضوح ولا وضوح الشمس في الظهيرة · وجدنا طريق السماء طريقاً ليس فيها عوج ولا التواء واذ ابتغينا اطاعة المولى ورضاه واحببنا الحياة التي احبها لنا الرحمن لم نتوقف ولم نتردّد عن وضع ارجلنا فيها باسم الله حتى اليوم غير مبالين بشيء كما تعلمون · والآن قد انتهى سفري يا صديق وها اني على وشك الانتقال الى ربي فلست اخشى الموت ولا ارهبه لان مخلصي قد ابطل قوته وداس شوكته وهو سيقيم جسمي هذا الترابي عند مجيئه للبعث والنشور وبعينيّ هاتين سوف ارى وجهه الكريم — اني مسرور يا اصحاب كوني وانا على فراش المرض والالم ارى بعين ايماني بهاء مجد ذلك الفردوس المنير الذي لا اظن يخيّم الظلام على ارضنا قبل ان احل فيه — نعم زمان التعب والجهاد قد مضى وعبر وتلاشى ليل الغم والكدر واشرق على فؤادي نور فجر صباح جديد اتوقع ان اتمتع غب عبور ساعات قليلة ببهاء طلعة شمسه العجيبة استودعكم يا اخوان استودعك الله ياسيديُ الشيخ اني ممنون لغيرة حبكم فانتهز الفرصة ياعزيز واقرأ كتاباً انزله الله دستوراً وقانوناً للايمان والعمل — القرآن دلّك عليه فاستدل — امتثل واطع تفز برضى الله وامجاده ا ه)

وكان في اثناء كلامه هذا الخارج من قلب مملو من الشعور والاحساسات الروحيَّة ان لحيته البيضاء قد ابتلَّت بدموعه المتساقطة من فوق خديه المصفرين فتأثر جداً اولئك الرجال من هذا الكلام المحج المخلص والمنظر المؤثر وكاني بهم قد أُسروا بهيبة وتقوى الشيخ علي وروحه الهادئة المملوءة من السلام والفرح فلزموا جانب الصمت وودُّوا لو يبقوا حول سريره حتى نهاية حياته ولكن لما راوا توارد بعض اعيان النصارى عليه وقسوسهم قاموا وانصرفوا

ثم قد فاتنا ان نذكر ان العلماء المذكورين حاولوا كثيرا بعد رجوعهم من محل منفاهم ان يضموا اليهم ابنيّ المرحوم الشهيد عمر وبالاخص الشيخ علي والشيخ محمود الوصيين من قبل ابيهما فلم يتمكنوا من ذلك بل وضعا في المكتب الرشيدي تحت عناية اخوالهم ولما مرض الشيخ علي هذا المرض زارته والدتهما وجلست بجانب سريره وهي على غاية من الحزن والذل فعزَّاها كثيراً وذكَّرها بما اوصاه المرحوم زوجها من جهة ولديه فبكت عند ذلك وبعد ما مسحت دموعها قالت كرامة لعينيه لا احب ان اخالف له وصيَّة وانما تعلم سيدي انه ليس في طاقتي اتمام وصيته هذه — قال نعم ولكنني ارجوا ان الله لا يتركهما ولا يهملهما ثم اخذ يتكلم معها بكل حكمة وملاطفة عن المسيح المخلص والحياة الابدية والدينونة الامور التي جعلتهم ان يتركوا كل شيء في الدنيا لاجلها والتي جعلت المرحوم زوجها ان يضع حياته في سبيلها ففهمت مقالته متأثرة كثيرًا من ذلك وهي اذ كانت امرأة عاقلة ذات حذق وفطانة وذاكرة حسنة لم تنسَ ما انذرها رجلها وحرَّضها عليه في اخر حياته . ثم سألت الشيخ علي بعض السؤالات اللطيفة عن حق الانجيل وذات المسيح وغاية ولادته من عذراء وموته قليلاً فجاوبها على ذلك

باحسن اجوبة فلاح من ثم على محياها الجميل لوائح الفرح والابتهاج كمن قد وجد شيئًا ثمينًا . ثم اخذت يديه وقبلتهما شاكرة فضله على الفوائد الجيّدة التي افادها اياها وعاهدته انها تكون من الآن ان شاء الله مسيحية مقتفية طريق رجلها وستبذل كل الجهد في ارشاد ولديها في هذه الطريق الصالحة ثم لما همت لتنصرف وضع في يدها صرّة صغيرة من الدنانير فحاولت عدم قبولها فالزمها بذلك قائلاً هذه مني لاجل ولديك العزيزين فقبلتها بالشكر وانصرفت اما هو فوثق بوعدها كل الثقة وما زاده في ذلك هو كونها بعد قتل زوجها طلبها كثيرون من شبان البلد ليتزوجوا بها فأبت حال كون بعضهم كانوا من الاعيان الاغنيا وهي في شرخ صباها ومن اجمل واعقل نساء البلد . فبعد انصرافها دعى اليه اخاه حسن واوصاه ان يجتهد ليتخذها له زوجة اذا تأكد مسيحيتها وارتضت ومن ثم يتخذ الوسائل الممكنة لضم ولديها اليه لتربيتهما حسنًا كولديه بكل محبة ورأفة ومدح له اياها كثيرًا فقبل وصيته ورضخ لمقاله

ولنرجع الى الكلام فيما جرى بعد انصراف اولئك العلماء من عند الشيخ علي فانه اذ كان قد أعيي وتعب كثيرًا من التكلم تمدد في فراشه وارتاح نحو ساعة زمان وكانت انباضه قد اخذت تضعف شيئًا فشيئًا فترجح عند الطبيب انه يفارق نحو غروب الشمس . ثم انتبه ودعى اليه اولاده بنيه وبناته واخاه ولما مثلوا امامه قال بصوت مرتجف يا اخي واولادي الاعزاء اذكروا اني في كل مدة حياتي معكم لم افتر عن ارشادكم وتعليمكم بكل حنو وصبر الامور التي كنت ارى انها لخيركم دنيا وآخره ولما ماتت يا اولادي والدتكم لم ارد ان اتخذ لي اخرى اختشاء لئلا تضحى مرارة نفس لكم ولي بسببكم فلا تنسوا محبة ابيكم

واتعابه واحمد الله ابا ربنا يسوع الذي دعاني بانجيله الى ملكوت ابن محبته واعطاني ان ارى قبل وفاتي مهجة فؤادي اخي واولادي الاعزاء معتنقين الايمان المسيحي . فالآن اموت مسروراً على رجاء الاجتماع بكم في عالم الراحة والمجد . هالكم من نعم الله وبركاته ثروة وافرة ولكن ليس ذلك شيئاً بالنسبة الى ذلك الكنز الثمين ! واشار بيده الى الكتاب المقدس الموضوع على الطاولة ادنوه مني فأتوا به اليه — هذا الكتاب الذهبي الكلام الدرّي المعاني الحاوي تعليم النعمة والحياة بيسوع المسيح ربنا هو لكم افضل ميراث واجل بركة من الله لان كلّ ما في العالم يزول واما كلمة الله فتبقى الى الابد — امين هو الله في كل مواعيده فلا تغلبنَّ الصبوة عليكم يا احبائي وتتركوا كلمة الله وراء ظهوركم ووصية ابيكم الشيخ في آخر يوم من حياتي الدنيا — لا يغرنَّكم العالم بلذاته ومخاره فتهبطون الى الهلاك الابدي . ها اني اذهب ولا شيء يصحبني من الدنيا وكذا انتم ستذهبون فارغين من اباطيل العالم فضعوا كتاب الله هذا في قلوبكم واتخذوه ابداً دستور حياتكم تذهبون من عالم البطل الى عالم الحق ومن غرور الدنيا الى حقائق المجد الابدي — عيشوا مع بعضكم بالسلام والحب وكذا مع الجميع متجنبين كل دواعي الخصام والشر واله السلام والمحبة الذي دعاني ورعاني ونجاني من كل شر حتى اليوم هو يباركم وينميكم في كل صلاح وتقوى حسب مشيئته ويجمعني بكم اخيراً في سماء مجده امين اللهمّ امين

فبكوا حينئذٍ بحرقة شديدة وسقطوا على يديه يقبلونها فقبلهم هو ايضاً وبكى فوعدوه وعاهدوه على ان يعيشوا حسب الانجيل وانهم ابداً لا ينسون وصيته الثمينة فسر بذلك كثيراً وضمهم ثانية الى صدره وقبلهم ثم التفت الى

اخوانه واصحابه العلماء وقال يااخوتي واصحابي وشركائي في جهاد الايمان المسيحي الدين عشت معكم بكل لذة المحبة والتعزية في سبيل الحياة اني باعظم حاسات الفرح اتذكر ثباتكم في الحق ونضالكم الحسن عنه في وسط هرج المقاومين ضد الاهواء العالم والجسد · وكيف انكم بنعمة الله وعونه صرتم ملح اصلاح كثيرين سيما عيالكم وخلانكم الامر الذي ينهض فيّ دائماً كما فيكم روح الحمد والشكر لله الذي هكذا دعانا وقدسنا وابقانا حتى تاجرنا باموالها وربحنا له المجد والفضل والعز الى الابد · فقد حان يا اخوتي وصحبي المحبوبين وقت افتراقي عنكم لاذهب الي مخلصي وارى بالعيان ما اتوقعه بالايمان — ها كما تروني مسروراً بهذا الرجاء الذي سأنا له ببر واستحقاق فادي الكريم · فارجوا ان تعيشو بعدي زماناً طويلاً بالتوفيق والنجاح لمجد الله ونلتقي اخيراً معاً في تلك الربوع المجيدة والمواطن البهية الابدية · ولي الرجا بحبكم ان تلاحظوا بعين المحبة اولاد اخيكم هؤلاء في كل ما يلزم من الارشاد والهداية والتنشيط في الرب · والآن ادنوا مني يا اخوتي لاودعكم فدنوا منه وقبلوه وقبلهم قائلاً استودعكم الله يا احبائي الاعزاء القادر ان يحفظكم و ينهي سفركم بسلام وسرور - ثم انفصلوا عنه بكل حاسات الكمد والاسف — ثم قال الشيخ محمود ياسيدي العزيز وقدوتنا الصالحة لقد تعبت واعييت كثيراً من وفرة التكلم فها اننا بملء حاسيات الحزن والكمد نسأل المولى الكريم ان شاءت مشيئته يعيدك الي الصحة لتحيى بعد لمجد اسمه وان لم تشاء ارادته ذلك وسبقتنا الى الراحة السموية فطوبي لك ورجاؤنا بنعمة فاديا الحبيب اننا سنلتقي معاً في ذلك الوطن المجيد الذي لا يشوبه فراق ولا حزن ولا ألم — واخوك واولادك الاعزاء فهم محروسون بالله وله الحمد اذ انهم كابيهم

على ما يرام من علو الهمة والتقى والفضل وعلى كل هم اخواننا وكاولادنا ومن اهم واجباتنا خدمتهم في كل ما يلزم — كن مسرورًا طيب القلب من هذا القبيل · فشكرهم على ذلك وقال الرب يدعوني اليه وانا مشتاق ان اراه فلا تسألوا لي الصحة والعودة الى حياة الدنيا انما سبحوا الرب واحمدوه ثم ضمّ رجليه الى سريره وصمت لسانه عن التكلم وغاص كمن في البحران مقدار ساعة ونصف وكان في اثناء ذلك ساكنًا هادئًا تلوح على شيبته المهيبة لوائح السلام والاطمئنان وكان يلحظ احيانًا ان شفتاه تتحركان الى ان تبسّم قليلاً وفتح عينيه وقال ها انا يارب حاضر ثم توقف عن الكلام برهة ولفظ بصوت عميق هادٍ هذه الكلمات يارب يسوع اقبل روحي الحمد لله

ثم رقد مسلما روحه بيد الرب فانكبّ عليه الجميع وناحوا عليه نوحا شديدا ولما شاع خبر وفاته غصّت الدار من المسلمين ونصارى بدون استثناء وكان يلوح عليهم لوائح الحزن والاسف اذ كما تقدم ان المتوفي كان محبوبًا من الجميع لما تحلى به من الصفات الحسنة وكرم الاخلاق ومع ان تنصره كدر جدا المسلمين لم تفرغ قلوب البعض من حبه واعتباره لا سيما اقاربه واصحابه · ولما بلغ خبر وفاته مسامع الحكومة رأت من المقتضي حراسة جنازته وخفرها الى المقبرة حيث ينبغي ان يدفن حذرًا من حدوث امرٍ مكدر · فارسلت من ثم ملازم الضابطة ومعه خمسون نفرًا ليمشوا امام تابوته مع الطائفة الانجيلية · اما اهله وذووه فبعد ان بكوه كثيرًا كفنوه ووضعوه في تابوت · وفي الغد نحو الساعة السادسة من النهار حُمل الى الكنيسة الانجيلية فمشي امام تابوته الضابطة ووراهم القسوس والروساء الروحيون من كافة الطوائف المسيحية

ووراء التابوت اهل الميت وذووهُ واصحابه مع جماعة وافرة من كافة الملل الموجودة ٠ ولما وضع في الكنيسة صعد الى المنبر احد القسوس الانجيليين و بعد قراءة شيء من الانجيل قدم خطاباً موثراً جداً موضوعه «طوبى للاموات الذين يموتون في الرب منذ الان نعم يقول الروح لكي يستريحوا من اتعابهم واعمالهم تتبعهم رؤ ١٤ : ١٣» فكنت ترى اذ ذاك اصغاء وهدواً غريبين من الحاضرين نادري المثال في جمهور كهذا من مذاهب مختلفة واجناس متباينة ٠ ثم تلى ذلك ترتيل وتسبيح لله وحمل الى المقبرة ودفن بكل احتفال واكرام وبنى له اخوه وبنوه حجرة جميلة على قبره نقشوا عليها تاريخ حياته وتاريخ اعتناقه الايمان المسيحي مع بعض الايات الانجيلية كان كثيراً ما يترنم فيها ونقشوا بحرف غليظ مذهب تلك الكلمة الاخيرة التي فاه بها في آخر نسمة من حياته وهي

يارب يسوع اقبل روحي

واما رفاقه المذكورون فعاش اكثرهم بعده زماناً طويلاً بكل حرية وراحة مجتذبين بانذارهم وحسن سيرتهم كثيرين الى الايمان المسيحي الانجيلي من كل الملل والمذاهب وهكذا رقدوا اخيراً في الرب مخلفين آثاراً حسنة وذكراً طيباً لاهلهم واصحابهم وقد تم ايضاً ما كان يتمناه و يرغبه الشيخ علي من زواج اخيه حسن بمريم ارملة المرحوم عمر وضم ولديه الى بيته وعاش اخوه واولاده براحة وهناء اياماً طويلة نامين في المعرفة والتقوى كل ايام حياتهم

تم